

الصحیح

من سيرة الإمام علي

(المرضى من سيرة الإمام علي)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المترجم من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

بإذن من مؤسسة الإمام الخميني

أيام السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) / السيد جعفر مرتضى العاملي. قم: أيام، ١٤٣٢ ق= ٢٠١٢ م. = ١٣٨٩.
٥١٢ ص.

ISBN: 978-964-91063-9-7

٦٠٠٠٠٠ ريال

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

کتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ ق سرگذشت نامه. ٢. إسلام - تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٢٩٧/٩٥١

٣ ص ٤٤٢ ع B P ٣٧/٣٥

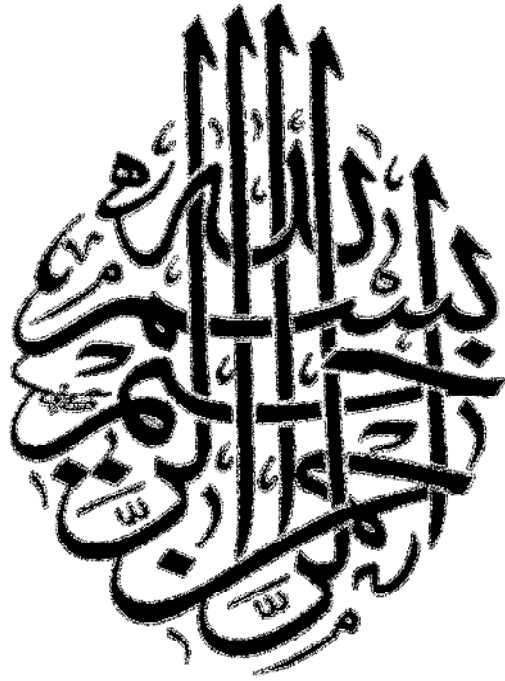
١٣٨٩



اسم الكتاب:	الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام
اسم المؤلف:	السيد جعفر مرتضى العاملي
الناشر:	نشر أيام
الطبعة:	الأولى ١٤٣٢ هـ - ق = ١٣٨٩ هـ ش = ٢٠١٢ م
عدد المطبوع:	٢٠٠٠ نسخة
سعر الدورة: ٣١ - ٤٥	٦٠٠٠٠ تومانا
ردمك ج ٣١:	٩٧٨ - ٩٦٤ - ٩١٠٦٣ - ٣ - ٥

العنوان: ايران - قم - ٤٥ متري صدوق - صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ - ٠٩١٢١٥١٧١٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي طبع شده است



الباب الثاني:

مراسلات تحسم الموقف..

الفصل الأول: الأشتري في الجزيرة ومكاتبت علي × مع معاوية

الفصل الثاني: الريب في حديث الطرماح..

الفصل الثالث: البجلي في الشام..

الفصل الرابع: الطائي ومعاوية.. وتحريض ابن عقبة..

الفصل الخامس: دين ابن العاص في المزاد..

الفصل السادس: هل الدين يباع؟!

الفصل السابع: شرحبيل المخدوع.. المخذول..

الفصل الثامن: محاولات جمع الاصحاب

الفصل التاسع: جرير متآمر وخائن..

الفصل العاشر: يعزله علي ×.. ويبايعه أهل الشام..

الفصل الحادي عشر: جرير والأشتر..

الفصل الأول:

الأشتر في الجزيرة..
ومكاتبات علي × مع معاوية..

الشنّي يدعو لحسم الأمر مع معاوية:

وقالوا: ثم إن علياً مكث بالكوفة، فقال [الأعور] الشنّي في ذلك،

شن بن عبد القيس:

قل لهذا الإمام قد خبت الحر
و فرغنا من حرب من نقض العهد
تنفث السم ما لمن نهشته
إنه والذي يحج له النا
لضعيف النخاع إن رمى اليو
جانحات تحت العجاج سخالاً
تتبارى بكل أصيد كالفح
ثم لا ينثنى الحديد ولما
إن تذرّه فما معاوية الدهر
ولنيل السماك أقرب من ذا

ب وتمت بذلك النعماء
د وبالشام حية صماء
فارمها قبل أن تعض، شفاء
س ومن دون بيته البيداء
م بخيل كأنها الأشلاء
مجهضات تخالها الأسلاء
ل بكفيه صعدة سمراء
يخضب العاملين منها الدماء
بمعطيك ما أراك تشاء
ك ونجم العيوق والعواء

فاضرب الحد والحديد إليهم ليس والله غير ذاك

دواء (1)

ونقول:

1 - الأعور الشني: هو بشر بن منقذ - أحد بني شن بن أفصى بن عبد القيس..

قال الأمدى عنه: «شاعر خبيث. وكان مع علي «رضي الله عنه» يوم الجمل» (2).

2 - الأسلاء: جمع سلى، وهي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد.. وفي البيت إقواء.

3 - لقد أدرك الأعور الشني خطر معاوية، وضرورة المسارعة إلى معالجة أمره. وهو رأي صائب لو كان القرار والفعل يأتي من جانب واحد، وهو علي «عليه السلام».. ولكن الأمر ليس كذلك، فإن الأمر يحتاج من جهة إلى إعداد، واستعداد من جانب علي «عليه السلام».

(1) صفين للمنقري ص 8 و 9 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 107 وراجع: الأخبار الطوال ص 152.

(2) المؤلف ص 38 و 60 وراجع: الغارات للثقي ج 2 ص 886 وإكمال الكمال ج 7 ص 299 وتاريخ مدينة دمشق ج 10 ص 312.

ولا بد من جهة ثانية من ترتيب أوضاع البلاد، وضبط الأمور فيها، قبل أن تمتد إليها يد معاوية بالتمويه والخداع، والترغيب والترهيب.

ويحتاج من جهة ثالثة إلى رغبة الناس بمواجهة معاوية، واقتناعهم بضرورة حربه. كما أن معاوية لم يكن غافلاً، بل كان هو الآخر يتهيأ ويعد العدة، ويجمع المؤيدين والأنصار للمواجهة.. وهو صاحب مكر وكيد وخديعة، فلا بد من معرفة طبيعة تحركاته، وقدراته، واستعداداته، لتلافي الوقوع فيما أعده من مصائد ومكائد.

4 - لست أدري لماذا يصف الأمدي هذا الشاعر (الشنّي): بأنه خبيث، ونحن لم نر أي أثر لهذا الخبيث، لا في تصرفاته، ولا في شعره.

إلا إن كان الأمدي يرى أن حضور الشنّي مع علي «عليه السلام» في حرب الجمل، ودعوته لحسم الأمور مع معاوية يدل على خبيثه!!

ولكن ماذا يقول الأمدي لمن يقول له: إن الخبيث كل الخبيث هو الأمدي نفسه، لأنه يرى الصلاح والوعي والإلتزام بالحق ونصرة أهله جريمة وخبثاً؟!

أرض الجزيرة:

قال نصر بن مزاحم، وكذا ابن اعثم - وقد وضعنا بعض كلمات

ابن أعثم بين قوسين :-

[وكان أهل الجزيرة عثمانيين، وقد بايعوا معاوية وصاروا في سلطانه، فلما بلغ الخبر علياً «عليه السلام» دعا بالأشتر وولاه الجزيرة وبلادها الخ..].

وبعث علي الأشتر على الموصل ونصيبين، وداراء، وسنجان، وأمد، وهيت، وعانات، وما غلب عليه من تلك الأرضين من أرض الجزيرة.

وبعث معاوية بن أبي سفيان الضحاك بن قيس على ما في سلطانه من أرض الجزيرة، وكان في يديه حران، والرقعة، والرهاء، وقرقيسيا.

وكان من كان بالكوفة والبصرة من العثمانية قد هربوا، فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية.

فخرج الأشتر، وهو يريد الضحاك بن قيس بحران.

فلما بلغ ذلك الضحاك بعث إلى أهل الرقة فأمدوه، وكان جل أهلها يومئذ عثمانية، فجاءوا وعليهم سماك بن مخزومة [في جمع كثير].

وأقبل الضحاك يستقبل الأشتر، فالتقى الضحاك وسماك بن مخزومة، بمرج مرينا بين حران والرقعة، فرحل الأشتر حتى نزل عليهم، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، حتى كان عند المساء، [فانهزم الضحاك ومن معه في جوف الليل]، فرجع الضحاك بمن معه فسار ليلته كلها

حتى صباح بحران فدخلها.

وأصبح الأشر، فرأى ما صنعوا، فتبعهم حتى نزل عليهم بحران،
فحصرهم.

وأتى الخبر معاوية فبعث إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في
خيل [عظيمة] يغيثهم.

فلما بلغ ذلك الأشر [سار إليهم حتى لقيهم دون الرقة] فكُتِبَ
كتائبه، وعبى جنوده وخيله، ثم ناداهم الأشر: ألا إن الحي عزيز، ألا
إن الذمار منيع، ألا تنزلون أيها الثعالب الرواغة؟! احتجرتم احتجار
الضباب.

فنادوا: يا عباد الله أقيموا قليلاً، علمتم والله أن قد أتيتم، [فواقعهم
وهزمهم هزيمة قبيحة، حتى ألحقهم بالشام].

فمضى الأشر حتى مر على أهل الرقة، فحجزوا منه(1).

وقال ابن أعثم:

ثم أقبل حتى نزل على أهل الرقة فحاصرهم.

قال: وخرج الضحاك بن قيس من حران يريد لقاء الأشر ليزيله
عن الرقة، وقدم أيمن بن خريم الأسدي من عند معاوية في جيش
عظيم، فاجتمعت العساكر على الأشر من كل ناحية.

(1) صفين للمنقري ص12 و 13 وكتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص350 و
351 و (طدار الأضواء) ج2 ص493 و 494.

والتقى القوم للقتال، فصبر بعضهم لبعض صبراً حسناً، ثم انهزمت خيل الشام حتى لحقت بمعاوية.

وجعل الأشرع يعبر على أطراف البلاد، ويذل كل من ناواه، حتى ضبط الجزيرة ضبطاً محكماً⁽¹⁾.

ويقول نصر بن مزاحم:

ثم مضى [يعني الأشرع] حتى مر على أهل قرقيسيا، فحرزوا منه.

وبلغ عبد الرحمن بن خالد انصراف الأشرع فانصرف.

فلما كان بعد ذلك عاتب أيمن بن خريم الأسدي معاوية، وذكر بلاء قومه بني أسد [في مرج] مريناً. وفي ذلك يقول:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة	من عاتبين مساعراً أنجاد
منيتهم، أن أثروك، ماثوبة	فرشدت إذ لم توف بالميعاد
أنسيت إذ في كل عام غارة	في كل ناحية كرجل جراد
غارات أشر في الخيول يريدكم	بمعة ومضرة وفساد
وضع المسالح مرصداً لهلاككم	ما بين عانات إلى زياد ⁽²⁾
وحوى رساتيق الجزيرة كلها	غصباً بكل طمرة وجواد

(1) كتاب الفتوح لابن أعمش ج2 ص350 و 351 و (ط دار الأضواء) ج2 ص493 و494.

(2) زياد، لم أجد لها ذكراً في كتب البلدان، ولعلها «سنداد».

لما رأى نيران قومي أوقدت وأبو أنيس فاتر الإيقاد
 أمضى إلينا خيله ورجاله وأغذ لا يجرى لأمر رشاد
 ثرنا إليهم عند ذلتك بالقنا وبكل أبيض كالعقيقة صاد(1)
 في مرج مرينا(2) ألم تسمع بنا نبغي الإمام به وفيه نعادي
 لولا مقام عشيرتي وطعانهم وجلادهم بالمرج أي جلاد
 لأتاك أشر مذحج لا ينثني بالجيش ذا حنق عليك
 وآد(3)(4)

وبلغ ذلك علياً، فقام في الناس بالكوفة خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى هو خالق الخلق، ولن يرضى من أحد من خلقه إلا بالحق، ولن يزال أمرنا هذا متمسكاً ولم يشتم آخرنا أولنا، فإذا فعلوا ذلك فقد هلكوا وأهلكوا.

ألا! وإني مخبركم أن معاوية بن أبي سفيان قد شكل [لعل الصحيح: شكك] أهل الشام، وزعم لهم أنني أنا الذي قتلت عثمان بن

(1) العقيقة: البرق إذا رأيته في وسط السحاب كأنه سيف مسلول.

(2) شدد راء «مرينا» للشعر، وأصلها التخفيف كما في القاموس. ومرينا: قوم من أهل الحيرة من العباد. قال الجواليقي: «وليس مرينا بكلمة عربية». وأنشد لامرئ القيس:

فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
 (3) الآد والأيد: القوة.

(4) صفين للمنقري ص12 و 13 و 14 و الغارات للثقفى ج1 ص324 - 326.

عفان، وقد حارب عاملي، ويوشك أنه سيناز عني حقي، ويدفعني عنه بجموع أهل الشام.

ألا! وإني قد عزمت على الكتاب إليه، فماذا عندكم من الرأي؟! قال: فضج المسلمون من كل ناحية، فقالوا: يا أمير المؤمنين! اعمل في ذلك ما أحببت وأمرنا بأمرك، فأمرك فينا سمعاً وطاعة، وما طاعتك فينا إلا كطاعة النبي «صلى الله عليه وآله»⁽¹⁾.

كتاب علي × إلى معاوية:

قال: فنزل علي «رضي الله عنه» عن المنبر ودخل إلى منزله، ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى معاوية كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر..

أما بعد! فإن بيعتي لزمك، وأنا بالمدينة وأنت بالشام، وذلك أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فليس للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.

وأما عثمان فقد كان أمره مشكلاً على الناس، المخبر عنه كالأعمى، والسامع كالأصم، وقد عابه قوم فلم يقبلوه (لعلها: يقبلوه)، وأحبه قوم فلم ينصروه، وكذبوا الشاهد واتهموا الغائب.

(1) كتاب الفتوح لابن أعمش ج 2 ص 351 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 494.

وقد بايعني الناس بيعة عامة، من رغب عنها مرق ومن تأخر عنها محق، فاقبل العافية واعمل على حسب ما كتبت به.. والسلام.

قال: ثم طوى الكتاب، ودفعه إلى الحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري، ووجهه إلى الشام إلى معاوية.

فلما ورد كتابه على معاوية، فقرأه، رفع رأسه إلى الرسول وقال: أظنك ممن قتل عثمان بن عفان «رضي الله عنه»!

فقال الأنصاري: وأنا أظنك يا معاوية ممن استنصره عثمان فلم ينصره، ولكن خذله وقعد عنه.

قال: فغضب معاوية من ذلك وقال: ارجع إذاً إلى صاحبك بغير جواب، فإن رسولي في أثرك إن شاء الله تعالى.

قال: فانصرف الأنصاري إلى علي «رضي الله عنه»، وأخبره بذلك(1).

ونقول:

هناك أمور كثيرة تحتاج إلى توضيح، أو بحث وتمحيص، ولكننا سوف نصرف النظر عن أكثرها، وسنحاول الإقتصار على بعض ما له نوع ارتباط بأمر المؤمنين «عليه السلام»، وإليك بعضاً من ذلك:

(1) كتاب الفتوح لابن أعمم ج2 ص351 و 352 و (ط دار الأضواء) ج2 ص494 و 495.

بيعة أهل الجزيرة لمعاوية:

لا حاجة إلى تذكير القارئ الكريم: بأن البيعة، وإن كانت من الأمور التي يقوم بها الناس أنفسهم، ولكنها ليست حقاً لهم يمارسونه كيفما يحلو لهم.. ولا تعطيتهم حق اختيار الحاكم الذي يخطر على بالهم. بل هي تخضع لموازن الحق والباطل، ولن يقبل الله من خلقه إلا ما هو حق.

والبيعة واجب عليهم يطلب منهم أن يؤدوه لأهله. يراد به إلزامهم بموجبه بالقيام بتكاليف معينة، وليس لهم أن يعطوها لغير أهلها في أي من الظروف والأحوال.

والشاهد على ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طلب البيعة من الناس أكثر من مرة، وقد بايعوه.. فهل لم يكن له ولاية عليهم قبل بيعتهم إياه؟! أو أن من لم يبايعه هل له أن يتمرد عليه، فلا يطيعه؟! مع أنه تعالى يقول: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ..)(1). ويقول سبحانه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)(2).

كما أنهم بعد بيعتهم لعلي «عليه السلام» يوم الغدير، هل يقبل منهم نكثهم لها يوم السقيفة؟!

(1) الآية 6 من سورة الأحزاب.

(2) الآية 55 من سورة المائدة.

فإذا كان يقبل منهم ذلك، فلماذا لم يقبل علي «عليه السلام» بنكث الناكثين، بل حاربهم وقتلهم؟!!

بل إن علياً «عليه السلام» قد صرح في كتابه لمعاوية: بأنه ليس من حق معاوية ومن معه أن يتخلفوا عن البيعة له، وقال: «فليس للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد» كما تقدم. ولذلك حاربه «عليه السلام».

كما أن ثمة شروطاً يجب توفرها في من يجب أن تكون البيعة له، فلا تجوز البيعة لمن يفقدها، أو يفقد واحداً منها.. فلا تجوز البيعة لأحد من الطلقاء. ولا أن يبايع ضال، ولا مفسد، ولا ظالم، ولا جاهل، ولا امرأة، وغير ذلك. فمن فعل ذلك، فقد تعدى حدوده، وخاب فأله، وبطل عمله، ولا بد من رده عن غيئه، وإعادة الأمور إلى نصابها، فإن لم يمكن ذلك بالوسائل السلمية، فبالحرب.

ولأجل ذلك، بادر «عليه السلام» إلى إرسال الأشر إلى الجزيرة ليردع أهلها عن غيهم، حين بايعوا الطليق المفسد، وهو معاوية. وقد ولى «عليه السلام» الأشر للبلاد التي لم تباع معاوية، وما غلب عليه من تلك الأرضين، من أرض الجزيرة.

هرب العثمانية من العراق إلى الجزيرة:

ثم إننا لم نجد مبرراً لهرب العثمانية من الكوفة والبصرة إلى الجزيرة، وفق ما ذكره النص المتقدم، المنقول عن نصر بن مزاحم،

لأن علياً «عليه السلام» لم يكن يتعرض لأحد بسوء ما دام لم يخرج عليه بالسلاح، بل سيأتي أنه حين أشير عليه بأن يأخذ بعض الذين سبوه، وتهددوه أنه قال: «لا أقتل من لم يقتلني».

ثم قال: «لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم في أيدينا، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا»(1).

وعنه «عليه السلام» أنه قال عن الخوارج: «فإن سكتوا تركناهم - أو قال: عذرناهم - وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم»(2).

وكان جُلُّ حي الناعطين في الكوفة عثمانية(3).

وكانت باهلة تعادي علياً «عليه السلام»(4). وكرهت الخروج معه إلى صفين(5).

(1) كنز العمال ج11 ص287 و 308 و (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص300

عن أبي عبيد، وابن أبي شيبة، والبيهقي، والإمام ج1 ص36.

(2) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص352 ونهج السعادة ج2 ص312 والكامل في التاريخ ج3 ص334 و 335 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص53.

(3) الكامل في التاريخ ج3 ص325 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص45.

(4) الغارات للثقي ج1 ص20 و 21 وبحار الأنوار ج33 ص356.

(5) صفين للمنقري ص116 والأمالي للطوسي ج1 ص116 والأمالي للمفيد

وكانت قبيلتا غنى وباهلة - لما خرج علي «عليه السلام» لقتال أهل النهروان - تدعوان الله أن يظفر به عدوه(1).
ولم نجده تعرّض لأي منهم بما يسوءه أو يزعجه.
والنصوص الدالة على سياسة علي «عليه السلام» هذه مع مناوئيه كثيرة(2).

فإذا كانت هذه هي سياسات علي «عليه السلام»، فلماذا يهرب العثمانية من البصرة والكوفة إلى الجزيرة، ثم يبائعون معاوية؟!.. فإن كانوا قد هربوا قبل حرب البصرة، فلم يكن هناك موجب للهرب، لأنهم رأوا أن العثمانية في المدينة وغيرها لم يهربوا من علي «عليه السلام»، ولم يجدوا معه أية مضايقة، وإن كانوا قد هربوا بعدها، فالمفروض أنه «عليه السلام» قد أمن جميع الناس، حتى أعدى أعدائه من أمثال، الوليد بن عقبة، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وغيرهم من قادة الحرب ضده!!
إلا إن كان هربهم، لأنهم كانوا بصدد الخروج عليه «عليه السلام» مع معاوية، أو أرادوا أن يمارسوا ما لا يرضاه، ولا يقرهم

ص200 و 201 وبصائر الدرجات ص159.

(1) الغارات للثقفى ج1 ص18 وبحار الأنوار ج33 ص356.

(2) راجع: تاريخ بغداد ج14 ص365 و 366 وكتابتنا: «علي «عليه السلام» والخوارج» في مواضع كثيرة.

عليه دون أن يمنعهم «عليه السلام» منه.

كتاب علي × إلى معاوية:

وقد ذكر ابن أعثم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كتب إلى معاوية الكتاب المتقدم بعد حرب الجمل، بل بعد حرب الجزيرة، التي استعاد الأشر فيها تلك البلاد، من معاوية، وضبطها ضبطاً محكماً.. وقال أيضاً: إنه «عليه السلام» قد أرسل ذلك الكتاب إلى معاوية مع الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري..

ولكن ذكر المنقري وغيره: أنه «عليه السلام» قد أرسل هذا الكتاب بعد حرب الجمل، مع جرير بن عبد الله البجلي، لا مع الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري(1).

وبما أننا نرجح رواية المنقري، ومن وافقه، فإننا نترك الحديث هنا عن مضمون هذا الكتاب، ونرجئه إلى حين الكلام عن إرسال جرير البجلي إلى معاوية. ونكتفي هنا بالإشارة إلى السياق الروائي لما جرى وفق ما جاء في رواية ابن قتيبة، فإنها إذا ضمناها إلى سائر الروايات تصبح الأقرب إلى الإعتبار، أو هكذا نظن..

فقد قال ابن قتيبة عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، ما يلي:

(1) صفيين للمنقري ص29 والأخبار الطوال ص157 والإمامة والسياسة ج1 ص93 و 94 والعقد الفريد ج5 ص80 وبحار الأنوار ج32 ص357 ونهج السعادة ج4 ص88 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص108.

علي × يكتب إلى معاوية:

وذكروا: أنه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعاً، وبايع له أهل العراق، واستقام له الأمر بها، فكتب إلى معاوية:

أما بعد، فإن القضاء السابق، والقدر النافذ، ينزل من السماء كقطر المطر، فتمضى أحكامه عز وجل، وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين، ولا رضا الأدميين.

وقد بلغك ما كان من قتل عثمان «رحمه الله»، وبيعة الناس عامة إياي، ومصارع الناكثين لي، فادخل فيما دخل الناس فيه، وإلا فأنا الذي عرفت، وحولي من تعلمه، والسلام.

فلما قدم على معاوية كتاب علي مع الحجاج بن عدي [كذا] الأنصاري، ألفاه وهو يخطب الناس بدمشق، فلما قرأه اغتم بذلك، وأسره عن أهل الشام.

ثم قام الحجاج بن عدي خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل الشام، إن أمر عثمان أشكل على من حضره، المخبر عنه كالأعمى، والسميع كالأصم، عابه قوم فقتلوه، وعذره قوم فلم ينصروه، فكذبوا الغائب، واتهموا الشاهد.

وقد بايع الناس علياً على منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيعة عامة، من رغب عنها رد إليها صاغراً داحراً.

فانظروا في ثلاث وثلاث، ثم اقضوا على أنفسكم:

أين الشام من الحجاز؟! وأين معاوية من علي؟! وأين أنتم من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بالاحسان!؟

قال: فغضب معاوية لقوله وقال: يا حجاج، أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار؟!؟

قال: نعم، فإن كان بلغك وإلا أحدثك.

قال: هات.

قال: أشرف علينا زيد بن ثابت، وكان مع عثمان في الدار، وقال: يا معشر الأنصار، انصروا الله (مرتين).

فقلت: يا زيد، إنا نكره أن نلقى الله، فنقول كما قال القوم: (رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا) (1).

فقال معاوية: انصرف إلى علي، وأعلمه أن رسولي على إثراك (2).

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

1 - ذكر النص المتقدم: أنه «عليه السلام» أرسل كتابه إلى معاوية مع الحجاج بن عدي الأنصاري.

(1) الآية 67 من سورة الأحزاب.

(2) الإمامة والسياسة ج 1 ص 82 و 83 و (تحقيق الزيني) ج 1 ص 76 و 77 و

(تحقيق الشيري) ج 1 ص 102 و 103.

والظاهر: أنه الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري. ولعل جاء هذا الخطأ من أوهام النساخ..

2 - إن الحجاج هذا قد أخرج معاوية فيما يرتبط بقتل عثمان.. فقد بيّن للناس: أن عثمان لم يكن مظلوماً، كما يصوره لهم معاوية، بل لديه عيوب دعت طائفة من الناس إلى قتله، وغاية ما فعلته الطائفة الأخرى هو التماس العذر له. ولم تجز لنفسها نصره ولا الدفاع عنه.

3 - إن الحجاج قد أسقط ما كان معاوية يحاول التسويق له فيما يرتبط بمظلومية عثمان عن صلاحية التأثير، حيث إنه إذا كان من حضر قتله متهماً، وكان من غاب عنه كاذباً، فلا قيمة بعد لما يقال لهم عن مظلومية عثمان، وعن حقيقة من قتله، وعن الدوافع والأسباب الموجبة لقتله..

4 - إن ما ذكره الحجاج عن علي «عليه السلام» قد أخذ معاوية من بين يديه ومن خلفه.

فبيعة علي «عليه السلام» لم تكن خلصة، في بيت، ولا في بستان، ولا في سقيفة، ليدعى: أن ثمة من دبرها، وعمل لها في الخفاء، ولا كان هناك من هدد هذا، وأطمع ذاك، بل كانت بيعة عامة وظاهرة، لا لبس، ولا خفاء فيها، ولا رشاوى، ولا تهديد، ولا إكراه ولا إجبار.

وقد جرت في مكان عام، هو مركز تجمع جميع الناس، كبيرهم وصغيرهم، وغنيهم وفقيرهم، ولا يختص به فريق دون فريق، ولا جماعة دون جماعة، أو قبيلة دون أخرى..

وهو مكان مقدس، لا يجزؤ أحد على امتنانه، ولو بكلمة، فضلاً عن أي تصرف آخر، مناف للأدب، أو للأخلاق، أو للشرع..
ولا أقل من أن أحداً لم يذكر حصول شيء من ذلك على الإطلاق.

5 - إن الحجاج قد بيّن لأهل الشام أن هذه البيعة لازمة لهم. وأن غيبتهم وغيبة غيرهم عنها لا تعفيهم من الإلتزام والوفاء بها.
بل إن من يتخلف عنها يعاقب، ويجبر على البخوع لها والتسليم بها، فأهل الشام مطالبون بالبيعة لعلي «عليه السلام»، وعدم الإنخداع بشعار الأخذ بثار عثمان..

6 - ثم إن الحجاج قد استبق الأمور، وفتح أعين الناس على معادلة من شأنها أن تحجزهم عن قبول ما سيعرضه معاوية عليهم. وهو على الأقل قد أقام الحجة عليهم، وأبطل الذريعة التي سوف تسوقهم إلى البيعة لمعاوية. حين دعاهم الحجاج للمقارنة بين ثلاث وثلاث، ليروا البون الشاسع بينها، ليكونوا بذلك أمام الحقيقة وجهاً لوجه، فإما الخضوع لها، أو العزوف عنها إلى الباطل الواضح والصريح..

فقد دعاهم للمقارنة بين الحجاز مهد الوحي، وحيث بيت الله، ومسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبين الشام. والمقارنة بين علي ابن عم الرسول، وأخيه، وصهره والعالم الزاهد، والمجاهد

العابد، وصاحب التضحيات الكبرى، وبين معاوية الذي هو من
الطلاق.

ثم المقارنة ثالثاً: بين أهل الشام، وبين صحابة الرسول من
المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان..

7 - ولم يكن لمعاوية أن يغضب من ذلك، لأن الحجاج لم يقل غير
الحق، فلماذا يغضب معاوية أو غيره من قول الحق؟!!

8 - إن معاوية أراد أن يمهد السبيل إلى الإيقاع بالحجاج هذا، ولو
بتحريض الناس عليه، باعتباره في جملة المهاجمين لعثمان..

كما أنه أراد أن يغير الحديث، ويسوق الحجاج إلى الحديث عن
موضوعات أخرى هامشية، حتى لا يفيض في بياناته التي يكرهها
معاوية، ويرى أنها تضر بمصالحه..

فساق له قصته مع زيد بن ثابت، فلما وجد أن الحجاج لم يهتم
للأمر، بل اتخذها مدخلاً لبيانات أخرى قد تكون أكثر إيلاً لمعاوية..
اضطر معاوية لقطع الحديث، وأمره بالرجوع إلى علي «عليه
السلام» من دون جواب..

الطومار الفارغ:

ثم ذكر ابن قتيبة وغيره قصة إرسال معاوية طوماراً فارغاً إلى
علي «عليه السلام» مع رجل من بني عبيس اسمه قبيصة..

وكنا قد ناقشنا هذه الرواية، وذكرنا بعض ما يرتبط بمضامينها

في الجزء الحادي والعشرين من هذا الكتاب في فصل: «معاوية يماطل ويتأمر». ولكن النصوص التي ذكرناها هناك تخالف النص الذي ذكره ابن قتيبة، وابن أعثم هنا، من جهات عديدة.

فنحن نذكره هنا، ثم نشير إلى بعض ما يرتبط به أو بالنص السابق، مما لم نورد في الجزء الحادي والعشرين، فنقول:

قال ابن قتيبة:

ثم إن معاوية انتخب رجلاً من عبس، وكان له لسان، فكتب معاوية إلى علي كتاباً في طومارين وصل أحدهما بالآخر، عنوانه: «من معاوية إلى علي، وداخله: بسم الله الرحمن الرحيم لا غير».

فلما قدم الرسول الكوفة دفع الكتاب إلى علي [وعنده وجوه المهاجرين والأنصار]، فعرف علي ما فيه، وأن معاوية محارب له، وأنه لا يجيبه إلى شيء مما يريد.

وقام رسول معاوية خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: هل ها هنا أحد من أبناء قيس عيلان، وبني عبس وذبيان؟!

قالوا: نعم، هم حولك.

قال: فاسمعوا ما أقول لكم، يا معشر قيس، إنني أحلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ، خاضبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان، رافعيه على الرماح مخضوباً بدمائه، قد أعطوا الله عهداً أن لا يغمدوا سيوفهم، ولا يغمضوا جفونهم، حتى يقتلوا قتلة عثمان، يوصى به الميت الحي، ويرثه الحي من الميت، حتى والله

نشأ عليه الصبي، وهاجر عليه الأعرابي، وترك القوم تعس الشيطان،
وقالوا: تعساً لقتلة عثمان.

وأحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل اثنا عشر ألفاً، فانظروا كم
الشهب وغيرها؟!!

فقال له علي: ما يريدون بذلك؟!!

قال: يريدون بذلك والله خيط رقبتك.

فقال علي: تربت يداك، وكذب [جدب] فوك، أما والله لو أن
رسولاً قتل لقتلتك.

فقام الصلت [صلة] بن زفر، فقال: ليس [بئس] وافد أهل الشام
أنت ورائد أهل العراق، ونعم العون لعلي، وبئس العون لمعاوية، يا
أخا عبس أتخوف المهاجرين والأنصار بخضر الخيل، وغضب
الرجال؟!!

أما والله ما نخاف غضب رجالك، ولا خضر خيلك، فأما بكاء
أهل الشام على قميص عثمان، فوالله ما هو بقميص يوسف، ولا
بحزن يعقوب، ولئن بكوا عليه بالشام، لقد خذلوه بالحجاز، وأما قتالهم
علياً، فإن الله يصنع في ذلك ما أحب.

لكن ابن أعثم زاد هنا قوله:

وهمَّ الناس بالعبسي، وقاموا إليه بالسيوف، فقال علي «رضي الله
عنه»: دعوه فإنه رسول، ولكن خذوا منه الكتاب.

قال: فأخذ الكتاب من يده ودفع إلى علي، فلما فضه لم ير فيه شيئاً أكثر من «بسم الله الرحمن الرحيم».

قال: فعلم أن معاوية يحاربه، وأنه لن يجيبه إلى شيء، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبي الله ونعم الوكيل. فأنشأ قيس بن سعد بن عبادة وهو يرتجز ويقول شعراً. وذكر في هامش الكتاب هذا الشعر كما يلي:

معاوي لا تعجل علينا معاوياً فقد هجت بالرأي السحيق
الأفاعي

وحركت منا كل شيء كرهته وأبقيت هزات النفوس كما هيا
بعثت بقرطاسين صهرين (1) طلحة إلى خير من يمشي بنعل وحافيا
مضى وبقي بعد النبي محمد عليه سلام الله عوداً وباديا
فيا ليت شعري والحوادث جممة على أيما ترجو وتخشى
الأمانيا

وثمة أبيات سبعة أخرى، تركناها، لأنها ناقصة كلمات وفقرات جعلتها غير مفهومة.

قال: ثم إن العبسي رسول معاوية قام إلى علي «رضي الله عنه»، فقال: يا أمير المؤمنين! والله لقد أقبلت وأنا من أشد الناس

(1) كلمة لا معنى لها.

عليك حنقاً، لما أخبرني عنك أهل الشام.

وقد والله أبصرت الآن ما فيه أهل الشام من الضلال، وما أنت فيه من الهدى، ولا والله ما كنت بالذي أفارقك أبداً، ولا أموت إلا تحت ركابك!

ثم إنه كتب إلى معاوية أبياتاً مطلعها:

كدت أهل العراق بالبلد الشا م شفاها وكان كيدي ضعيفا
إلى آخرها..

قال في الهامش: موضعها تسعة أبيات مطموسة إلا البيت الأخير:

إن تحارب فادن شخصك منه أو تسالمه فاترك
التسويفا

ثم يقول ابن أعم: فلما انتهى شعره إلى معاوية ونظر إليه عجب لذلك، ثم أقبل على من حضرته وقال: قاتله الله! لقد قال وأبلغ. ويلاه، إنما بعثناه رسولاً فصار علينا محرماً(1).

ولكن ابن قتيبة قد حذف واختصر كل ذلك الذي ذكرناه بقوله:

قال: وإن العبسي أقام بالعراق عند علي، حتى اتهمه معاوية، ولقيه المهاجرون والأنصار فأشربوه حب علي، وحدثوه عن فضائله،

(1) راجع: الفتوح لابن أعم ج2 ص356 - 360 و (ط دار الأضواء) ج2

حتى شك في أمره(1).

ونقول:

1 - إن النص الذي ذكرناه في الجزء الحادي والعشرين يقول: إن الذين كانوا سيكون حول قميص عثمان كانوا ستين ألف شيخ.. وهذا النص يقول: هم خمسون ألفاً. مع أن الروايات هنا وهناك إنما تروي حدثاً واحداً..

2 - إنه لم يمض على قتل عثمان سوى بضعة أشهر، فما معنى أن تقول هذه الرواية: حتى والله نشأ عليه الصبي، وهاجر عليه الإعرابي.

3 - إن الروايات التي مضت في الجزء الحادي والعشرين تصرح: بأن هذا قد حصل بعد قتل عثمان بثلاثة أشهر.. والمفهوم من هذه الرواية: أن مضمونها قد حصل بعد حرب الجمل، أي بعد ضِعْفِ هذه المدة..

4 - لماذا يسمح علي «عليه السلام» ومن حوله لرسول معاوية بأن يقوم خطيباً فيهم، ويخوفهم بهذا النحو القوي، والجريء.

5 - والأهم من هذا وذلك: إن هذا المتجرب العبسي، قد نجا من الموت بتدخل من علي «عليه السلام»، لأنه هو الذي منع أصحابه من

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص83 و 84 و (تحقيق الزيني) ج1 ص78 و (تحقيق الشيري) ج1 ص104 والفتوح لابن أعمش ج2 ص356 - 360.

إيذاء ذلك العبسي وقتله، بالرغم من أنه قد تجاوز كل حد في التهديد والوعيد، والتحقير لعلي وأصحابه، وفيهم صحابة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وكبار القوم وخيارهم..

6 - والأهم من ذلك: أننا لم نر علياً «عليه السلام» يغضب، أو يثور، أو يتهدد ويتوعد، بالرغم من أنه يمسك بجميع مفصل الأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها، وشمالها، وجنوبها، باستثناء الشام وما والاها..

وبالرغم من انتصاره الساحق واللاحق بالأمس القريب على عائشة التي كانت حربها أصعب من حرب معاوية، لأنها زوجة رسول الله، وابنة أبي بكر، والمدللة عند عمر.

وبالرغم من أنه أعظم رجل بعد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وقد قام الإسلام بسيفه وتضحياته وجهاده، ولا يدانيه أحد في الفضل والعلم والجهاد ومعه صحابة رسول الله، والصفوة من أعيان الأمة ورجالها.

نعم، إنه بالرغم من ذلك كله يكاد لا يفتن لشيء من ذلك ولا يعتمد عليه، بل يلجأ إلى الله سبحانه، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبي الله ونعم الوكيل.

أي أن الله تعالى وحده هو الذي يكفيه، لا الجيوش، ولا السلاح، ولا سعة الملك، ولا غير ذلك..

7 - ولعل هذا هو الذي فاجأ العبسي، وجعله يتحول جذرياً،

ويصير من أولياء أمير المؤمنين، بعد أن أظهرت له الوقائع أن ما يقوله أهل الشام عن علي «عليه السلام» ما هو إلا حفنة من أكاذيب وتزويرات رخيصة سرعان ما يظهر زيفها ويبوء صانعوها بالخزي والعار..

8 - وآخر ما نشير إليه هنا: هو إجمال ابن قتيبة لنهايات هذه القصة بنحو موهم، يصل إلى حد التزوير الرخيص والمفضوح.

رسالة تلميح لا تصريح:

قالوا:

إنه لما فرغ «عليه السلام» من وقعة الجمل، بايع له القوم جميعاً، وبايع له أهل العراق، واستقام له الأمر بها، فكتب إلى معاوية: أما بعد، فإن القضاء السابق، والقدرَ النافذ ينزل من السماء كقطر المطر، فتمضي أحكامه عز وجل، وتنفذ مشيئته بغير تحابّ المخلوقين، ولا رضاء الأدميين. وقد بلغك ما كان من قتل عثمان وبيعة الناس عامة إياي، ومصارع الناكثين لي، فادخل في ما دخل الناس فيه، وإلا فأنا الذي عرفت، وحولي من تعلمه، والسلام(1).

(1) راجع: الإمامة والسياسة ص 102 ومعادن الحكمة ج 1 رقم 18 و 29 وجمهرة رسائل العرب ج 1 ص 385 ومنهاج البراعة ج 18 ص 248 - 253.

ونقول:

1 - إن أهم شيء في حياة البشر، ومبدأ سعادتهم، ومنشأ كل خير لهم هو: توطين النفس على التسليم لأمر الله، والبخوع والخضوع له، فيما أحب الإنسان وفيما كرهه..

وهذا بالذات هو ما توخاه «عليه السلام» في رسالته هذه لمعاوية. وقد خاطبه «عليه السلام» بأعظم ما يكون من الرفق، حيث ذكر له هذا المعنى الشريف بصورة تقريرية بيانية لأمر واقع، ينساق إليه الإنسان بفطرته وب عقله ووجدانه..

2 - إن الله تعالى إذا قضى أمراً، فلا راد لقضائه السابق، وقدره النافذ. كما لا يُرَدُّ قطر المطر النازل من السماء، رضي الناس ذلك أم سخطوا، إذ لا أثر لرضاهم ولا لكرهاتهم..

وفي تشبيهه «عليه السلام» قضاء الله وقدره بقطر المطر، إشارة إلى أنه من مفردات رحمته للبشر، كما أن المطر كذلك..

3 - وقد قضى الله تعالى في أمر الإمامة: أن لا حق فيها لطلق، بل هي لصفوة الخلق، وأعلمهم وأفضلهم، وأن على الناس أن ينفادوا لهذا الأمر، ويتابعوا من اختاره الله تعالى لهم، ويتأكد ذلك بعد أن حصلت البيعة وفق ما أَرَادَهُ اللهُ بِإِجْمَاعِ ظَاهِرٍ..

ويؤكد ذلك أيضاً: أنه تعالى قضى وقدر: أن يُحَارِبَ النَّاكِثَ، والباغي، ويرد إلى حكم الله تعالى..

4 - وفي قضائه السابق في أمر الإمامة وفي قدره النافذ بمصارع الناكثين ما ينبغي أن يردع معاوية عن غيه، وأن يجعل مما جرى عبرة له.. ولأجل ذلك قال له «عليه السلام»: «فادخل فيما دخل الناس فيه». ولا تعاند قضاء الله تعالى في أمر الإمامة، لأنك تعرّض نفسك لقضاء الله تعالى بحرب من عاند، وخرج على إمام زمانه، الذي اختاره الله تعالى بقضائه السابق الذي لا راد له..

5 - وقد قرر «عليه السلام»: أن امتناع معاوية عن البيعة معناه: أنه سيواجه فريقين لا قبل له بهما، وهما:

الفريق الأول: علي «عليه السلام» نفسه، الذي عرف معاوية والناس كلهم طرفاً من جهاده، وعزمه وحزمه، وأثره العظيم في جهاد أعداء الله.. سواء في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، أو في حرب الناكثين التي فرغ «عليه السلام» منها للتو..

الثاني: المهاجرون والأنصار، الذين يعرف الناس كلهم ما لهم من قيمة ومكانة في الأمة، ولا سيما مع إجماعهم واجتماعهم على إمامته ونصرته «عليه السلام».

معاوية يتهدد علياً ×:

قال الشيخ الأديب أبو بكر بن عبد العزيز البستي: بالأسانيد الصحاح: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لما رجع من وقعة الجمل كتب إليه معاوية بن أبي سفيان «عليه اللعنة»:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبد الله معاوية، بن أبي سفيان، إلى علي بن أبي طالب..

أما بعد.. فقد اتبعت ما يضرك، وتركت ما ينفعك، وخالفت كتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله»، وقد انتهى إلي ما فعلت بحواري رسول الله «صلى الله عليه وآله»: طلحة والزبير، وأم المؤمنين عائشة..

فوالله لأرمينك بشهاب لا تطفئه المياه، ولا تزعزعه الرياح.. إذا وقع وقب، وإذا وقب ثقب، وإذا ثقب ثقب، وإذا ثقب الثقب، فلا تغرنك الجيوش، واستعد للحرب، فإني ملائكتك بجنود لا قبل لك بها، والسلام.

فلما وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فكه وقرأه، ودعى بدواة وقرطاس وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبده علي بن أبي طالب، أخي رسول الله، وابن عمه، ووصيه، ومغسله، ومكفنه، وقاضي دينه، وزوج ابنته البتول، وأبي سبطيه الحسن والحسين، إلى معاوية بن أبي سفيان..

أما بعد.. فإني أفنيت قومك يوم بدر، وقتلت عمك، وخالك، وجدك. والسيف الذي قتلتهم به معي، يحمله ساعدي، بثبات من صدري، وقوة من بدني، ونصرة من ربي، كما جعله النبي «صلى

الله عليه وآله» في كفي..

فوالله ما اخترت على الله رباً، ولا على الإسلام ديناً، ولا على محمد نبياً، ولا على السيف بدلاً، فبالغ من رأيك، فاجتهد ولا تقصر، فقد استحوذ عليك الشيطان، واستفرك الجهل والطغيان، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.. والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى»(1).

وذكر المفيد «رحمه الله»: أن معاوية كتب إلى علي «عليه السلام»:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. يا علي، لأضربنك بشهاب قاطع، لا يذكيه الريح، ولا يطفئه الماء، إذا اهتز وقع، وإذا وقع نقب، والسلام.

فلما قرأ علي كتابه دعا بدواة وقرطاس، ثم كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. يا معاوية، فقد كذبت. أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين، قاتل جدك، وخالك، وأبيك، وأنا الذي أفنيت قومك في يوم بدر، ويوم فتح، ويوم أحد.

وذلك السيف بيدي، تحمله ساعدي، بجرأة قلبي، كما خلفه النبي «صلى الله عليه وآله»، بكف الوصي، لم أستبدل بالله رباً، وبمحمد

(1) راجع: بحار الأنوار ج 33 ص 289 ح 550 وراجع الإختصاص ص 138.

«صلى الله عليه وآله» نبياً، وبالسيف بدلاً.. والسلام على من اتبع الهدى(1).

ونقول:

إننا نكتفي هنا بتسجيل ما يلي:

رسالة معاوية:

لا بد من الإشارة إلى ملاحظتين:

أولاهما: لعل هذين الكتابين، اللذين ذكرهما المفيد «رحمه الله» قد اقتبسهما الراوي من الكتابين السابقين، أو أن الرواة قد ذكروا ما علق بأذهانهم، فجاء بعضه على سبيل النقل بالمعنى.

وكما أن في كل منهما عبارات لا توجد في الآخر، ربما لأن بعضهم حفظ ما لم يحفظه الآخر. وعلى كل حال، فإن تقارب المضمون هو الذي يدعونا إلى الحديث عنهما في سياق واحد..

الثانية: إن كتاب معاوية المذكور أولاً: قد اقتصر على التهديد بالحرب، وحاول أن يتفنن في وصف شهابه الذي زعم: أنه يريد أن يرمي به علياً «عليه السلام»، وأشار إلى كثرة جنوده.. بعد أن ادعى أمرين كاذبين:

أحدهما: أنه «عليه السلام» ترك ما ينفعه، واتبع ما يضره.

(1) الإختصاص ص138 وبحار الأنوار ج33 ص286.

الثاني: أنه «عليه السلام» خالف كتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله».

وهذا من الأكاذيب الواضحة التي لا تحتاج إلى بيان.

ولعل معاوية أراد بالأمرين اللذين ادعاهما: أن يؤكد علياً «عليه السلام» على طريقة: «رمتني بدائها وانسلت». مع وثوقه: بأن غالب الناس لا يثبتون من الأمور، بل يأخذونها على عواهنها.. فلو صدق هذه الكذبة جماعة قليلة من الناس، فإنه يرى نفسه رابحاً..

وأما أن يراه معظم الأمة كاذباً ومفترياً، فلا يرى ذلك عيباً ولا نقصاً، إلا إذا أضر بملكه وبسلطانه.. فالعيب عنده هو فوات السلطان.. أما الكذب، والبهتان، والعدوان الذي يبلي أغراضه، فهو عبقرية ودهاء، وفضيلة وكرامة، وسياسة وكياسة، توصله إلى الرياسة والزعامة..

وبتعبير أوضح: إن القبيح عنده هو كلمة «كذب، وظلم، وبهتان» ونحوها، فإذا أوصلتك هذه الأمور عينها إلى أغراضك، وحققت لك أهواءك؛ فما عليك إلا أن تغير أسماءها، فتسميها عبقرية ودهاء، وفهماً وذكاء، ونحو ذلك.. لتصبح بذلك فضيلة وكرامة، توصلك إلى مقام.

التهديد في رسالة أمير المؤمنين ×:

وإذا نظرنا إلى مضمون رسالة أمير المؤمنين «عليه السلام»،

فسنجد أنها تضمنت الإشارة إلى أمور كثيرة ذات مغزى احتجاجي، وإيماني.. وتحمل في طياتها أقوى مضمون تهديدي رادع، لأنها تقدم الحقيقة بكامل أدوات إثباتها، وبشواهد الماثلة للعيان..

وقد اختار «عليه السلام» المفردات التي يكون أكثر الناس إحساساً بها، وتمثلاً لآثارها هو معاوية نفسه، لأنها تعنيه أكثر من أي مخلوق آخر.. فقد كانت لمعاوية ولفراعة قريش جيوش جرارة، قد لاقاها «عليه السلام»، وهو مع الرسول «صلى الله عليه وآله»، وكان معاوية مع أبيه وقومه.. فكانت النتيجة:

ألف: إنه «عليه السلام»: قد أفنى قوم معاوية يوم بدر..

وأضاف في الرسالة الثانية: يوم الفتح، ويوم أحد.

ب: بل كان الأمر أقرب وأصعب من ذلك، فقد قتل «عليه السلام» عم وخال، وجد معاوية، وأذاقه مرارة فقدهم، وغصص ما حل بهم..

ج: ثم قدم نفسه إليه، وهو لا يزال يحمل نفس السيف الذي قتل به أحبائه هؤلاء. وكأنه يريد أن يتمثل هذا المشهد ويستحضره أمام عينيه ليأخذ العبرة منه.

د: ولم يقتصر الأمر على استحضار المشهد بصورته الظاهرية، بل أراد له أن ينفذ إلى الأعماق، ليلتمس ثبات جنانه وجرأة قلبه «عليه السلام»..

هـ: بل المطلوب: هو أن يتجاوز الأمور النفسية والروحية،

ليتمس القدرات الجسدية أيضاً، فيستحضر في مخيلته قوة بدنه، حين يكون ذلك السيف في يده.

و: ثم نقله إلى عالم المعنى، والغيب الإلهي، لكي يعرف أن الأمر لا يقتصر على علي الشخص والإنسان بما هو جسد وروح ونفس، وما لها من قوة، وجرأة وثبات، بل عليه أن يضم إلى ذلك كله التأييد والرعاية والنصرة الإلهية..

ز: ولم يقتصر الأمر على بدر، فقد تكرر ذلك في غيرها كأحد، والفتح، فليس في الأمر صدفة، ولا لأجل عوامل خاصة فرضت نفسها.

ح: ومما يزيد في حسرة معاوية، ويضاعف من آلامه: معرفته أن علياً «عليه السلام» لم يكن يتصرف بقرار منه. ولا كان اندفاعه للقتال مجرد حماس ينتج فعلاً عفويًا، وعارضاً، بل كان بقرار نبوي، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي جعل ذلك السيف في كف علي «عليه السلام»، وأعدده أو أمره بالإستعداد لقتال الناكثين والقاسطين والمارقين الخ..

وهذا يعبر عن أن ثمة حقيقة راسخة وقوية قد جاء التخطيط على أساسها..

ط: وحسب النص الذي أورده المفيد «رحمه الله»، فإن جعل النبي «صلى الله عليه وآله» السيفَ في كف علي «عليه السلام» إنما هو لخصوصية كونه الوصي من بعده. وهذا بالنسبة لمعاوية هو

المصيبة الأعظم والأشد إيلاماً..

وقد أشار «عليه السلام» إلى هذه الأمور كلها حين قال: «إني أفنيت قومك يوم بدر، وقتلت عمك، وخالك، وجدك، والسيف الذي قتلتهم به معي يحمله ساعدي بثبات من صدري، [بجراًة في قلبي]، وقوة من بدني، ونصرة من ربي، كما جعله النبي «صلى الله عليه وآله» في كفي.

[وعن المفيد: كما خلفه النبي «صلى الله عليه وآله» بكف الوصي]..

ابن أبي سفيان، وأخو الرسول:

وقد لفت نظرنا: أن معاوية تعمد أن يضفي على نفسه وعلى أبيه صبغة دينية، ويظهر أن ثمة صلة لهما بالله تعالى.. حيث قال: «من عبد الله وابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب».. وذلك بهدف ذر الرماد في العيون، بادعاء: أن الصلة بالله لا تقتصر على علي «عليه السلام» وغيره من أهل بيته وصحبه الأخيار..

أو بهدف التعريض بأبي طالب، بادعاء: أنه مات ولم يظهر إسلامه، بخلاف أبي سفيان، فإنه دخل في الإسلام، وصار في زمرة أهل الإيمان..

فجاءه الجواب العلوي الصاعق.. ليقول:

1 - إن أبا سفيان قد حارب الإسلام حتى يئس وعجز. فتظاهر بالإسلام، وإن كانت الوقائع قد أظهرت أنه قد بقي كهفياً للمنافقين (1).
 وحين بويع عثمان مرّ أبو سفيان على قبر حمزة، فضربه برجله وقال: يا أبا عمارة، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلاعبون به (2).

وقال: لما بويع عثمان أيضاً تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار (3).

أما أبو طالب، فكان عبد الله في الباطن، وقد أثبت إخلاصه له، وفناءه فيه في العمل الظاهر. فكان إسلامه معلوماً وإن لم يعلنه

(1) سبل الهدى والرشاد ج 4 ص 351 والإستيعاب (ط دار الكتب العلمية) ج 4 ص 58 و (ط دار الجيل) ص 1678 والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص 104 والنزاع والتخاصم للمقريزي ص 58 وقاموس الرجال ج 5 ص 486.

وراجع: الغدير ج 3 ص 253 وج 8 ص 278 وشيخ المضيرة لأبي رية ص 161 والنصائح الكافية لابن عقيل ص 110.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 16 ص 136 وبحار الأنوار ج 33 ص 89 والغدير ج 10 ص 83 وقاموس الرجال للتستري ج 11 ص 352..

(3) السقيفة وفدك للجوهري ص 87 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 9 ص 53 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 215 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص 407 والغدير ج 8 ص 331 والكنى والألقاب ج 1 ص 88.

صراحة، حفاظاً على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وشتان بين إسلام قشري ظاهري مع إبطان الخلاف، وبين إسلام صحيح باطني تدل عليه الأفعال والأقوال، وإن لم يصرح به «رضوان الله تعالى عليه» أمام أهل الشرك والعدوان.

2 - إن كان معاوية بن أبي سفيان هو المطعون في دينه، والمتهم بالنفاق، فإن علياً «عليه السلام» هو أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه، ووصيه..

3 - إن معاوية إن كان من الطلقاء، وقد تظاهر بالإسلام بالرغم عنه، أو طمعاً في دنيا يصيبها، بعد أن حارب الله ورسوله، حتى سدت الطرق في وجهه، فإن علياً «عليه السلام» هو الوصي الذي نافح وكافح عن هذا الدين بيده ولسانه وسيفه.

4 - وبعد.. فإن ابن أبي سفيان المحارب هو وأبوه للنبي والوصي فإن علياً «عليه السلام» هو وصي الرسول الذي ظهرت وصايته له من تغسيله إياه، فإنه لا يغسل المعصوم إلا المعصوم، ولا يغسل النبي إلا نبي أو وصي(1).

هذا عدا عن أن تغسيله «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله

(1) بحار الأنوار ج13 ص17 و 18 و 367 وج22 ص512 وج32 ص280
عن إكمال الدين ص17 و 18 و (نشر مؤسسة النشر الإسلامي) ص27
وبشارة المصطفى للطبري ص428.

عليه وآله»، وتكفينه إياه دون سواه يدل على شدة قربه منه، ولصوقه به.. وأين كان معاوية وسائر بني أمية، وكل من يفتخر بهم معاوية عن المشاركة في تغسيل الرسول وتكفينه؟!!

5 - ومن دلائل وصايته له، وشدة قربه «عليه السلام» منه «صلى الله عليه وآله»: أنه «عليه السلام» هو قاضي دينه.

6 - وهو أيضاً زوج البتول ابنة الرسول «صلى الله عليه وآله»، التي لم يكن لها كفؤ غير علي «عليه السلام»، آدم فمن دونه(1).

(1) كشف الغمة ج 2 ص 100 عن صاحب كتاب الفردوس، واللمعة البيضاء ص 96 وبيت الأحزان ص 24 وتفسير القمي ج 2 ص 338 وحياة الإمام الحسن للقرشي ج 1 ص 15 وص 321 عن تلخيص الشافي ج 2 ص 277 والأنوار القدسية ص 36 ووسائل الشيعة ج 20 ص 74 وج 14 ص 49 ودلائل الإمامة ص 80 وعلل الشرائع ج 2 ص 178 وأمالى الصدوق ص 474 ونوادر المعجزات ج 6 ص 84 وتفضيل أمير المؤمنين «عليه السلام» للشيخ المفيد ص 32 ومناقب آل أبي طالب ج 2 ص 290 والفصول المهمة للحر العاملي ج 1 ص 408 وج 3 ص 411 وبحار الأنوار ج 8 ص 6 وج 43 ص 10 و 107 وشهادة النبي «صلى الله عليه وآله» للشيخ محمود شريفى ص 140 وإعلام الورى ج 1 ص 290 وتسليية المجالس وزينة المجالس ج 1 ص 547 ونور البراهين للجزائري ج 1 ص 315 ومستدرك سفينة البحار ج 9 ص 126 و 288 والإمام علي لأحمد الرحمانى الهمداني ص 126 و 334 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 1 ص 241

7 - أما ولداه، فسيدا شباب أهل الجنة، وهما الإمامان قاما أو قعدا.. وريحانتا رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فالفضل، والكرامة، والطهر، والكمال كله متممض في علي «عليه السلام» وفي كل من يحيط به «عليه السلام».

حصيلة ذات مغزى:

ثم إنه «عليه السلام» ختم هذا وذاك بحصيلة ذات مغزى حين أقسم أنه ما اختار غير الله رباً.. ليشير بذلك إلى اختيار غيره رباً غير

والحدائق الناضرة ج23 ص108 وتهذيب الأحكام ج7 ص470 ح90
 وص475 ح116 ومن لا يحضره الفقيه ج3 ص393 والكافي ج1
 ص461 وعيون أخبار الرضا ج2 ص203 و (ط أخرى) ج1
 ص225 والخصال ص414 والمحتضر ص133 و136 وبشارة
 المصطفى ص328 وإحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص1 - 2 وج17
 ص35 ج19 ص117 عن المصادر التالية:
 مودة القربى للهمداني (ط لاهور) ص18 و57 وأهل البيت لتوفيق أبي علم
 ص139 ومقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص95 و (ط أخرى) ج1
 ص66 والفردوس ج3 ص373 و513 والمناقب المرتضوية لمحمد
 صالح الترمذي، وكنوز الحقائق للمناوي (ط بولاق - مصر) ص133
 وينايبع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي ج2 ص80 و244 و286.
 لكن أكثر مصادر أهل السنة اقتصر على عبارة: «لولا علي لم يكن
 لفاطمة كفؤ..» ولم تذكر كلمة: «أدم فمن دونه..».

الله، وديناً غير الإسلام في شطر كبير من حياتهم، وما قالوا: لا إله إلا الله إلا بعد عجزهم عن مواصلة التظاهر بالشرك وعبادة الأصنام.. بل باض الشيطان وفرخ في عقولهم وقلوبهم، فأطاعوه إلى حد العبادة، وأشركوا طاعته وطاعة الهوى مع ما تظاهروا به من طاعة الله.

أما علي «عليه السلام»، فقد كان الله تعالى ربه لم يتخذ رباً سواه، لا في جاهلية ولا في إسلام، وكان الإسلام دينه، وليس الهوى، وكان محمد نبيه، لا شياطين الإنس والجن. ولا زال السيف الذي دافع به عن توحيده، وعن دينه، وعن نبيه بيده.

فإن أراد معاوية أو غيره المساس بهذا الدين، وبشريعة سيد المرسلين، فإن سيعرض نفسه لضربات هذا السيف، الذي قتل به قومه، وخاله، وعمه، وجده..

علي × لم يقتل أبا معاوية:

وقد ورد في النص المنقول عن الإختصاص قوله: «قاتل جدك، وخالك، وأبيك».

ونقول:

إن قوله: «وأبيك» لا معنى له، لأن علياً «عليه السلام» لم يقتل أبا معاوية، بل قتل جده وعمه وخاله، وقد ذكرهم النص صراحة..

فالظاهر: أنها مقحمة خطأ من الراوي أو من ناسخ الكتاب.
أو أن الصحيح: «وأخيك»، لأنه «عليه السلام» قد قتل أخاه
حنظلة بن أبي سفيان أيضاً.

الفصل الثاني:

الريب في حديث الطرماح

بطولات الطيرمّاح حقيقة أم خيال؟!:

قال الصدوق:

كتب معاوية إلى أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه»:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد يا علي، لأضربنك بشهاب قاطع لا يدكنه الريح، ولا يطفئه الماء، إذا اهتز وقع، وإذا وقع نقب. والسلام.

فلما قرأ علي «عليه السلام» كتابه دعا بدواة وقرطاس ثم كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد يا معاوية، فقد كذبت، أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين، قاتل جدك وعمك، وخالك وأبيك. وأنا الذي أفنيت قومك في يوم بدر، ويوم فتح، ويوم أحد، وذلك السيف بيدي، تحمله ساعدي، بجرأة قلبي، كما خلفه النبي «صلى الله عليه وآله» بكف الوصي، لم أستبدل بالله رباً، وبمحمد «صلى الله عليه وآله» نبياً، وبالسيف بدلاً. والسلام على من اتبع الهدى.

ثم طوى الكتاب ودعا الطيرمّاح بن عدي الطائي، وكان رجلاً مفوهاً طوالاً، فقال له: خذ كتابي هذا فانطلق به إلى معاوية ورد جوابه.

فأخذ الطيرمّاح الكتاب، ودعا بعمامة فلبسها فوق قلنسوته، ثم ركب جملاً بازلاً، فتيقاً، مشرفاً، عالياً في الهواء، فسار حتى نزل مدينة دمشق، فسأل عن قواد معاوية، فقيل له: من تريد منهم؟! فقال: أريد جرولاً، وجهضماً، وصلادة، وقلادة، وسوادة، وصاعقة، وأبا المنايا، وأبا الحتوف، وأبا الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وشمر بن ذي الجوشن، والهدي بن [محمد بن] الأشعث الكندي.

فقيل: إنهم يجتمعون عند باب الخضراء.

فنزل وعقل بغيره، وتركهم حتى اجتمعوا. فركب إليهم، فلما بصروا به قاموا إليه يهزؤون به، فقال واحد منهم: يا أعرابي، أعندك خبر من السماء؟!

قال: نعم جبرئيل في السماء، وملك الموت في الهواء، وعلي في الفضاء.

فقالوا له: يا أعرابي من أين أقيمت؟!

قال: من عند التقي النقي، إلى المنافق الردي.

قالوا له: يا أعرابي، فما تنزل إلى الأرض حتى نشاورك؟!

قال: والله ما في مشاورتكم بركة، ولا مثلي يشاور أمثالكم.
قالوا: يا أعرابي، فإننا نكتب إلى يزيد بخبرك. وكان يزيد يومئذ
ولي عهدهم، فكتبوا إليه:
أما بعد يا يزيد، فقد قدم علينا من عند علي بن أبي طالب أعرابي
له لسان، يقول فما يمل، ويكثر فما يكل. والسلام.
فلما قرأ يزيد الكتاب أمر أن يهول عليه، وأن يقام له سماطان
بالباب، بأيديهم أعمدة الحديد. فلما توسطهم الطرماح قال: من
هؤلاء؟! كأنهم زبانية مالك، في ضيق المسالك، عند تلك الهوالك؟!
قالوا: اسكت، هؤلاء أعدوا ليزيد، فلم يلبث أن خرج يزيد، فلما
نظر إليه قال: السلام عليك يا أعرابي.
قال: الله السلام، المؤمن المهيمن، وعلى ولد أمير المؤمنين.
قال: إن أمير المؤمنين يقرء عليك السلام.
قال: سلامه معي من الكوفة.
قال: إنه يعرض عليك الحوائج.
قال: أما أول حاجتي إليه فنزع روحه من بين جنبيه، وأن يقوم
من مجلسه حتى يجلس فيه من هو أحق به وأولى منه.
قال له: يا أعرابي فإننا ندخل عليه، فما فيك حيلة؟!
قال: لذلك قدمت، فاستأذن له على أبيه.
فلما دخل على معاوية ونظر إلى معاوية والسريير قال: السلام

عليك أيها الملك.

قال: وما منعك أن تقول: يا أمير المؤمنين!؟

قال: نحن المؤمنون، فمن أمرك علينا!؟

فقال: ناولني كتابك.

قال: إني لأكره أن أطأ بساطك.

قال: فناوله وزيره.

قال: خان الوزير، وظلم الأمير.

قال: فناوله غلامي.

قال: غلام سوء، اشتراه مولاه من غير حل، واستخدمه في غير

طاعة الله.

قال: فما الحيلة يا أعرابي!؟

قال: ما يحتال مؤمن مثلي لمنافق مثلك. قم صاغراً فخذ.

فقام معاوية صاغراً، فتناوله ثم فضه وقرأه، ثم قال: يا أعرابي

كيف خلفت علياً!؟

قال: خلفته والله جلدأ، حريأ، ضابطأ، كريماً، شجاعأ، جوادأ، لم

يلق جيشأ إلا هزمه، ولا قرناً إلا أرداه، ولا قصرأ إلا هدمه.

قال: فكيف خلفت الحسن والحسين!؟

قال: خلفتهما «صلوات الله عليهما» صحيحين، فصحيحين،

كريمين، شجاعين، جوادين، شابين، طريين، يصلحان للدنيا والآخرة.

قال: فكيف خلفت أصحاب علي؟!!

قال: خلفتهم وعلي «عليه السلام» بينهم كالبدر وهم كالنجوم، إن أمرهم ابتدروا، وإن نهاهم ارتدعوا.

فقال له: يا أعرابي، ما أظن بباب علي أحداً أعلم منك.

قال: ويلك استغفر ربك، وصم سنة كفارة لما قلت، كيف لو رأيت الفصحاء، الأدباء النطاء، ووقعت في بحر علومهم لغرقت يا شقي.

قال: الويل لأمك.

قال: بل طوبى لها ولدت مؤمناً يغمز منافقاً مثلك.

قال له: يا أعرابي هل لك في جائزة؟!!

قال: أرى استنقاص روحك، فكيف لا أرى استنقاص مالك.

فأمر له بمائة ألف درهم، فقال: أزيدك يا أعرابي؟!!

قال: أسدٍ يداً سدُ أبداً.

فأمر له بمائة ألف أخرى.

فقال: ثلثها فإن الله فرد.

ثم ثلثها، فقال: الآن ما تقول؟!!

فقال: أحمد الله وأذمك.

قال: ولم ويلك؟!!

قال: لأنه لم يكن لك ولأبيك ميراثاً، إنما هو من بيت مال المسلمين أعطيتنيه.

ثم أقبل معاوية على كاتبه، فقال: اكتب للأعرابي جواباً فلا طاقة لنا به.

فكتب:

أما بعد يا علي، فلأوجهن إليك بأربعين حملاً من خردل مع كل خردلة ألف مقاتل يشربون الدجلة، ويسقون الفرات.

فلما نظر الطرّمّاح إلى ما كتب به الكاتب أقبل على معاوية، فقال له: سوء لك يا معاوية، فلا أدري أيكما أقل حياءً، أنت أم كاتبك؟! ويملك لو جمعت الجن والإنس وأهل الزبور والفرقان كانوا لا يقولون بما قلت.

قال: ما كتبه عن أمري.

قال: إن لم يكن كتبه عن أمرك فقد استضعفك في سلطانك، وإن كان كتبه بأمرك فقد استحيبك لك من الكذب، أمن أيهما تعتذر، ومن أيهما تعتبر؟! أما إن لعلي «صلوات الله عليه» ديكاً أشتريه جيد العنصر يلتقط الخردل لجيشه وجيوشه، فيجمعه في حوصلته.

قال: و من ذلك يا أعرابي؟!!

قال: ذلك مالك بن الحارث الأشتري، ثم أخذ الكتاب والجائزة وانطلق به إلى علي بن أبي طالب «صلوات الله عليه».

فأقبل معاوية على أصحابه، فقال: نرى لو وجهتكم بأجمعكم في كل ما وجه به صاحبه ما كنتم تؤدون عني عشر عشير ما أدى هذا

عن صاحبه (1).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

إيضاحات:

الجرول - كجعفر -: الحجارة.

الطِرْمَاح: بكسر الطاء والراء، وتشديد الميم.

الجهضم - كجعفر -: الضخم الهامة، المستدير الوجه، الرحب الجنبين، الواسع العينين، والجهضم أيضاً: الأسد.

فأه بالكلام: تلفظ به. والمفوه المنطيق.

بزل البعير: فُطِرَ نابيه، وذلك في السنة التاسعة. وربما بزل في السنة الثامنة.

صلد يصلد - كشراف يشرف -: بخل. والصلد: الصلب أيضاً.

الفتيق: - بالنون -: الفحل المكرم. والفتيق من الجَمال: ما انفتق.

السماط: الصف من الناس.

الجلادة: الصلابة.

حرب الرجل - بكسر الراء - من كلمة حرب: اشتد غضبه.

أَسَدٌ يَدًا سُدُّ أبدأً: أي اعط غيرك نعمة تكون سيداً دائماً.

(1) الإختصاص ص 138 - 141 وبحار الأنوار ج 33 ص 285 - 288.

الأجيد: الحسن العنق، أو طويله.

الأعسر: الذي يعمل باليد اليسرى. ويقال: إنه أشد شيء رمياً.

أما تنزل حتى نشاورك:

وقد ذكرت الرواية: أن المجتمعين قالوا للطرماح: أما تنزل حتى نشاورك؟! مع أن الرواية قد صرحت: أنه لم يكن راكباً، ففيها: أنه نزل عن بعيده، وعقله، وتركهم حتى اجتمعوا.. فما معنى طلبهم النزول منه؟!!

علي × لم يقتل أبا سفيان:

وذكرت الرواية: أن علياً «عليه السلام» يقول لمعاوية: إنه قد قتل أباه أيضاً، مع أن علياً «عليه السلام» لم يقتل أبا سفيان.

الشمر لم يكن مع معاوية:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الطرمّاح عدّ شمر بن ذي الجوشن في جملة قواد معاوية(1).. مع أنه كان آنئذٍ في جملة جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، يحارب ضد معاوية(2).

إلا إن كان المراد: شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري، الذي

(1) الإختصاص ص139 وبحار الأنوار ج33 ص286.

(2) صفين للمتقري ص268 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص213

وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص20 والكامل في التاريخ ج3 ص303.

لحق بعلي «عليه السلام» في أناس من قراء أهل الشام(1).

أو المراد: شمر بن عبد الله الخثعمي(2).

ولكن التصريح بأنه ابن ذي الجوشن يبعد هذه الإحتمالات.

القادة المجهولون والمعروفون:

وقد ذكرت الرواية أسماء قادة معاوية، وقد ظهر لنا:

أولاً: أن أكثرهم مجهول، لم يرد له ذكر في حروب صفين على الأقل، ولعلها أسماء لأشخاص موهومين ولا وجود لهم، ولعل بعضها أوصاف لأشخاص لم تذكر لنا أسماؤهم، مثل:

1 - جرول.

2 - جهضم.

3 - صلادة.

4 - قلادة.

(1) صفين للمنقري ص 222 وبحار الأنوار ج 32 ص 463 ونهج السعادة ج 2 ص 170 وج 8 ص 464 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 180 ورجال الطوسي ص 88 ورجال ابن داود ص 219 وقاموس الرجال للتستري ج 11 ص 366.

(2) صفين للمنقري ص 257 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 5 ص 205 وقاموس الرجال للتستري ج 11 ص 483 وتاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 416 و 417.

5 - أبو الحتوف.

6 - أبو المنايا.

7 - سودة.

8 - صاعقة.

9 - الهدي بن [محمد بن] الأشعث الكندي.

بل لم نعرف منهم سوى أبي الأعور، وعمرو بن العاص.

ثانياً: لم يذكر الطِّرْمَاح شرحبيل بن السمط مثلاً، ولا عبيد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذا الكلاع وأضرابهم في جملة القادة.

ثالثاً: تقدم: أنه ذكر شمر بن ذي الجوشن فيهم.. مع أنه كان في جيش علي «عليه السلام».

رابعاً: ذكر الهدي بن [محمد بن] الأشعث الكندي، ولا نعرف للأشعث ولا لابنه محمد ولداً باسم الهدي.

كما أن الأشعث نفسه كان في جيش علي «عليه السلام».. ولم يذكر أحد أن له أولاداً عند معاوية.

يزيد ولي عهد:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن يزيد بن معاوية كان يومئذٍ ولي

عهد(1). مع أن معاوية إنما جعل يزيد ولي عهده بعد استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»(2).

كما أنه لم يكن ليزيد شأن يذكر في سنة ست أو سبع وثلاثين للهجرة.

السلام على معاوية بإمرة المؤمنين:

وقد ذكرت الرواية أيضاً: أن يزيد كان يذكر أباه للطرمّاح بعنوان أنه أمير المؤمنين. وأن معاوية قد سأله عن سبب عدم التسليم عليه بإمرة المؤمنين.

مع أن معاوية إنما صار يطلب ويعلن ذلك، بعد حرب صفين لا قبلها..

حلم معاوية عن الطرمّاح:

إن ما تذكره الرواية عن الطرمّاح من كلمات جريئة، وإهانات صريحة وفاضحة واجه بها قادة معاوية أولاً، ثم يزيد ثانياً، ثم معاوية

(1) الإختصاص ص139 وبحار الأنوار ج33 ص286 عنه.

(2) راجع: الإستيعاب ج1 ص142 و (ط دار الجيل) ج1 ص391 والغدير ج10 ص228 وراجع: كشف الغمة ج2 ص207 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص202 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص161.

ثالثاً لا يمكن أن يتحمل هؤلاء بعضها، فما بالك بتحمل معاوية من الطرّمّاح هذا الإذلال الذي تدّعي الرواية أن الطرّمّاح قد مارسه ضده.

فالرواية المذكورة لا يمكن الإطمينان لصحتها على هذا النحو، بل الظاهر أنها إما مصنوعة من متبرع لا خبرة له بالناس، ولا بالتاريخ، ولا معرفة له بأخلاق معاوية وأحوال من حوله.. أو محرفة بطريقة غبية ومموجة.

وربما يكون النص التالي أقرب إلى الإعتبار، وإن كان لم يخل هو الآخر من بعض المؤاخذات التي قدمناها.

رواية البستي وإشكالاتها:

وقد ذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار نصاً لرواية الطرّمّاح، لا ترد عليه أكثر المؤاخذات السابقة، والرواية هي التالية:
ذكر العلامة المجلسي «رحمه الله»: أنه وجد بخط بعض الأفاضل، ما يلي:

«..قال الشيخ الأديب أبو بكر بن عبد العزيز البستي بالأسانيد الصحاح: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لما رجع من وقعة الجمل كتب إليه معاوية بن أبي سفيان «عليه اللعنة»:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي

طالب.. أما بعد.. فقد اتبعت ما يضرك، وتركت ما ينفحك، وخالفت كتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله»، وقد انتهى إلي ما فعلت بحواري رسول الله «صلى الله عليه وآله»: طلحة، والزبير، وأم المؤمنين عائشة.

فوالله لأرمينك بشهاب لا تطفية المياه، ولا تزعزع الرياح. إذا وقع وقب، وإذا وقب ثقب، وإذا ثقب ثقب، وإذا ثقب الثقب، فلا تغرنك الجيوش، واستعد للحرب، فإني ملائكتك بجنود لا قبل لك بها. والسلام.

فلما وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فكه وقرأه، ودعا بدواة وقرطاس وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبده علي بن أبي طالب أخي رسول الله، وابن عمه، ووصيه، ومغسله، ومكفنه، وقاضي دينه، وزوج ابنته البتول، وأبي سبطيه الحسن والحسين، إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد.. فإني أفنيت قومك يوم بدر، وقتلت عمك، وخالك، وجدك، والسيف الذي قتلتهم به معي، يحمله ساعدي، بثبات من صدري، وقوة من بدني، ونصرة من ربي، كما جعله النبي «صلى الله عليه وآله» في كفي.

فوالله ما اخترت على الله رباً، ولا على الإسلام ديناً، ولا على محمد نبياً، ولا على السيف بدلاً، فبالغ من رأيك، فاجتهد ولا تقصر،

فقد استحوذ عليك الشيطان، واستفرك الجهل والطغيان، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى.

ثم طوى الكتاب، وختمه ودعا رجلاً من أصحابه يقال له: الطرّمّاح بن عدي بن حاتم الطائي، وكان رجلاً جسيماً، طويلاً، أديباً، لبيباً، فصيحاً لسناً، متكلماً، لا يكل لسانه، ولا يعيا عن الجواب، فعممه بعمامته، ودعى له بجمل بازل، وثيق فائق، أحمر، فسوى راحلته، ووجهه إلى دمشق، فقال له: يا طرّمّاح، انطلق بكتابي هذا إلى معاوية بن أبي سفيان وخذ الجواب.

فأخذ الطرّمّاح الكتاب، وكور بعمامته، وركب مطيته، وانطلق حتى دخل دمشق، فسأل عن دار الإمارة، فلما وصل إلى الباب قال له الحجاب: من بغيتك؟!

قال: أريد أصحاب الأمير أولاً، ثم الأمير ثانياً.

فقالوا له: من تريد منهم؟!

قال: أريد جعشماً، وجرولاً، ومجاشعاً، وبقاعاً - وكان أراد أبا الأعور السلمي، وأبا هريرة الدوسي، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم -.

فقالوا: هم بباب الخضراء يتنزهون في بستان.

فانطلق وسار حتى أشرف على ذلك الموضع، فإذا قوم ببابه، فقالوا: جاءنا أعرابي بدوي دوين إلى السماء تعالوا نستهزئ به، فلما

وقف عليهم قالوا: يا أعرابي هل عندك من السماء خبر؟!!

فقال: بلى، الله تعالى في السماء، وملك الموت في الهواء، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الققاء، فاستعدوا لما ينزل عليكم من البلاء، يا أهل الشقاوة والشقاء.

قالوا: من أين أقبلت؟!!

قال: من عند حر تقي، نقي زكي، مؤمن رضي مرضي.

فقالوا: وأي شيء تريد؟!!

فقال: أريد هذا الدعي الردي، المنافق المردي، الذي تزعمون أنه أميركم.

فعلموا أنه رسول أمير المؤمنين علي «عليه السلام» إلى معاوية، فقالوا: هو في هذا الوقت مشغول.

قال: بماذا؟! بوعد أو وعيد؟!!

قالوا: لا، ولكنه يشاور أصحابه فيما يليق به غداً.

قال: فسحقاً له وبعداً.

فكتبوا إلى معاوية بخبره:

أما بعد.. فقد ورد من عند علي بن أبي طالب رجل أعرابي بدوي، فصيح لسن، طلق نلق، يتكلم فلا يكل، ويطيل فلا يمل، فأعد لكلامه جواباً بالغاً، ولا تكن عنه غافلاً ولا ساهياً. والسلام.

فلما علم الطرمّاح بذلك أناخ راحلته ونزل عنها، وعقلها وجلس

مع القوم الذين يتحدثون. فلما بلغ الخبر إلى معاوية أمر ابنه يزيد أن يخرج ويضرب المصاف على باب داره، فخرج يزيد وكان على وجهه أثر ضربة، فإذا تكلم كان جهير الصوت، فأمر بضرب المصاف ففعلوا ذلك، وقالوا للطيرمّاح: هل لك أن تدخل على باب أمير المؤمنين؟!

فقال: لهذا جئت، وبه أمرت، فقام إليه ومشى، فلما رأى أصحاب المصاف وعليهم ثياب سود، فقال: من هؤلاء القوم؟! كأنهم زبانية لمالك، على ضيق المسالك؟!

فلما دنى من يزيد نظر إليه، فقال: من هذا الميشوم ابن الميشوم، الواسع الحلقوم، المضروب على الخرطوم؟! فقالوا: مه يا أعرابي، ابن الملك يزيد.

فقال: ومن يزيد؟! لا زاد الله مزاده، ولا بلغه مراده، ومن أبوه؟! كنا قدماً غائصين في بحر الخلافة، واليوم استويا على سرير الخلافة.

فسمع [يزيد] ذلك، واستشاط وهمّ بقتله غضباً، ثم كره أن يحدث دون إذن أبيه، فلم يقتله خوفاً منه، وكظم غيظه، وخبا ناره، وسلم عليه، فقال: يا أعرابي إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام.

فقال: سلامه معي من الكوفة.

فقال يزيد: سلني عما شئت، فقد أمرني أمير المؤمنين بقضاء حاجتك.

فقال: حاجتي إليه أن يقوم من مقامه حتى يجلس من هو أولى منه بهذا الأمر!!

قال: فماذا تريد أنفاً.

قال: الدخول عليه.

فأمر برفع الحجاب، وأدخله إلى معاوية وصواحيبه.

فلما دخل الطرماح وهو منتعل قالوا له: اخلع نعليك.

فالتفت يميناً وشمالاً ثم قال: هذا رب الواد المقدس فأخلع نعلي؟! فنظر فإذا هو معاوية قاعد على السرير مع قواعده وخاصته، ومثل بين يديه خدمه، فقال: السلام عليك أيها الملك العاصي.

فقرب إليه عمرو بن العاص، فقال: ويحك يا أعرابي، ما منعك أن تدعوه بأمرير المؤمنين؟!

فقال الأعرابي: ثكلتك أمك يا أحمق، نحن المؤمنون، فمن أمره علينا بالخلافة؟!

فقال معاوية: ما معك يا أعرابي؟!

فقال: كتاب مختوم من إمام معصوم.

فقال: ناولنيه.

قال: أكره أن أطأ بساطك.

قال: ناوله وزيرى هذا، وأشار إلى عمرو بن العاص.

فقال: هيهات هيهات، ظلم الأمير وخان الوزير.

فقال: ناوله ولدي هذا، وأشار إلى يزيد.

فقال: ما نرضى بابليس فكيف بأولاده؟!!

فقال: ناوله مملوكي هذا، وأشار إلى غلام له قائم على رأسه.

فقال الأعرابي: مملوك اشتريته [من] غير حل، وتستعمله في

غير حق!!

قال: ويحك يا أعرابي، فما الحيلة؟! وكيف نأخذ الكتاب؟!!

فقال الأعرابي: أن تقوم من مقامك، وتأخذه بيدك على غير كره

منك، فإنه كتاب رجل كريم، وسيد عليم، وحر حليم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

فلما سمع منه معاوية وثب من مكانه، وأخذ منه الكتاب بغضب،

وفكه وقرأه، ووضع تحت ركبتيه، ثم قال: كيف خلفت أبا الحسن

والحسين؟!!

قال: خلفته بحمد الله كالبدر الطالع، حواليه أصحابه كالنجوم

الثواقب اللوامع، إذا أمرهم بأمر ابتدروا إليه، وإذا نهاهم عن شيء لم

يتجاسروا عليه، وهو من بأسه يا معاوية في تجلد. بطل شجاع، سيد

سميدع، إن لقي جيشاً هزمه وأرداه، وإن لقي قرناً سلبه وأفناه، وإن

لقي عدواً قتله وجزاه.

قال معاوية: كيف خلفت الحسن والحسين؟!!

قال: خلفتهما بحمد الله شابيين نقيين تقيين، زكيين عفيفين،

صحيحين سيدين، طيبين فاضلين، عاقلين عالمين، مصلحين في الدنيا والآخرة.

فسكت معاوية ساعة، فقال: ما أفصحك يا أعرابي؟!!

قال: لو بلغت باب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لوجدت الأدباء الفصحاء، البلغاء الفقهاء، النجباء الأتقياء الأصفياء، ولرأيت رجالاً سيماهم في وجوههم من أثر السجود، حتى إذا استعرت نار الوغى قذفوا بأنفسهم في تلك الشعلة، لابسين القلوب على مدارعهم قائمين ليلهم، صائمين نهارهم، لا تأخذهم في الله ولا في ولي الله علي لومة لائم، فإذا أنت يا معاوية رأيتهم على هذه الحال غرقت في بحر عميق لا تنجو من لجته.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية سراً: هذا رجل أعرابي بدوي، لو أرضيته بالمال لتكلم فيك بخير.

فقال معاوية: يا أعرابي ما تقول في الجائزة، أتأخذها مني أم لا؟! قال: بل آخذها، فوالله أنا أريد استقباض روحك من جسدك، فكيف باستقباض مالك من خزانتك؟! فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم قال: أتحب أن أزيدك؟!!

قال: زد فإنك لا تعطيه من مال أبيك، وإن الله تعالى ولي من يزيد.

قال: أعطوه عشرين ألفاً.

قال الطرّمّاح: اجعلها وترّاً، فإن الله تعالى هو الوتر ويحب الوتر.
قال: أعطوه ثلاثين ألفاً.

فمد الطرّمّاح بصره إلى إيراده، فأبطأ عليه ساعة، فقال: يا ملك
تستهزئ بي على فراشك؟!
فقال: لماذا يا أعرابي؟!

قال: إنك أمرت لي بجائزة لا أراها ولا تراها، فإنها بمنزلة الريح
التي تهب من قلل الجبال!!

فأحضر المال ووضع بين يدي الطرّمّاح، فلما قبض المال سكت
ولم يتكلم بشيء.

[فـ] قال عمرو بن العاص: يا أعرابي كيف ترى جائزة أمير
المؤمنين.

فقال الأعرابي: هذا مال المسلمين، من خزانة رب العالمين، أخذه
عبد من عباد الله الصالحين.

فالتفت معاوية إلى كاتبه وقال: اكتب جوابه، فوالله لقد أظلمت
الدنيا علي وما لي طاقة.

فأخذ الكاتب القرطاس، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبده معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي

طالب..

أما بعد.. فأني أوجه إليك جنداً من جنود الشام، مقدمته بالكوفة، وساقته بساحل البحر، ولأرمينك بألف حمل من خردل، تحت كل خردل ألف مقاتل، فإن أطفأت نار الفتنة، وسلمت إلينا قتلة عثمان، وإلا فلا تقل: غال ابن أبي سفيان، ولا يغرنك شجاعة أهل العراق واتفاقهم، فإن اتفاقهم نفاق، فمثلهم كمثل الحمار الناهق، يميلون مع كل ناعق. والسلام.

فلما نظر الطرمّاح إلى ما يخرج تحت قلمه قال: سبحان الله لا أدري أيكما أكذب!! أنت بادعائك، أم كاتبك فيما كتب!! لو اجتمع أهل الشرق والغرب من الجن والإنس لم يقدرُوا به على ذلك. فنظر معاوية، فقال: والله لقد كتب من غير أمري. فقال: إن كنت لم تأمره فقد استضعفك، وإن كنت أمرته فقد استفضحك.

أو قال: إن كتب من تلقاء نفسه فقد خانك، وإن أمرته بذلك فأنتما خائنان كاذبان في الدنيا والآخرة.

ثم قال الطرمّاح: يا معاوية أظنك تهدد البط بالشط. فدع الوعيد فما وعيدك ضائر أظنين أجنحة الذباب يضير والله إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لديكاً عليّ الصوت، عظيم المنقار، يلتقط الجيش بخيشومه، ويصرفه إلى قانصته، ويحطه إلى حوصلته.

فقال معاوية: والله كذلك هو مالك بن الأشتر النخعي

ثم قال: ارجع بسلام مني.

وفي رواية أخرى: خذ المال والكتاب وانصرف، فجزاك الله عن صاحبك خيراً.

فأخذ الطرِمَّاح الكتاب وحمل المال وخرج من عنده، وركب مطيته وسار.

ثم التفت معاوية إلى أصحابه، فقال: لو أعطيت جميع ما أملك لرجل منكم لم يؤد عني عشر عشير ما أدى هذا الأعرابي عن صاحبه.

فقال عمرو بن العاص: لو أن لك قرابة كقرابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان معك الحق كما هو معه لأدينا عنك أفضل من ذلك أضعافاً مضاعفة.

فقال معاوية: فض الله فاك، وقطع شفتيك، والله لكلامك عليّ أشد من كلام الأعرابي، ولقد ضاقت علي الدنيا بحذافيرها(1).

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

(1) بحار الأنوار ج 33 ص 289 - 294.

لمحات في جواب علي ×:

1 - إن جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لمعاوية على رسالته الأولى يضع أمام عين القارئ والناظر صورتين لفريقيين يتناقضان في المسار والسلوك، وفي النهج، وفي الدوافع والأهداف، ولا يلتقيان على شيء. فالفريق الذي يكون فيه علي «عليه السلام» هو فريق الدين والتقوى، والهدى والخير، والصلاح والبر، والعلم والفضيلة والكرامة، والقيم والمثل العليا، وهو «عليه السلام» أخو الرسول، وابن عمه، ووصيه، ومغسله، ومكفنه، وقاضي دينه، وزوج ابنته، وأبو سبطيه.

ومعاوية وفريقه هم في جملة الفريق الذي حارب الله ورسوله، وفيهم من قتل بسيف علي «عليه السلام»، ومن المقتولين: عم، وجد، وخال معاوية بالذات..

2 - كما أن جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا قد أوضح أن هذا الإصطفاف والتحدي لا يزال قائماً.. ولم يزل بنفس القوة والعنف، ولا تزال روح التحدي والمواجهة على حالها من التأثير، والحيوية والقوة، والحركة والنشاط. ولا يزال فريق أهل الإيمان على الحال التي كانت له من الارتباط بالله، ومن الحظوة بالرعاية، والحفظ، والنصر الإلهي.

ولذلك قال «عليه السلام» لمعاوية: «والسيف الذي قتلتم به معي، يحمله ساعدي، بثبات من صدري، وقوة من بدني، ونصرة من

ربي، كما جعله النبي «صلى الله عليه وآله» في كفي».

كما أن حال معاوية وفريقه لم يختلف عما كان عليه في الجاهلية، إن لم نقل: إنه ازداد أَيْغالاً في الإنحراف، وتمادياً في الغي.

3 - وقد استفاد «عليه السلام» هنا من المقارنة بين الحالتين اللتين كانتا في الفترة التي سبقت تظاهر معاوية وفريقه بالإسلام، والتي تلتها، لأن هذه المقارنة هي التي توضح للناس إن كان إسلام هذا الفريق حقيقياً أم صورياً..

وهي تصنع في أيديهم ضابطة يمكنهم الاستفادة منها في مختلف الحالات المشابهة، فإن مجرد التظاهر بالإسلام لا يكفي للتسليم والإستسلام، وغض النظر عن المحاسبة، والتأمل والدراسة لمعرفة ما طرأ من تحولات، وحجمها ومداهها.

الفرق بين الروایتين:

وقد لاحظنا: أن رواية السبتي هذه قد خلت عن العديد من الخصوصيات التي أوجبت الريب في النص المروي في كتاب الإختصاص.. واختلفت معها في العديد من الخصوصيات الأخرى أيضاً.

فليس في هذه الرواية أن يزيد بن معاوية كان ولي عهد.

وليس فيها ذكر لشمر بن ذي الجوشن في جملة قادة معاوية.

وليس فيها ذكر لابن الأشعث بن قيس في جملتهم أيضاً.

كما أنها اقتصرت على ذكر أربعة أسماء من أصحاب معاوية صرحت بأنها ليست أسماء حقيقية، وإنما أريد بها التكنية عن أبي الأعور، وأبي هريرة، ومروان، وابن العاص.

هذا بالإضافة إلى فوارق أخرى بين الروائين تظهر بالمراجعة والمقارنة.

إشكالات في رواية البستي:

ولكن رواية البستي ليست سليمة تماماً عن الإشكال فهي:

أولاً: قد ذكرت أن المطلوب من الطرمّاح هو أن يخاطب معاوية بإمرة المؤمنين أيضاً، وكان يزيد يعبر عن أبيه بأمر المؤمنين، وقد قلنا: إن معاوية لم يكن يتجاهر بذلك آنئذٍ.. إلا إن كان الكلام مع الطرمّاح كان يعتمد على خلط الجد بالهزل، بهدف تحريك الطرف الآخر، لمعرفة طبيعة ردود فعله، حين يوضع في موقف محرج.

ثانياً: لم نفهم السبب في أن الطرمّاح حين وصل إلى دمشق قد طلب مقابلة أصحاب معاوية أولاً.. وحين قابلهم لم يأت بشيء لافت للنظر يبزر طلبه هذا.

كما أننا لم نر مبرراً لاختيار هؤلاء الأربعة دون سواهم من أصحاب معاوية، فلماذا اقتصر على أبي هريرة، وابن العاص، ومروان، وأبي الأعور؟! وأية خصوصية لهؤلاء الأربعة يا ترى؟!!

ولماذا لم يطلب رؤية شرحبيل بن السمط، وعبد الرحمن بن خالد

بن الوليد، وذا الكلاع، والوليد بن عقبة وأضرابهم؟!!

ثالثاً: هل صحيح أن أحداً من الأربعة المذكورين لم يكن يعرف

الطِرمَّاح؟!!

ولماذا لم يسألوه عن اسمه، واسم بلده، وقبيلته؟! كما أن معاوية

لم يسأله عن شيء من ذلك؟!!

ولماذا دخل الطِرمَّاح الشام وخرج منها، وبقي مجهول الاسم

والنسب عن حكامها وأهلها على حد سواء؟!!

وكيف فات معاوية وابن العاص، ومروان، وسواهم ممن سمع

منطق هذا الأعرابي - كيف فاتهم - أن يتعرفوا عليه، ويتقربوا إليه،

ويعرفوا أصله وفصله، ومنشأه وغير ذلك؟! ليلحقوه بما يبدر منه

ولو بعد حين؟!!

وحين وجدوا جوابه حاضراً، لماذا لم يكفوا عن الإستهزاء به؟!!

ولماذا لم يناقشوه في أجوبته حتى لا تترك آثاراً سلبية على أهل

الشام؟!!

وكيف رضوا منه أن يتهم معاوية بأنه دعيّ، وابن زنا، ومنافق؟!!

ولماذا لم يتهددوه ويسكتوه عن مثل هذه الأقوال؟!!

ولماذا سكت عنه معاوية نفسه حين وصفه ووصف ولده يزيد

بأنه أبلّيس وابنه؟!!

رابعاً: زعم مروان، وابن العاص، وأبو الأعور، وأبو هريرة: أن

معاوية كان مشغولاً بمشاورة أصحابه بما يلقيه في اليوم التالي..

ولنا أن نسأل:

1 - هل لمعاوية أصحاب وأحباب أقرب إليه، وأوثق في نفسه، وأسدّ رأياً، وأعظم نصحاً له من ابن العاص، ومن مروان، وأبي الأعرور؟! فلماذا جمع أولئك عنده وترك هؤلاء؟!

2 - ما الذي كان معاوية يريد أن يلقيه في اليوم التالي؟! أهو خطاب سياسي؟! أم موعظة؟! أم عصا سحرية؟! أم ماذا؟! وهل كان من عادته أن يشاور أصحابه فيما يريد أن يقوله للناس؟!

وهل كان اليوم التالي يوم الجمعة؟! أو يوم عيد؟! أم ماذا؟!

خامساً: هل كان أصحاب معاوية يتواصلون معه بالكتب؟! أم يدخلون عليه ويخبرونه بما يريدون؟!

سادساً: هل يليق بمعاوية أن يوقف الناس صفوفاً على باب داره لاستقبال رسول يحمل إليه كتاباً؟!

سابعاً: هل كان الناس يطلقون على معاوية اسم الملك في تلك الفترة؟!

إن النصوص لا تؤيد ذلك، فما معنى أن يقول الناس للطرمّاح عن يزيد: إنه «ابن الملك».

ثامناً: لم نفهم معنى لقول الطرمّاح عن يزيد ومعاوية: «كانا قدماً

غائصين في بحر الجلالة، واليوم استويا على سرير الخلافة». فإن معاوية نفسه لم يكن قد ادّعى الخلافة لنفسه إلى ذلك الوقت، فكيف يقول الطرّمّاح عنه: إنه استوى على سرير الخلافة؟!!

ولو سلمنا أن معاوية قد استوى على سرير الخلافة، فإن ولده لم يستو عليه بعد، ولم يكن خليفة، ولا ولي عهد في ذلك الوقت.

تاسعاً: إن رواية الإختصاص تحدثت عن أن معاوية عرض على الطرّمّاح مئة ألف.. ثم أنهاها إلى ثلاث مئة ألف درهم..

ولكن رواية البستي تقول: إنه عرض عليه عشرة آلاف، ثم أنهاها إلى ثلاثين ألفاً.. وشتان ما بينهما.

عاشراً: إن رواية الإختصاص تحدثت عن أربعين حملاً من خردل، مع كل خردلة ألف مقاتل، يشربون دجلة، ويسقون الفرات.

بينما نجد في رواية البستي قوله: لأرمينك بألف حمل من خردلٍ تحت كل خردل ألف مقاتل.

حادي عشر: إننا لم نفهم المراد من شرب دجلة، ومن سقي الفرات، فمن الذي يشرب؟! ومن الذي يسقي ويستقي؟!!

من هو الطرّمّاح؟!:

وأخيراً: فإن رواية البستي قد ذكرت أن الطرّمّاح هو ابن عدي بن حاتم الطائي.. وهو غير صحيح، فإن الطرمّاح رجلان:

أحدهما: الطِرْمَاح الأصغر، وهو ابن حكيم بن نفر، بن قيس..
إلى أن ينتهي إلى جرول بن ثعل. وكان خارجياً⁽¹⁾.

والثاني: الطِرْمَاح الأكبر، وهو ابن عدي بن عبد الله، بن
خيبري.. وكان أيضاً خارجياً، صفرياً⁽²⁾.

فلا معنى لقول الرواية: إنه ابن عدي بن حاتم الطائي..

(1) جمهرة أنساب العرب ص403.

(2) جمهرة أنساب العرب ص403 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج24

ص466.

الفصل الثالث:

البعلي في الشام

البجلي رسول علي ×:

روى نصر، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي: أن علياً «عليه السلام» حين قدم من البصرة نزع جريراً (عن) همدان، فجاء حتى نزل الكوفة، فأراد «عليه السلام» على أن يبعث إلى معاوية رسولاً، فقال له جرير: ابعثني إلى معاوية، فإنه لم يزل لي مستنصحاً ووداً⁽¹⁾. فأتيه، فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر، ويجامعك على الحق، على أن يكون أميراً من أمرائك، وعاملاً من عمالك، ما عمل بطاعة الله، واتبع ما في كتاب الله. وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك، وجلهم قومي، وأهل بلادي، وقد رجوت ألا يعصوني.

(1) الود، بكسر الواو: الصديق، كالحب بمعنى المحبوب. والود، بضم الواو: الصديق، على حذف المضاف. وجاء في اللسان: «وفي حديث ابن عمر: إن أبا هذا كان ودا لعمر. هو على حذف المضاف، تقديره كان ذا ود لعمر، أي صديقاً».

فقال له الأشر: لا تبعثه، ودعه، ولا تصدقه، فوالله إني لأظن
هواه هواهم، ونيته نيتهم.

فقال له علي: دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا.

فبعثه علي «عليه السلام» وقال له حين أراد أن يبعثه: إن حولي
من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أهل الدين والرأي
من قد رأيت، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله «صلى الله عليه
وآله» فيك: «إنك من خير ذي يمن».

أنت معاوية بكتابي، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ
إليه، وأعلمه أني لا أرضى به أميراً، وأن العامة لا ترضى به
خليفة».

فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية، فدخل عليه، فحمد
الله وأثنى عليه وقال: «أما بعد يا معاوية، فإنه قد اجتمع لابن عمك
أهل الحرمين وأهل المصريين، وأهل الحجاز، وأهل اليمن، وأهل
مصر، وأهل العروض وعمان، وأهل البحرين واليمامة، فلم يبق إلا
أهل هذه الحصون التي أنت فيها، لو سال عليها سيل من أوديته
غرقها. وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا
الرجل».

ودفع إليه كتاب علي بن طالب، وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام، لأنه بايعني

القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بُويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.

وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضاء، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً.

وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما على ذلك، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إلي فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء. فإن تعرضت له قاتلتك، واستعنت الله عليك.

وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله.

فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن.

ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان.

واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى.

وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهجرة. فبايع ولا قوة إلا بالله»⁽¹⁾.

فلما قرأ الكتاب قام جرير فقال:

«الحمد لله المحمود بالعوائد، المأمول منه الزوائد، المرتجى منه الثواب، المستعان على النوائب. أحمده وأستعينه في الأمور التي تحير دونها الألباب، وتضمحل عندها الأسباب. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بعد الفترة، وبعد الرسل الماضية والقرون الخالية، والأبدان البالية، والجيلة الطاغية، فبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وأدى الحق الذي استودعه الله، وأمره بأدائه إلى أمته. صلى الله عليه وآله من مبعث ومنتجب.

ثم قال: أيها الناس، إن أمر عثمان قد أعيأ من شهبه، فما ظنكم بمن غاب عنه؟! وإن الناس بايعوا علياً غير واثق ولا موتور، وكان طلحة والزبير ممن بايعه ثم نكثا بيعته على غير حدث.

(1) صفيين للمنقري ص 27 و 28 وراجع: تاريخ مدينة دمشق، والعقد الفريد ج 3 ص 106 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 75 و 76 والإمامة والسياسة ج 1 ص 93 و (تحقيق الزيني) ج 1 ص 85 و (تحقيق الشيري) ج 1 ص 114 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج 1 ص 368 ونهج السعادة ج 4 ص 91 والغدير ج 10 ص 316 وراجع: نهج البلاغة الكتاب رقم 6 .

ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن، ألا وإن العرب لا تحتمل
السيف.

وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء
للناس. وقد بايعت العامة علياً. ولو ملكنا الله أمورنا لم نختر لها غيره،
ومن خالف هذا استعتب.

فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس. فإن قلت: استعملني عثمان
ثم لم يعزلني، فإن هذا أمر لو جاز لم يقيم الله دين، وكان لكل امرئ ما
في يديه. ولكن الله لم يجعل للآخر من الولاية حق الأول، وجعل تلك
أموراً موطأة، وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً، [ثم قعد].

فقال معاوية: انظر وبنظر، واستطلع رأي أهل الشام. فلما فرغ
جرير من خطبته أمر معاوية منادياً، فنادى: الصلاة جامعة.

فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال: الحمد لله الذي جعل
الدعائم للإسلام أركاناً، والشرائع للإيمان برهاناً، يتوقد قبسه في
الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده،
فأحلها أهل الشام، ورضيهم لها ورضيها لهم، لما سبق من مكنون
علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه، والقوام بأمره، والذابين عن
دينه وحرماته.

ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً، وفي سبيل الخيرات أعلاماً، يردع الله
بهم الناكثين، ويجمع بهم ألفة المؤمنين. والله نستعين على ما تشعب

من أمر المسلمين بعد الإلتئام، وتباعد بعد القرب.

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا، ويخيفون آمننا، ويريدون هراقة دماننا، وإخافة سبيلنا. وقد يعلم الله أننا لم نرد بهم عقاباً، ولا نهتك لهم حجاباً، ولا نوطئهم زلقاً. غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ما جاوب الصدى، وسقط الندى، وعرف الهدى. حملهم على خلافنا البغي والحسد، فإله نستعين عليهم.

أيها الناس، قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأني خليفة عثمان بن عفان عليكم، وأني لم أقم رجلاً منكم على خراية قط، وأني ولي عثمان وقد قتل مظلوماً. والله يقول: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)(1). وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان».

فقام أهل الشام بأجمعهم، فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم، أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم.

فلما أمسى معاوية، وكان قد اغتم بما هو فيه(2).

قال نصر: فحدثني محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال:

(1) الآية 33 من سورة الإسراء.

(2) صفين للمنقري ص30 - 32 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص76 -

87 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص128 - 130.

لما جن معاوية الليل، واغتم، وعنده أهل بيته، قال:

تطاول ليلى واعترتني وساوسي لآت أتى بالترهات البسابس
 أتنا جرير والحوادث جمة بتلك التي فيها اجتداع
 المعاطس
 أكابده والسيف بيني وبينه ولست لأثواب الدنيّ بلابس
 إن الشام أعطت طاعة يمنية توأصفها أشياخها في
 المجلس
 فإن يجمعوا أصدم علياً بجبهة تفت عليه كل رطب ويابس
 وإني لأرجو خير ما نال نائل وما أنا من ملك العراق بأيس
 وإلا يكونوا عند ظني بنصرهم وإن يخلّفوا ظني كف
 عابس(1)

عن نصر، قال: حدثني محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني قال:
 واستحثه جرير بالبيعة، فقال: يا جرير، إنها ليست بخلسة، وإنه أمر
 له ما بعده، فأبلعني ريقى حتى أنظر.

ودعا ثقاته، فقال له عتبة بن أبي سفيان - وكان نظيره -: اجتمع
 على هذا الأمر بعمر بن العاص، وأثمن له بدينه، فإنه من قد عرفت،
 وقد اعتزل أمر عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالاً إن يرَ
 فرصة(2).

(1) الشطر لا يستقيم.

(2) صفين للمنقري ص 27 - 33 وبحار الأنوار ج 32 ص 366 - 370 وشرح

ونقول:

هنا أمور كثيرة تحتاج إلى بيان، نذكر منها ما يلي:

تبرع جرير بالذهب إلى الشام:

إن أول سؤال يواجه القارئ هنا هو عن السبب في تبرع جرير بأن يكون هو رسول علي «عليه السلام» إلى معاوية.

ونقول:

أولاً: قد يقال: لقد أجاب جرير نفسه عن ذلك، بادعائه أنه يريد تقديم خدمة، وأن يستفيد من الثقة والصداقة والمودة التي بينه وبين معاوية، وأن جل أهل الشام هم قومه، وأهل بلاده، ويرجو أن لا يعصوه. فيوظف ذلك في حل مشكلة معاوية المستعصية.

ثانياً: قال المبرد: إن علياً «عليه السلام» هو الذي انتدب جريراً للذهاب إلى معاوية، وليس العكس.. فقد ذكر: «أن علياً «عليه السلام» لما أراد أن يبعث جريراً إلى معاوية قال: والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصري شيئاً، وما أطمع لك في معاوية. فقال علي «عليه السلام»: إنما قصدي حجة أقيمها»⁽¹⁾.

نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص74 - 79 والإمامة والسياسة (تحقيق

الزيني) ج1 ص84 - 86 و (تحقيق الشيرازي) ج1 ص113 - 115.

(1) بحار الأنوار ج32 ص393 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص88

وراجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص84 و (تحقيق الشيرازي)

وهذا معناه: أن جريراً لم يكن راغباً في المسير إلى معاوية في بداية الأمر، ثم اقتنع بذلك حين قال له «عليه السلام»: إنما قصدي حجة أقيمها.

ويمكن أن يكون الأشر قد بادر إلى إظهار عدم رضاه بذهاب جرير، فاضطر جرير إلى إثبات إخلاصه، فرضي، وربما أصرَّ على الذهاب، ليثبت عكس ما يقوله الأشر منه.

ولكن الأشر قد شكك في صدق جرير في أقواله، وفي إخلاصه، وفي صحة نواياه. ولم يكذبه علي «عليه السلام» في ذلك، بل اكتفى بقوله له: «دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا».

كما أنه لم ينهه عن الجهر بأقواله القاسية لجرير، فكيف نفهم ذلك؟! فإنه إن كان علي «عليه السلام» شاكاً في إخلاص جرير، فلماذا أرسله إلى الشام؟! وإن كان غير ذلك، فلماذا لم ينه الأشر عن أقواله القاسية تلك؟!!

إننا من أجل أن تتضح الصورة، وتظهر الإجابة، لا بد من التكلم في بعض الأمور، وهي التالية:

جرير منحرف عن علي ×:

هناك شواهد كثيرة تدل على انحراف جرير البجلي عن علي

«عليه السلام» من أول الأمر، فلاحظ ما يلي:

- 1 - عن الأعمش: إن جريراً والأشعث خرجا إلى جبان الكوفة. فمر بهما ضب يعدو - وهما في ذم علي - فناداه: يا أبا حسل(1)، هلم يدك نبايعك بالخلافة.
- فبلغ علياً «عليه السلام» قولهما، فقال: أما إنهما يحشران يوم القيامة، وإمامهما ضب(2).

- 2 - إن قول ابن أخت جرير في شعره الذي أرسله إليه، يشير إلى عثمانية جرير، ويدل على أن انتقاله من موقعه هذا إلى موالة علي «عليه السلام» والبيعة له كان صعباً عليه.. وقد قال:

جرير بن عبد الله لا تردد الهدى	وبايع علياً إنني لك ناصح
فإن علياً خير من وطئ الحصى	سوى أحمد والموت غاد ورائح
ودع عنك قول الناكثين فإنما	أولاك، أبا عمرو، كلاب نوابح
وبايعه إن بايعته بنصيحة	ولا يك معها في ضميرك قاذح
فإنك إن تطلب به الدين تعطه	وإن تطلب الدنيا فبيعتك رابح
وإن قلت عثمان بن عفان حقه	على عظيم والشكور مناصح
فحق على إذ وليك كحقه	وشرك ما أوليت في الناس

ص

(1) أبو حسل: كنية الضب.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 4 ص 75 و 76.

وهذا يشير إلى أن معاوية قد اشترى منه دينه - كما اشترى من عمرو بن العاص دينه.

4 - وفي بعض الروايات: أن أحد القرشيين سأل علياً «عليه السلام» عن الأشعث وجريير، فقال «عليه السلام»: أما هذا الأعور - يعنى الأشعث - فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده، ولا أظهر فضلاً إلا عابه، وهو يمئى نفسه ويخدعها، يخاف ويرجو، فهو بينهما لا يثق بواحد منهما، وقد منَّ الله عليه بأن جعله جباناً، ولو كان شجاعاً لقتله الحق..

وأما هذا الأکشف - يعنى جرير بن عبد الله البجلي - عبد الجاهلية، فهو يرى كل أحد يحقره، فهو ممتلى بأواً (أي كبراً)، وهو في ذلك يألب حجراً (لعل الصحيح: حجراً) يؤويه، ومنصباً يغنيه.

وهذا الأعور يغويه ويطغيه، إن حدثه كذبه، وإن قام دونه نكص عنه،

فهما كالشيطان (إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)(1).

ص26 عن أنساب الأشراف ج2 ص156 - 157 وعن (طدار الفكر) ج2 ص368 وغاية المرام ج1 ص287 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص741 عن البلاذري في أنساب الأشراف، وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص127.

(1) الآية 16 من سورة الحشر.

قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين لقد نزلت بشر منزل، ما أنت إلا بين الكلب والذئب!!

قال: هو عملكم يا معشر قريش، والله ما خرجت منكم إلا أني خفت أن تلجوا بي فألج بكم!!(1).

وبذلك كذب ما رووه عن النبي «صلى الله عليه وآله» من أنه قال فيه حين جاء وافداً: «يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك، فطلع جرير»(2).

ونتيجة ما ذكرناه: هو أن علياً «عليه السلام» كان يعرف صدق الأشر فيما ينسبه إلى جرير، ولأجل ذلك لم يعترض عليه فيما قال؛ لكنه طلب منه أن يفسح المجال لإرسال جرير إلى الشام ليروا بماذا سيعود إليهم.

وكلامه هذا يدل على أنه واثق بعودة جرير من الشام إلى الكوفة، ولكنه لا ينفي عنه ما يتهم به من انحراف عنه إلى أعدائه..

فيأتي السؤال من جديد، ليقول: ما هي المصلحة في إرسال جرير إلى الشام يا ترى!؟

(1) نثر الدر للآبي ج 1 ص 324 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 20 ص 268.
 (2) الإستيعاب ج 1 ص 236 و (ط دار الجيل) ج 1 ص 238 وبحار الأنوار ج 21 ص 371 ومجمع الزوائد ج 9 ص 372.

من أسرار سياسات علي ×:

وإذا أردنا أن نجيب على هذا السؤال، فإن علينا أن نعترف أولاً بأننا لا نملك نصوصاً تصرح لنا بما يصلح جواباً عليه، فغاية ما يمكننا قوله هو ما يلي:

1 - إن علياً «عليه السلام» كان يعلم أن معاوية يسير باتجاه العصيان، وهو بصدد التهيئة والإستعداد للحرب، وسيجد من بقايا الناكثين، ومن قومه الأمويين، ومن كل الموتورين، والمنحرفين كل تأييد ومعونة.. وأن القضية مجرد قضية وقت، فلا بد من الإستعداد للمواجهة.

2 - إنه لا بد من إقامة الحجة، واستفراغ الوسع في سد الذرائع التي يمكن أن يلجأ إليها أولئك المكارون لخداع الناس البسطاء، وجرهم إلى مأزق الخروج على إمامهم، وارتكاب هذا الجرم العظيم المتمثل بشن الحرب على سيد الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

3 - إن من مفردات سد الذرائع: أنه «عليه السلام» لا يريد أن يمكّن معاوية من أن يدّعي للناس البسطاء: أن علياً «عليه السلام» عامله بخشونة، واستعمل أسلوب التهديد والوعيد، وسعى لكسره، وإذلاله، وتحطيم شخصيته، بلا جرم صدر منه، ولا ذنب أتاه.

وذلك أنه «عليه السلام» أرسل إليه رسلاً لم يرعوا له حرمة، ولا حفظوا له كرامة. بل عاملوه بالفظاظة والغلظة. وهذا الأمر يدل

الناس على أن مصيرهم قد يكون بالغ السوء، فإن هذه البوادر تغني عن البشائر، لأنها تعطي الإنطباع عن أن التعامل إذا كانت هذه صورته في البداية، فما بالك بما ستكون عليه النهاية؟!!

وإذا كان هذا حال القادة والسادة، والأقوياء والعظماء، ورجال الطراز الأول، فكيف ستكون عليه حال عامة الناس من الضعفاء ومن لا حول لهم ولا قوة؟!!

4 - وكل ذلك يعطي: أن الرفق في البداية هو القرار الصائب، الذي لا بد منه، ولا محيص عنه..

بل إن الأصوب منه: هو أن يختار «عليه السلام» الرفيق والصديق، والحبیب والقريب، لمعاوية، وذا العشيرة والمقام المرضي في أهل الشام..

5 - والأعلى والأعلى من هذا وذاك ما إذا كان الرسول إلى معاوية وأهل الشام لهم ومنهم، ويوافقهم في الإعتقاد، وفي الرؤية، وفي الإنتماء السياسي، ولا يريد لهم إلا الفلاح والنجاح، ويشاركهم في البعد عن علي «عليه السلام»، بل وفي البغض له، والتحامل عليه، وبذلك تصبح الأمور أكثر وضوحاً، وأبعد عن أي تشكيك، أو ريبة.

ويكون «عليه السلام» بذلك: قد أخذ معاوية وأهل الشام من بين أيديهم ومن خلفهم.

6 - وعلى هذا، فإن أي مكابرة أو عناد، أو عصيان، سيكون غير

قابل للتوجيه والتبرير أمام أحد من الناس، حتى أمام أنفسهم؛ لأنهم سيجدون أنفسهم في موقع المعتدي، والباغي والظالم..

7 - من أجل ذلك نقول:

إن الأشتر رحمه الله قد نظر إلى الأمور من زاوية تختلف عن الزاوية التي نظر منها أمير المؤمنين «عليه السلام».. ولو التفت إلى ما كان يرمي إليه، لكان أشد حماساً لرأي علي «عليه السلام» منه إلى رأيه.

8 - غير أنه قد كان من الضروري جداً أن يصرح الأشتر بحقيقة جرير بن عبد الله البجلي، وبغشه لعلي «عليه السلام» وبنفاقه، وعداوته له، وممالاته وحبه وولائه لعثمان، ولمعاوية وبنو أمية وأهل الشام.. لأن هذه التصريحات جزء من الحجة التي كان علي «عليه السلام» يسعى لإظهارها، ولفت الأنظار إليها، وإلى عناصرها ومقوماتها.

9 - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» أراد أن يظهر كذب ادعاء جرير: أنه موال لعللي «عليه السلام»، لأن دينه قد ذهب عند معاوية كما صرحت به رواية الحارث بن حصين المتقدمة، لكي يفقد تأثيره في الناس، ويخفف من شره.

أقوال علي × لجرير حين بعثه إلى معاوية:

ومما يؤكد السياق الذي ذكرناه آنفاً، ويعتبر أحد فصوله، الرئيسة

قول علي «عليه السلام» لجرير حين بعثه إلى الشام: «إن حولي من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أهل الدين والرأي من قد رأيت. وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيك: «إنك من خير ذي يمن»..

حيث نلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: ذكرنا في ما سبق ظهور عداوة البجلي لعلي «عليه السلام»، وأنه كان عثمانياً منحرفاً عن علي، وأن علياً كان واقفاً على أمره، إلى حد أنه لم يعارض الأشر في شيء مما قاله عنه، بل وافقه عليه بصورة ضمنية، وتقدم أنه كان من أصدقاء معاوية، ومن أهل وداده باعترافه هو علناً.

ثم ظهر مصداق ذلك كله، بلجونه إلى معاوية فور انتهاء مهمته وعودته إلى علي «عليه السلام»، وقد عاقبه علي «عليه السلام» بهدم داره. بل لقد هدم داره مرتين كما تقدم.

وهذا كله وسواه مما تقدم يؤكد: كذب ذيل النص المتقدم الذي نُسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه من خير ذي يمن.

ثانياً: إن قوله «عليه السلام» لجرير: إنه اختاره على خيار صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذين كانوا كثيرين حوله.. يؤكد ما ذكرناه قبل قليل، من أن سياسة علي «عليه السلام» كانت تقضي بسد جميع الذرائع التي يمكن أن يلجأ إليها معاوية وأهل الشام، وفق التسلسل الذي ألمحنا إليه في العنوان السابق.

فاختيار جرير على خيار صحابة رسول الله ليس من جهة أنه أفضل منهم في نفسه، بل لأنه هو الأفضل بالنسبة للمهمة التي أرادها أمير المؤمنين.

وقد أراد «عليه السلام» أن يوجه الأنظار إلى أنه قد اختار جريراً، مع أنه ليس من الأخيار، بل هو من غيرهم، ولكنه هو الأنسب للمهمة التي انتدبه من أجلها. يضاف أيضاً: أنه مخالف ومبغض له، ومن محبي الطرف الآخر، عن عمد وقصد، ولم يكن عن سذاجة وغفلة..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد بين في كلمته المذكورة آنفاً: أن من الصحابة من هم من أهل الرأي والدين.. وفيهم من ليس كذلك.. ولعل من بينهم من هو أسدُ رأياً، وأكثر إخلاصاً له، وأضمن وفاء وولاء لعلي من جرير البجلي.. مما يعني: أنه «عليه السلام» قد اختار جريراً لخصوصية أخرى لاحظها فيه.. وأن هذه الخصوصية ليست هي تميزه في دينه، بحيث يضمن بقاء وفائه وولائه، ولا هي تميزه في رأيه، بحيث يضمن نصيحتة له، وأن يعمل لصالحه..

معاوية مرفوض من علي × ومن العامة:

وما أدق وأهم قول أمير المؤمنين «عليه السلام» في رسالته لمعاوية: «وأعلمه أني لا أرضى به أميراً، والعامة لا ترضى به خليفة».

وذلك، لأن مصدر السلطة الذي يؤمن به أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الله ورسوله، ومن نصبه الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو علي «عليه السلام».

وقد قرر «عليه السلام»: أنه وفق ما يؤمن به «صلوات الله عليه وآله» لا يرضى بإمارة معاوية.. لأن دينه لا يسمح له بذلك..

وإن كان معاوية يرى أن مصدر السلطة هو الناس، فقد أخبره علي «عليه السلام»: أن العامة لا ترضى به أيضاً، لا سيما وأنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، وفي الأمة من هو أفضل وأولى بالتقديم منه..

ومعنى ذلك: أن السبيل الوحيد لوصول معاوية إلى مبتغاه: هو أن يشن حرباً على علي «عليه السلام»، وعلى الأمة بأسرها. وهو يعرف أنها ستكون حرباً بالغة الخطورة باهظة التكاليف.. ولا يستطيع أن يضمن خروجه سالماً منها..

مضمون كتاب علي ×:

وقد سافر جرير إلى الشام، وأوصل كتاب علي «عليه السلام» إلى معاوية، كما تقدم بيانه.. وقد تضمن الكتاب أموراً كثيرة أساسية وهامة..

ونحن نذكر بعضها هنا مع بعض التوضيح والبيان، فنقول:

بيعة علي × في المدينة لزمت معاوية بالشام:

إن أول ما يواجهنا في هذا الكتاب قوله «عليه السلام»: «إن بيعتي بالمدينة لزمتك، وأنت بالشام».. ثم علل ذلك بقوله: «لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر، وعمر، وعثمان على ما بويعوا عليه».

وقد زعم المعتزلي: أن هذا منه «عليه السلام» يدل على أن الإمامة تكون باختيار بعض أهل الحل والعقد، لا بالنص، لأنه «عليه السلام» احتج ببيعة أهل الحل والعقد للخلفاء الثلاثة.

فهو يرى صحةبيعة أبي بكر، مع أنه لم يبايعه سعد بن عباد، ولا أحد من أهل بيته، وولده، كما أن علياً «عليه السلام» وبني هاشم لم يبايعوه في مبدأ الأمر.

ولذا حملت الإمامية هذا الكتاب على التقية(1).

ونجيب:

أولاً: لم نجد الإمامية قالوا: إن هذا الكتاب قد صدر على سبيل التقية كما نسبه المعتزلي إليهم. ولا ندري من أين وكيف نسب المعتزلي هذا القول للإمامية.

ثانياً: إنه «عليه السلام» أضاف إلى كلامه ما أخرجه عن دائرة

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 14 ص 36 و 37.

الإبهام، حيث قال: «وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاءاً».

فهو «عليه السلام» يقول: إن الإمام هو من يُجمع عليه المهاجرون والأنصار، والذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان هم جزء من الحجة، التي هي الإجماع..

ولا يتحقق بهم الإجماع، إلا إذا انضم هؤلاء إلى سائر المهاجرين والأنصار، وفيهم علي والحسنان «عليهم السلام»، وسلمان، وبنو هاشم، ومن تابعهم من الأخيار الأبرار من الصحابة مثل: عمار، وأبي ذر، والمقداد.. وانضم إليهم سعد بن عباد، ومن معه، فحينئذ يتحقق الإجماع، حيث لم يتخلف أحد.

فلا شك في أن ذلك يكشف عن رضا الله ورسوله، لأن من بينهم ثلاثة من المعصومين المطهرين بنص القرآن، وهم: علي «عليه السلام» الذي نص رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أنه مع الحق ومع القرآن، والقرآن والحق معه. وفيهم سيّد شباب أهل الجنة، وهم من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص الكتاب العزيز.. وفيهم.. وفيهم..

ثالثاً: لا أحد يجهل: أن علياً «عليه السلام» كان يحتج على مناوئيه بالنص الذي توالى وتكرر، حتى تبلور في آخر حياة الرسول في بيعة يوم الغدير.

ولم يكن «عليه السلام» يرى أن البيعة الإقتراحية من الناس

أنفسهم تجدي في إعطاء الشرعية، أو في إنتاج الحق بالإمامة والخلافة لأحد من الناس إذا انسلخت عن النص..

ولأجل ذلك كان يعتبر البيعة للذين سبقوه تمثل ظلماً له، وخروجاً على الضوابط الشرعية، وتعدياً على حقه الثابت له بالنص، ومخالفة لا بد من التراجع عنها، والتوبة منها.. ولم يزل يلهج بهذا الأمر طيلة حياته. وكذلك كان يفعل ولده من بعده.

من أجل ذلك: يصبح من البديهي اعتبار كلامه هنا مع معاوية واحتجابه عليه بأنه قد بايعه نفس الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، أنه قد جاء على قاعدة: «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم».

وكان علياً «عليه السلام» أراد أن يقول لمعاوية: إنك كنت تعتقد بأن شرعية أبي بكر وعمر وعثمان متحققة، وشرعيتهم مستمدة ممن بايعهم، فقد بايعني من بايعهم، وبالتالي الشرعية متحققة، فيجب عليك المبايعة.

هذا الكتاب كان جواباً:

والتأمل بهذا الكتاب الذي حمله البجلي الى معاوية يعطي: أن علياً «عليه السلام» لم يرسله ابتداءً، واقتراحاً منه، بل هو جواب على كتاب كان معاوية قد أرسله كما ربما يشير إليه قوله «عليه السلام» في الكتاب نفسه: «وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى.

وأما تلك التي تريد، فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول
الفصال، والسلام لأهله».

ويمكن أن يكون هذا الكتاب قد جاء جواباً على الكتاب الذي أشار
إليه الدينوري، وفيه:

«إن عثمان قتل معك في المحلة، وأنت تسمع من داره الهيعة،
فلا تدفع عنه بقول ولا بفعل، وأقسم بالله لو قمت في أمره مقاماً
صادقاً، فنهنت عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً»(1).

وبعد..

فإن على الباحث أن يلاحظ: أن علياً «عليه السلام» قد ختم
الكتاب بتوجيه السلام لأهله.. وكأنه لا يرى معاوية من أهل السلام،
وهم أهل الإسلام..

لتعلمن أني كنت في عزلة عنه:

وقد ورد في الكتاب المتقدم قوله «عليه السلام»: «ولعمري يا
معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم
عثمان، ولتعلمن إنني كنت في عزلة عنه..».

لكن المعتزلي يقول: «نهى علي «عليه السلام» أهل مصر
وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مراراً. ونابذهم بيده ولسانه،

(1) الأخبار الطوال ص162.

وبأولاده، فلم يغن شيئاً وتفاقم الأمر حتى قتل»(1).

قال المحقق التستري: «قلت: سبحان الله من الرجل، إنه «عليه السلام» يقول: «كنت في عزلة عنه»، وهو يقول: نهى عنه، ونابذهم بيده، ولسانه، وبأولاده، فلمَ ما أجاب «عليه السلام» معاوية بذلك؟! وقد كان في مقام الدفاع عن تهمة قتله لعثمان»؟! (2).

غير أننا نقول:

إن من المعلوم: أنه «عليه السلام» كان قد أرسل أولاده لمنع القتل عنه، ولكن عثمان ردهم إليه، ولعل ذلك كان في إبان الحصار الذي ضربوه على عثمان، لا حين هجموا عليه وقتلوه.

فهو «عليه السلام» كان معتزلاً حين قتل عثمان، ولم يحضر ما جرى ليتهمة معاوية بالتحريض عليه، ولو أنه «عليه السلام» ذكر لمعاوية دفاعه أولاً عن عثمان لكان معاوية أجابه بقوله: إنك دافعت عنه أولاً، ثم غيّرت رأيك في اللحظات الأخيرة، وأغرّيت الناس بقتله.

نقض البيعة كردها هل هو قياس؟!:

وقد قال «عليه السلام» في رسالته لمعاوية: إن طلحة والزبير قد نقضا بيعتهما «وكان نقضهما كردهما»، فقد يقال: أليس أحدهما

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 14 ص 38 و 39.

(2) بهج الصباغة ج 9 ص 398.

أحسن من الآخر، فإن الرد أقبح من نكث البيعة، فلماذا يساوي «عليه السلام» بينهما؟! وأليس هذا من القياس الذي منع عنه الشارع كما يقوله الإمامية؟!!

ويجاب بالنفي، فإن من بايع ثم نكث ليس أحسن حالاً ممن يمتنع عن البيعة من الأساس. بل هما في السوء سواء.. فكما أن الرد للبيعة معناه الإتياع لغير سبيل المؤمنين، فيجوز قتال من فعل ذلك، كذلك الحال بالنسبة لمن بايع ثم نكث، فإنه أيضاً اتباع لغير سبيل المؤمنين. فليس هذا من القياس الباطل في الشريعة، بل هو إيجاد للموضوع، وهو الإتياع لغير سبيل المؤمنين بعد أن لم يكن، وإن كان قد تأخر قليلاً في إيجاده..

فالموضوع في الحالتين واحد، فالقياس صحيح.

حاكم القوم إلي:

وقد طلب علي «عليه السلام» من معاوية: أن يلتزم بالحكم الشرعي في أمر عثمان، بأن ينصاع للبيعة التي أجمع عليها المهاجرون والأنصار، ثم يقدم قتلة عثمان للقضاء ليحكم فيهم «عليه السلام» بحكم الله تعالى. فهو «عليه السلام» لم يطلب أمراً يعود نفعه إليه كشخص، بل طلب منه الإلتزام بحكم الله سبحانه.

فليس لمعاوية أن يعتبر ذلك امتيازاً لعلي «عليه السلام»، كما أنه لا يقدم بذلك تنازلاً عن حق هو له، إذ لا يحق له أكثر مما طلبه «عليه

السلام» منه، لا سيما وأنه ليس هو ولي الدم، بل هو بالنسبة لعثمان كغيره من سائر الناس، فليس له أن يتقدم في هذا الأمر، على أصحاب الحق، فإن أبناء عثمان - وهم أولياء الدم - أحياء يرزقون.

هذا إن لم نقل: إن علياً «عليه السلام» أولى بعثمان من أولاده من موقع أن ولايته هي عين ولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

خدعة الصبي عن اللبن:

ثم إنه «عليه السلام» قال لمعاوية: «وأما تلك التي تريدها، فخدعة الصبي عن اللبن» ومراده من قوله: «تلك التي تريدها»، مفهوم من سياق الكلام، فقد كان معاوية يسعى إلى تقويض حكم علي «عليه السلام»، والإستنثار بملك الشام، والتملص من إعطاء البيعة لعلي «عليه السلام» إنطلاقاً من رفع شعار الطلب بدم عثمان..

وقوله: «خدعة الصبي عن اللبن» كناية عن وضوح خدعة معاوية، فكما أن الولد تصعب خدعته وإسهاؤه عن اللبن، فإن معاوية لا يستطيع التملص من البيعة لعلي «عليه السلام»، ولا إبعاده عن الشام، ولا يمكن إقرار معاوية عليها، وتمكينه منها بحجة الطلب بدم عثمان.

الطلاق لا تحل لهم الخلافة:

ثم إنه «عليه السلام» أطلق الرصاصة القاتلة على أحلام معاوية

حين أعلن أنه من الطلقاء، ولا تحل الخلافة لطليق، ولا يمكن إدخالهم في شورى الخلافة.. فالشرع والدين يمنعه من هذا الأمر، ويمنع من تأييده فيه، سواء أدرك ثار عثمان أو لم يدركه، طلبه أو لم يطلبه.

فكل من يؤيد معاوية ويساعده في الوصول إلى الخلافة والحكم يكون عاصياً لله، لأنه ممنوع منها بالنص الشرعي. سواء بايع الخليفة الشرعي أو لم يبايع، وسواء طلب بدم عثمان أو لم يطلب.

جرير من أهل الإيمان والهجرة:

أما الثناء على جرير بن عبد الله البجلي، ووصفه بأنه من أهل الإيمان والهجرة، فلا ريب في عدم صحته، إذا أريد منه معناه الظاهري..

وذلك، لأن جريراً لم يكن من المهاجرين، إذ لا هجرة بعد الفتح، الذي كان في سنة ثمان، وجرير إنما أسلم في آخر سني رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

كما أنه لم يكن من أهل الإيمان بالمعنى الدقيق للكلمة، لأنه لم يكن مسلماً بكل ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا سيما فيما يرتبط بعلي «عليه السلام».

إلا إن قصد بالإيمان مجرد إظهار الإسلام..

أو قصد بالهجرة: المعنى اللغوي، وهو: أنه قد سافر إلى المدينة في حياة الرسول «صلى الله عليه وآله». وإن لم يصح عده من

المهاجرين بالمعنى المصطلح عليه فيهم..

خطبة جرير:

ولا يعنينا كثيراً التوقف عند المعاني التي تعرض لها جرير في خطبته، فإنما هو رسول، وكان عليه أن يؤدي الرسالة من دون تقصير، فكيف إذا كان قد تعهد بما هو أكثر من إيصال الرسالة؟! وهو أن يقود معاوية إلى البيعة لعلي «عليه السلام».. فكان يحاول أن يتظاهر بأنه يفعل ذلك.

ونلاحظ:

أنه في خطبته قد أبهم الكلام في أمر عثمان.. فلم يحسم لهم الأمر فيه.. ثم ذكر البيعة لعلي «عليه السلام» ولم يعطها حقها من البيان، ثم تكلم عن عدم تحمل الأمة حرباً أخرى كحرب الجمل.. لأن الخسائر ستكون هائلة. فليس في كلامه ما يستحق التوقف عنده.

أثن له بدينه:

ثم إن عتبة بن أبي سفيان طلب من أخيه معاوية أن يتصل بعمر بن العاص، وقال له: «أثن له بدينه»، وهذا قد أوضح لنا أموراً:
أولها: إن ما يقدم عليه عتبة وأخوه خلاف الدين، وهو تخلُّ عنه وتفريط به..

الثاني: إن عمرو بن العاص يبيع دينه إن وجد من يعطيه به ثمناً مغرياً..

الثالث: إن هذا يدل على عدم صحة ما يقال عن عدالة جميع الصحابة.

مآثر معاوية:

وما يهمننا من خطبة معاوية هو مآثره التي أثبتتها لنفسه، حيث لم يستطع أن يجد لنفسه فضيلة أمام أهل الشام سوى أنه خليفة عمر وعثمان عليهم. فلم يذكر لنفسه تميزاً في علم، أو زهد، أو سجاحة خلق، أو جهاد، أو أي فضيلة مما ينسبه الصحابة لأنفسهم، أو ينسبه الناس إليهم..

وقد نستفيد من ذلك: أن ما ينسب لمعاوية مما يراد له أن يكون فضيلة له، إنما صنع لمعاوية على عينه، وبجدّه وجهده. مثل: أنه خال المؤمنين، وأنه كان كاتباً عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أنه ولي دم عثمان، مع أن هذه الأمور لا تصح له، ولو صحت، فهي لا تفيده..

فلاحظ ما يلي:

ألف: إن كونه أماً لأم حبيبة لا يجعله خالاً للمؤمنين، لأن معنى قوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)⁽¹⁾، ليس هو الأمومة النسبية، ليكون أخوها خالاً للمؤمنين. بل المراد: حرمة التزويج بها، أو لزوم معاملتها معاملة خاصة إكراماً لعين رسول الله «صلى الله عليه

(1) الآية 6 من سورة الأحزاب.

وآله»، فإنه من أجل عين، ألف عين تكرم..

ثانياً: لو سلمنا أنه يكون خالاً أو عمّاً، ولو على سبيل الإدعاء والإفتراض والتنزيل، لكننا نقول:

إن العمومة والخوولة لا تنفع إلا بشروط، ولأجل ذلك لم تنفع عمومة أبي لهب لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا البنوة نفعت ابن نوح، ومنعت الغرق عنه.

ثالثاً: هناك أقارب كثيرون لزوجات الرسول «صلى الله عليه وآله»، وفيهم إخوة وأبناء وآباء وأمهات، فلماذا لم يعطوا هذا الفضل الذي منحوه لمعاوية؟! فقد كان محمد بن أبي بكر أخاً لعائشة، وكان لأم سلمة أبناء، وكان لبعضهن أخوات، وأعمام، وخالات، وأمهات، وآباء، فلماذا لا يعطون هذه الفضيلة أيضاً، كما أعطيت لمعاوية؟!

وهل يمنع الخال أن يتزوج أولاد أخته، فيحرم عليه أن يتزوج على هذا جميع النساء المؤمنات. كما أن زوجات الرسول «صلى الله عليه وآله» لا يحل لهن نكاح سائر الرجال؟!

ب: إن معاوية ليس ولي دم عثمان، بل أولياء دم عثمان هم أبناؤه. والإمام أولى من أبناؤه بدم رعيته.

ج: أما كتابة معاوية للرسول «صلى الله عليه وآله»، ففيها:

أولاً: لم يثبت أنه كتب الوحي، بل لعله كتب بعض الرسائل لبعض الناس، أو بعض المدائبات، أو ما شاكل.

ثانياً: إن هذا الأمر إنما يعد فضيلة إذا تحققت شروطه.. وإلا، فإن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب - كما قيل - شيئاً من الوحي، ثم ارتد، وزعم أنه كان يغير في الكلمات التي تملى عليه. وقد أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه يوم الفتح، فشفع فيه عثمان شفاعة سوء.

الفصل الرابع:

الطائي ومعاوية ..
وتحريض ابن عقبة ..

الطائي ومعاوية:

وقد ذكر المؤرخون خبر الطائي مع معاوية، وبعضهم اختصر القضية، وبعضهم فصلها، ويمكن المزج بين ما ذكروه، وتكميل ما نقص بما رواه ذلك.. مع ملاحظة: أن هناك بعض الشوائب التي لا بأس بلفت نظر القارئ إليها.. وأن ثمة مواضع تحتاج إلى بيان وتوضيح، لتكون الصورة أجلى وأتم..

فإلى القارئ الكريم بعض نصوص هذه القضية، ثم نعقب ذلك ببعض الإيضاحات والملاحظات..

قال ابن قتيبة وغيره:

وذكروا: أن عدي بن حاتم قدم إلى علي بالكوفة، قبل أن يسير إلى البصرة، فقال: يا أمير المؤمنين، لسنا نخاف أحدا إلا معاوية، وعندني رجل من قومي يريد أن يزور ابن عم له بالشام، يقال له: حابس بن سعد، فلو أمرناه أن يلقي معاوية، لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام؟!!

فقال له علي: افعل، (وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله) فأغروه بذلك، فلما قدم على ابن عمه، وكان سيد طيء بالشام، سأله فأخبره أنه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة، وسار مع علي إلى الكوفة. وكان له لسان وهيبة [وشعر].

فغدا به حابس إلى معاوية، فقال: هذا ابن عمي، قدم من الكوفة، وكان مع علي، وشهد قتل عثمان بالمدينة، وهو ثقة. فقال له معاوية: حدثنا عن أمر عثمان.

قال: نعم، [حصره المكشوح، وحكم فيه حكيم (يعني حكيم بن جبلة)] ووليه محمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر، وتجرد في أمره ثلاثة نفر: عدي بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمرو بن الحصين [الحق]. ودب [جد] في أمره رجلان: طلحة والزبير.

وأبرأ الناس منه علي بن أبي طالب [قال: ثم مه!! قال]. ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش، حتى ضلت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الشيخ. ولم يذكر عثمان، ولم يذكره. ثم تهيأ للمسير، فخف معه المهاجرون والأنصار. وكره القتال معه ثلاثة نفر: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، فلم يستكره أحداً، واستغنى بمن خف عن ثقل.

ثم سار حتى انتهى إلى جبل طيء، فأتاه منهم جماعة عظيمة [منا

جماعة كان ضارباً بهم الناس]، حتى إذا كان في بعض الطريق أنه
مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة.

فسرح رسله إلى الكوفة، فأجابوا دعوته.

ثم قدمها، فحملوا إليه الصبي ودبت إليه العجوز، وخرجت إليه
العروس، فرحاً به وسروراً وشوقاً إليه.

ثم سار إلى البصرة، فبرز إليه القوم: طلحة والزبير وأصحابهما،
فلم يلبثوا إلا يسيراً، حتى صرعهم الله، وأبرزهم إلى مضاجعهم، ثم
صارت البصرة وما حولها في كفه.

قال: وتركته وليس له هم إلا أنت والشام.

فانكسر معاوية لقوله، وقال: والله ما أظنه إلا عيناً لعلي، أخرجوه
لا يفسد أهل الشام.

ثم قال معاوية: وكيف لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقافته،
وأجمعوا عليه؟! أما والله لئن بقينا لهم لندرسنهم درس الجمال هشيم
البييس(1).

قال ابن أعثم:

ثم إن معاوية ذات يوم ركب، وخرج إلى الصحراء، ومعه
جماعة من وجوه أهل الشام، فبينما هو كذلك إذا بشخص قد أقبل من

(1) راجع: الإمامة والسياسة ج1 ص84 و 85 و (تحقيق الزيني) ج1 ص78
و(تحقيق الشيري) ج1 ص105 وصفين للمنقري ص64 و 66.

ناحية العراق على قعود له، فقال: علي بهذا المقبل!

فأتوا به، فقال له معاوية: ممن الرجل؟!

قال: من طيء.

قال: فمن أين أقبلت؟!

قال: من الكوفة.

قال: وأين تريد؟!

قال: أريد ابن عم لي يكون في ناحيتك، يقال له: حابس بن سعد

الطائي.

فقال معاوية: عليّ بحابس.

فأقبل إليه، فلما نظر إلى ابن عمه رحب به، وقربه، وفرح

برؤيته، وأحضره بين يدي معاوية، فقال له معاوية: كيف خلفت علي

بن أبي طالب، وأين تركته، وعلى ماذا قد عزم؟!

فقال: نعم يا معاوية! أخبرك، أنه قدم من البصرة إلى الكوفة، فلما

دخلها تهافت الناس عليه بالبيعة، ثم إنه ندب الناس إلى قتالك، فرأيته

وقد حف به الناس من المهاجرين والأنصار، حتى لقد حمل إليه

الصبي، ودنت منه العجوز، وخرجت إليه العروس، كل ذلك فرحاً

بولايته، لقد تركته وما له همة إلا الشام، فهذا ما عندي من الخبر.

فقال معاوية: ما اسمك؟!

قال: اسمي خفاف.

قال: هل تقول شيئاً من الشعر؟!

قال: نعم.

فأنشأ يقول شعراً.

هذا ما ذكره ابن أعثم، وقد ذكر في الهامش ثلاثة عشر بيتاً.
ولكن نصر بن مزاحم ذكر أربعة وعشرين بيتاً.. فنحن نذكر هنا
ما ذكره نصر، ونضيف إليها ما ورد في هامش الفتوح.

قال نصر بن مزاحم:

قلت والليل ساقط الأكناف
أرقب النجم مائلاً⁽¹⁾ ومتى
ليت شعري وإنني لسؤول
من صحاب النبي إذ عظم الخط
ولجنبي عن الفراش تجاف
الغمض بعين طويلة التذراف
هل لي اليوم بالمدينة شاف
ب وفيهم من البرية [البلية]
ك

أحلال دم الإمام بذنب
قال لي القوم: لا سبيل إلى ما
عند قوم ليسوا بأوعية
أم حرام بسنة الوقاف⁽²⁾
تطلب اليوم قلت حسب خفاف
العلم ولا أهل صحة وعفاف

(1) مائلاً، أي إلى المغيب - ويحتمل أن يكون: مائلاً بالثناء المثلثة - والغمض،
بالضم: النوم. في الأصل: «راقب الليل» تحريف. هذا والبيت والستة
الآبيات التي بعده لم ترو في ح.

(2) الوقاف: المتأنى الذي لا يعجل. وفي حديث الحسن: «إن المؤمن وقاف
متأن، وليس كحاطب الليل». والوقاف أيضاً: المحجم عن القتال.

أضاف في هامش الفتوح لابن أعثم:

جمجم القوم عندما قلت ماتوا(1) خبروني معاشر الأشراف
لم قتلتم إمامكم قال قوم لست تقوى على الأمور
الخوافي

نعود إلى ما قاله ابن مزاحم:

قلت لما سمعت قولاً دعوني إن قلبي من القلوب الضعاف
قد مضى ما مضى ومر به الدهر كما مر ذاهب الأسلاف

ثم أضاف في هامش الفتوح لابن أعثم البيتين التاليين:

فاسمع الآن يا ابن هند مقالاً من حكيم مهذب وصاف
ليس يألوك في النصيحة جهداً فاقبلنها نصيحة من خفاف

ثم يتابع نصر بن مزاحم:

إنني والذي يحج له النا س على لُحَقِ البطون(2)
العجاف

تتبارى مثل القسي(3) من النبع بشعث مثل الرصاف نحاف

(1) لعل الصحيح: جمجم القوم عندما قلت هاتوا.

(2) لحق البطون، عني بها الإبل. ولحق: جمع لاحق ولاحقة، واللاحق: الضامر. وفي ح: «لحق البطون عجاف».

(3) شبه الإبل بالقسي في تقوسها. والشعث، عني بهم الحجاج الذين قد شعنت رؤوسهم أي تلبد شعرها واغير. والرصاف: العقبة التي تلوى فوق رِعْظ السهم إذا انكسر. ورِعْظ السهم: مدخل سنخ النصل. وفي ح: «مثل

أرهب اليوم، إن أتاك علي
 إنه الليث عادياً(2) وشجاع
 فارس الخيل كل يوم نزال
 واطع السيف فوق عاتقه الأيمن
 لا يرى القتل في الخلاف عليه
 سَوَمَ الخيل ثم قال لقوم
 استعدوا لحرب طاغية
 ثم قالوا: أنت الجناح لك الريش
 أنت وال وأنت والدنا
 وقرى الضيف في الديار قليل
 صيحة(1) مثل صيحة الأحقاف
 مطرق نافث بسم زعاف
 ونزال الفتى من الإنصاف
 يذرى(3) به شؤون القحاف
 ألف ألف كانوا من الإسراف
 تابعوه إلى الطعان خفاف:
 الشام، فلبوه كالبنين اللطاف
 القدامى ونحن منه الخوافي
 البر ونحن الغداة كالأضياف
 قد تركنا العراق للإتحاف(4)

السهام».

- (1) الصيحة: العذاب والهلكة. وقوم الأحقاف هم عاد قوم هود. انظر الآيات 21-26 من سورة الأحقاف. والأحقاف: رمل فيما بين عمان إلى حضر موت. ح: «إن أتاكم على * صيحة مثل صيحة». والصيحة: المرة من صبح القوم شراً: جاءهم به صباحاً.
- (2) عادياً، ينظر فيه إلى قوم عبد يغوث بن وقاص في المفضليات (1: 156): «أنا الليث معدواً عليه وعادياً». وعدا الليث: وثب. وفي الأصل: «غازياً» وفي ح: «عادياً». والشجاع، بالضم والكسر: الحية الذكر.
- (3) يذرى: يطيح ويلقى ويطير. والشؤون: مواصل قبائل الرأس. ح: «يفرى به».
- (4) الإتحاف: أن يتحفه بتحفة، وهي ما تتحف به الرجل من البر واللطف. في

وهم ما هم إذا نشب البأس ذووا الفضل والأموال الكوافي
وانظر اليوم قبل نادية القوم (1) بسلم أردت أم بخلاف
إن هذا رأي الشفيق على الشام ولولاه ما خشيت مشاف
فانكسر معاوية وقال: يا حابس، إني لا أظن هذا إلا عينا لعلي،
أخرجه عنك لا يفسد أهل الشام.

وكنى معاوية بقوله، ثم بعث إليه بعد، فقال: يا خفاف، أخبرني
عن أمور الناس. فأعاد عليه الحديث، فعجب معاوية من عقله، وحسن
وصفه للأمور.

لكن رواية ابن أعثم تقول:

فلما سمع معاوية هذا الشعر كأنه انكسر بذلك.

ثم أقبل على حابس بن سعد فقال: ويحك يا حابس! أرى ابن عمك
هذا عيناً علينا لأهل العراق، فأخرجه عنا، لا يفسد علينا أهل الشام!
فقال: والله ما قدمت الشام رغبة مني فيها ولا في أهلها! وإني
لراحل عنها، وزاهد في جوارك (2).

الأصل: «للإتحاف»، تحريف. والبيت لم يرو في ح.

(1) نادية القوم: دعوتهم. وفي الحديث: «فبينما هم كذلك إذ نودوا نادية». في

الأصل: «نادبة» بالباء الموحدة، تحريف. وفي ح: «قبل بادرة القوم».

والبادرة: ما يبدر حين النضب من قول أو فعل. ح: «بسلم تهم».

(2) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص 360 و 361 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 498 و

499 وصفين للمنقري ص 64 - 68.

ونقول:**لعل في الرواية تزويراً:**

إن في الرواية بعض ما لا يتوافق مع الوقائع.

فأولاً: لقد لفت نظرنا في الرواية قول الطائي: «وليه محمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر». ونحن نشك في ذلك، فإن هذين الرجلين لا يقدمان على أمر لا يرغب فيه أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويراه مضرراً..

ولعل الأشتري وعماراً، وعدي بن حاتم، ومحمد بن أبي بكر كانوا يعلنون عن رأيهم بضرورة انصياع عثمان لما يطلبه منه الثائرون عليه..

فإن هجم عليه أحد، فلعلهم لا يدافعون عنه، ولكنهم في نفس الوقت لا يباشرون قتله، كما يفهم من قول هذا الطائي.

ثانياً: تقول رواية ابن قتيبة أيضاً: «ودب في أمره رجلاً: طلحة والزبير». مع أن طلحة كان هو القائد في حصار عثمان.. فلماذا اقتصر الراوي على أنه قد دب في أمر عثمان.. فإنه لم يكتف بمجرد الدبيب، بل تجاوزه إلى الإعلان، وإظهار المزيد من التصلب والتشدد في أمره.. فلماذا يريد التخفيف من أثر طلحة والزبير في قتل عثمان؟!!

الذين كرهوا القتال:

وقد ذكر الطائي: أن ثلاثة نفر، وهم: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة قد تخلفوا عن القتال معه، فاستغنى بمن خف معه عن قعد عنه.

وهذا يدل: على صحة ما قلناه، فيما تقدم من هذا الكتاب، من أن هؤلاء قد كرهوا القتال معه فقط، ولم يتخلفوا عن بيعته، وإن البعض قد خلط غفلة منه، أو عمداً بين الأمرين، فنسب إليهم التخلف عن البيعة.

متى عرف علي × بمسير الناكثين إلى البصرة؟!:

وذكرت رواية ابن قتيبة أيضاً: أن علياً «عليه السلام» قد عرف بمسير الناكثين إلى البصرة حينما تجاوز جبل طيء.. مع أنهم يقولون: إنه عرف بمسيرهم من المدينة، وأنه أراد أن يأخذ عليهم الطريق ففاتوه..

إلا أن يقال: إنه إنما عرف بمسيرهم من المدينة، لكنه لم يعرف مقصدهم هل هو البصرة أو الكوفة.. فحاول أن يمنعهم من المسير ففاتوه، فلما بلغ جبل طيء وتجاوزه بلغه أنهم قصدوا البصرة لا الكوفة..

علي × يذهب إلى الكوفة قبل الحرب:

ثم إن ظاهر رواية ابن قتيبة: أن علياً «عليه السلام» قد سار إلى

الكوفة قبل حرب الجمل، فلما دخل الكوفة حملوا إليه الصبي، ودبت إليه العجوز، وخرجت إليه العروس، فرحاً به وسروراً، وشوقاً إليه، ثم سار إلى البصرة.

مع أن الصحيح: هو أنه لم يدخل الكوفة في مسيره إلى حرب الناكثين، بل نزل بذي قار حتى وافته جموع أهل الكوفة، ثم سار إلى البصرة، وإنما دخل الكوفة بعد فراغه من حرب الجمل..

والعبارة التي ذكرها ابن قتيبة عن حمل الصبي إلى علي «عليه السلام»: وإن العجوز دبت إليه، وخرجت إليه العروس، فإنما كان بعد رجوعه من حرب الجمل إلى الكوفة - كما صرحت به رواية ابن اعثم - وهذا هو الصحيح الذي تؤيده سائر النصوص..

اختلاف الروایتين:

1 - وهناك اختلاف بين روايتي ابن قتيبة وابن اعثم، فإن رواية ابن قتيبة تقول: إن الطائي قدم على ابن عمه حابس، فغدا به حابس على معاوية، وقال له: إنه ثقة، فطلب منه أن يخبره بأمر عثمان..

لكن رواية ابن اعثم تقول: إن معاوية لقي خفاف الطائي قبل حابس. وكان هو الذي أمرهم أن يأتوه بحابس..

2 - إن رواية ابن قتيبة تذكر: أن عدي بن حاتم هو الذي اقترح أن يلتقي خفاف الطائي بمعاوية وأهل الشام ليكسرهم، وأنه تواطأ مع خفاف على ذلك..

ونحن لم نر حاجة إلى هذا التواطؤ إلا إن كان «عليه السلام» يريد أن تتوالى رسله على معاوية وأهل الشام، ليسمعهم كلمة الحق، ويقيم الحجة عليهم، مرة بعد أخرى..

كيف لا يقتل عثمان، وقد أجمعوا عليه؟!:

وذكرت رواية ابن قتيبة أيضاً: أن معاوية قال: «وكيف لا يقتل عثمان وقد خذله أهل ثقاته، وأجمعوا عليه؟!»!

ونحن نستبعد أن يعترف معاوية بإجماع الصحابة على قتل عثمان، وبخذلان ثقاته له، فإن هذا يضعف حجة معاوية، بل يسقطها، فإن الإجماع، وخصوصاً إجماع الصحابة على قتل عثمان ليس بالأمر السهل. كما أن من يخذله أهل ثقته، لا بد أن يكون مجرمًا من الدرجة الأولى..

إلا إن كان معاوية قد قال ذلك في مجلس خاص، لا أمام الناس عامة..

وخلاصة الأمر: إن رواية ابن أعمش في ذلك أقرب إلى الإعتبار من رواية ابن قتيبة.

لكن يبقى هنا إشكال وهو: لماذا حكم معاوية على خفاف الطائي بأنه يمكن أن يكون عيناً لعلي «عليه السلام»؟! وهو لم يقل شيئاً ذا بال، يضر بمصلحة معاوية سوى أنه متحير في أمر عثمان..

وهذا هو نفس ما قاله جرير بن عبد الله البجلي له، ولم يتهمه

بشيء.

وأن الناس في الكوفة قد ابتهجوا بمسير علي «عليه السلام»
إليهم؟!!

وهذا لا يستدعي هذا الإجراء الحازم والقوي ضده.

إلا أن يقال: إن معاوية لا يحب أن يسمع أهل الشام هذا المقدار من
الثناء على علي «عليه السلام»، لأنه مغاير للصورة التي كان يريد أن
يركزها لدى أهل الشام عنه «عليه السلام»، فاتهمه بالجاسوسية ليخيفه،
ويبرر إخراجه.

ابن عقبة يحرض معاوية على علي ×:

وقال ابن أعثم عن الوليد بن عقبة:

لما بلغه كتاب علي إلى معاوية، كتب إلى معاوية بهذه الأبيات
يأمره فيها أن لا يجيب علياً بشيء مما يريد، ويحرضه على حرب
علي، فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

معاوي إن الملك قد آب غاربه وأنت بها في كفك اليوم
صاحبه

إلى آخرها..

وقال المعلق في الهامش: في د مكانها:

أتاك كتاب من علي بخطه هي الفصل فاختر سلمه أو
تحارب

ولا ترجون منه الغداة مودة
وحاربه إن حاربت حرب ابن حرة
فإن علياً غير صاحب ذيله
على خدعة ما سوغ الماء

شأربه

ولا قابل ما لا تريد وهذه
فلا تدعن الملك والأمر مقبل
فإن كنت تنوي أن تجيب كتابه
وإن كنت تنوي أن ترد كتابه
فألحق إلى الحي اليمانيين كلمة
بقول أمير المؤمنين أصابه
أفانين منهم قاتل ومحضض
وكنت أميراً قبل ذاك عليكم

واجبه

تجيبوا ومن أرسى ثبيراً مكانه
فأقلل وأكثر، ما لها اليوم صاحب
تورابه

وفي الإصابة:

أتاك كتاب من علي بخطه

هي الفصل فاختر سلمه أو

فإن كنت تنوي أن تجيب كتابه

قال: فلما ورد كتاب الوليد بن عقبة وشعره على معاوية فرح

فقبج ممليه وقبح كتابه

يقوم بها يوماً عليك نوادبه
ولا تطلبنه حين تهوى مذاهبه
فقبج ممليه وقبح كتابه
وأنت بأمر لا محالة راكبه
تنال بها الأمر الذي أنت طالبه
عدو مالاه عليه أقاربه
بلا بزة منهم وآخر سالبه
وحسبي وإياكم من الحق

بمدفاع موج لا مردّ غواربه
سواك فصرح لست ممن

تجاربه

بذلك، وسره ما كتب إليه به الوليد. وعزم على مخالفة علي «رضي الله عنه»(1).

ونقول:

إننا لا نريد أن نهتم كثيراً بما كان من الوليد بن عقبة، لشدة وضوح الأمر فيه، بل نكتفي بالتذكير بما يلي:

1 - إن هذا الموقف متوقع من الوليد، لأنه موتور من قبل علي «عليه السلام»، فهو الذي جلده الحد في عهد عمر بن الخطاب حين قاء الخمر في مسجد الكوفة، بعد أن صلى بالناس الصبح أربع ركعات، ثم قال لهم: أزيدكم؟!!

كما أنه هو الذي سماه الله تعالى فاسقاً في القرآن في قوله تعالى: (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)(2). وسمّى علياً «عليه السلام» مؤمناً.

وهناك أمور أخرى تدخل في هذا السياق لا مجال لذكرها.

2 - إن معاوية كان في تلك الحال في غاية الضعف النفسي والخوف والرهبة من الإقدام على إعلان الحرب مع علي «عليه السلام»، وهو يعرف نفسه، ويعرف علياً «عليه السلام».

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي

(1) الفتوح لابن أعمش ج2 ص355 و 356 و (ط دار الأضواء) ج2 ص495 و 496.

(2) الآية 6 من سورة الحجر.

كما أنه كان يعرف حزم أمير المؤمنين وشجاعته، وشدة شكيمته، وصلابته في دين الله.. فكان بأمس الحاجة إلى من يشجعه، ولو بكلمة.. فلما جاءه شعر الوليد سرَّ به، وشجعه ذلك على حسم أمره بمواجهة علي «عليه السلام» بكل ما قدر عليه من مكر وخيانة، وما إلى ذلك.

3 - لقد أوضحت أبيات الوليد: أن مطلوب هؤلاء هو الملك والسلطان من حيث هو ملك وسلطان.. وليس المطلوب هو الطلب بدم عثمان، ولا غير ذلك من أمور.

ولم يرد في حسابهم ما سيسقط من ضحايا، وما ستحدث من كوارث ورزايا، ومصائب وبلايا، فإن هذا ليس آخر ما يفكرون به، لأنهم لا يفكرون به أصلاً.

الفصل

دين ابن العاص في المزداد

عمرو بن العاص يبيع دينه:

روى نصر، عن عمر بن سعد، ومحمد بن عبيد الله، قالاً:

كتب معاوية إلى عمرو وهو بالبيع⁽¹⁾ من فلسطين:

«أما بعد.. فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك. وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني. أقبل أذكرك أمراً».

قال: فلما قرئ الكتاب على عمرو⁽²⁾ استنثار ابنه عبد الله

ومحمداً، فقال: ابني، ما تريان؟!!

فقال عبد الله: أرى أن نبي الله «صلى الله عليه وآله» قبض وهو عنك راض، و [كذلك] الخليفتان من بعده، وقتل عثمان وأنت عنه

(1) كذا في المصدر.

(2) ربما كان ابن العاص أمياً لا يعرف القراءة والكتابة.

غائب. ففترّ في منزلك، فلست مجعولاً خليفة، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة، أو شك أن تهلك فتشقى فيها.

وقال محمد: أرى أنك شيخ قريش، وصاحب أمرها، وإن تصرّم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك، فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها، واطلب بدم عثمان، [فلست أقل من معاوية]، فإنك قد استنمت فيه إلى بني أمية.

فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في [دنياي، و] ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي، وأنا ناظر فيه.

فلما جنّه الليل رفع صوته وأهله ينظرون إليه، فقال:

تطاول ليلى للهموم الطوارق وخول (1) التي تجلو وجوه
العواتق
وإن ابن هند سائلي أن أزوره وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جرير من علي بخطة أمرت عليه العيش ذات مضائق
فإن نال مني ما يؤمل رده وإن لم ينله دلّ دلّ المطابق
فوالله ما أدري وما كنت هكذا أكون، ومهما قادني فهو
سابق

(1) يريرد: وخولة.

أخادعه إن الخداع دنية أم اعطيه من نفسي نصيحة
 واما _____
 أو اقعدي بيتي وفي ذاك راحة لشيخ يخاف الموت في كل
 ش _____
 وقد قال عبد الله قولاً تعلقته به النفس إن لم يعتقني
 ع _____
 وخالفه فيه أخوه محمد وإنني لصلب العود عند
 الحقائق (1)

فقال عبد الله: ترحل الشيخ.

قال: ودعا عمرو غلاماً له يقال له: وردان، وكان داهياً مارداً،
 فقال: ارحل يا وردان [فعبى له الأثقال وترحل].

ثم قال: حط يا وردان [فحط].

[ثم قال: ارحل يا وردان، احطط يا وردان].

[فلم يزل عمرو يقول: ارحل وحط].

فقال له وردان: خلطت أبا عبد الله، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في
 نفسك.

قال: هات ويحك.

(1) وقعة صفين للمنقري ص 34 و 35 وراجع: تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 161
 وبحار الأنوار ج 32 ص 370 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 61.

قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك.

فقلت: علي معه الآخرة في غير دنيا، وفي الآخرة عوض الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض من الآخرة، فأنت واقف بينهما.

قال: فإنك والله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟!!

قال: أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت [في] عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك.

قال: الآن لما شهدت العرب مسيري إلى معاوية؟!!

فارتحل وهو يقول:

يا قاتل الله وردانا وقدحته أبدى لعمرك ما في النفس
وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها بحرص نفسي وفي الأطباع
إده

نفس تعف وأخرى الحرص يغلبها؟! والمرء يأكل تبنا وهو غرثان
أما علي فدين ليس يشركه دنيا وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمعي دنيا على بصر وما معي بالذي أختار برهان
إني لأعرف ما فيها وأبصره وفيّ أيضاً لما أهواه ألوان
لكن نفسي تحب العيش في شرف وليس يرضى بذل العيش
إنس

أمر لعمرو أبيكم غير مشتبه والمرء يعطس والوسنان

وسنان

[زاد في هامش الفتوح:

إن ابن هند لذو علم ومعرفة إن ابن فاطمة المرهوب
يقظان]

فسار حتى قدم إلى معاوية وعرف حاجة معاوية إليه، فباعد [ه
من نفسه]، وكايد كل واحد منهما صاحبه. فلما دخل عليه قال: يا أبا
عبد الله، طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس منها ورد ولا صدر.

قال: وما ذاك؟!]

قال: ذاك أن محمد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر، فخرج هو
وأصحابه، وهو من آفات هذا الدين.

ومنها: أن قيصر زحف بجماعة الروم إلي ليتغلب على الشام.

ومنها: أن علياً نزل الكوفة متهيئاً للمسير إلينا.

قال: ليس كل ما ذكرت عظيماً.

أما ابن أبي حذيفة فما يتعاضمك من رجل خرج في أشباهه أن
تبعث إليه خيلاً تقتله أو تأتيك به، وإن فاتك لا يضرك.

وأما قيصر فأهد له من وصفاء الروم ووصائفها، وآنية الذهب
والفضة، وسله الموادة، فإنه إليها سريع.

وأما علي فلا والله يا معاوية ما تسوى العرب بينك وبينه في
شيء من الأشياء، وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش،

وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه.

وروى نصر عن عمر بن سعد بإسناده قال: قال معاوية لعمر: يا أبا عبد الله، إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه، وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة، وقطع الرحم، [ونقض ما في عنقه من بيعة أمير المؤمنين عثمان بن عفان].

قال عمرو: إلى من؟!!

قال: إلى جهاد علي.

[وفي الفتوح: فقال عمرو: مهلاً يا معاوية! فإن علياً أوجد الناس في الفضائل، وليس لك مثل هجرته ولا سابقته، ولا صهارته، ولا قرابته، ولا قدمته، ولا شجاعته. وإن له من الحرب حظاً سنياً ليس لأحد مثله. وإن له جداً وحداً وحظوة في العرب، وبلاء من الله ورسوله حسناً جميلاً.

فقال معاوية: صدقت يا أبا عبد الله! هو كذلك، ولكننا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه دم عثمان بن عفان.

فضحك عمرو من ذلك، ثم قال: وا عجباه لهذا الكلام الذي أسمع منك يا معاوية! إنه قد يجب عليّ وعليك أن لا نذكر شيئاً من أمر عثمان..

أما أنت فخذلته حين استغاث بك وهو محصور بالمدينة، فلم تنصره.

وأما أنا فإني تركته عياناً وذهبت إلى فلسطين.

فقال معاوية: إني لو أردت أن أخدعك لخدعتك الخ.. [1].

أما نصر فقد تابع كلامه هكذا:

فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعلي بعلمي بعير، ما لك هجرته، ولا سابقته، ولا صحبتته، ولا جهاده، ولا فقهه وعلمه..

والله إن له مع ذلك حداً جداً (2)، وحظاً وحظوة، وبلاء من الله حسناً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربيه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟!

قال: حكمك.

قال: مصر طعمة.

قال: فتلكأ عليه معاوية.

قال نصر: وفي حديث غير عمر قال: قال له معاوية: يا أبا عبد الله، إني أكره أن يتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر

(1) الفتوح لابن أعمش ج 2 ص 386 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 512 و 513 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 333.

(2) الحد: الحدة والنشاط والسرعة في الأمور والمضاء فيها. والجد، بفتح الجيم: الحظ. وبالكسر: الإجهاد. وفي الأصل: «وحدوداً» ولا وجه له. وفي ح: «ووالله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد من غيره، ولكنني قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاءً جميلاً».

لغرض الدنيا.

قال: دعني عنك.

قال معاوية: إني لو شئت أن أمنيك وأخذك لفعلت.

قال عمرو: لا لعمر الله، ما مثلي يخدع، لأننا أكيس من ذلك.

قال له معاوية: ادن مني برأسك أسارك.

قال: فدنا منه عمرو يساره، فعض معاوية أذنه، وقال: هذه

خدعة، هل ترى في بيتك أحداً غيري وغيرك؟! (1).

[أما ابن أعثم، فقال في الفتوح:

فعضها معاوية، فقال: أبا عبد الله! خدعتك أم لا؟! هل في البيت

غيري وغيرك؟! كيف تدفع إلي أذنك وما معنا ثالث إلا الله تعالى؟!]

ولكن دع عنك هذا وهات فبايعني!

(1) قال ابن أبي الحديد بعد هذا: «قلت: قال شيخنا أبو القاسم البلخي «رحمه

الله تعالى»: قول عمرو له: دعنا عنك، كناية عن الإلحاد بل تصريح به.

أي دع هذا الكلام الذي لا أصل له، فإن اعتقاد الآخرة وأنها لا تباع

بعرض الدنيا من الخرافات. قال «رحمه الله»: وما زال عمرو بن العاص

ملحداً ما تردد قط في الإلحاد والزندقة، وكان معاوية مثله. ويكفي من

تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروي، وأن معاوية عض أذن عمرو.

أين هذا من أخلاق علي «عليه السلام» وشدته في ذات الله، وهما مع ذلك

يعيبانه بالدعابة».

فقال عمرو: لا والله! ما أعطيك من ديني شيئاً أو آخذ منك مثله، فهات ما الذي تعطيني.

فقال معاوية: أعطيك رضاك.

قال عمرو: رضاي أرض مصر.

قال معاوية: إن مصرك كالعراق.

قال عمرو: صدقت، إنها لكذلك، ولكنها تكون لي إذا كانت العراق لك.

قال: فثقل ذلك على معاوية وأبى أن يعطيه أرض مصر.

وخرج عمرو فصار إلى رحله، وبعث معاوية عليه عيناً ليسمع

ما يقول. فلما جن عليه الليل رفع صوته، وأنشأ يقول شعراً⁽¹⁾.

والنص لنصر بن مزاحم:

(1) الفتوح لابن أعمم ج 2 ص 387 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 513.

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل بذلك دنياً فانظرن كيف تصنع
 فإن تعطني مصراً فأزبج بصفقة أخذت بها شيخاً يضر وينفع
 وما الدين والدنيا سواء وإنني لأخذ ما تعطي ورأسي مقتع
 ولكنني أغضى الجفون وإنني لأخدع نفسي والمخادع يخدع
 وأعطيك أمراً فيه للملك قوة وإنني به إن زلت النعل أضرع
 وتمنعي مصراً وليست برغبة وإنني بذا الممنوع قدماً
 لمولع(1)

قال: أبا عبد الله، ألم تعلم أن مصراً مثل العراق؟!!

قال: بلى، ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك، وإنما تكون لك إذا
 غلبت علياً على العراق، وقد كان أهلها بعثوا بطاعتهم إلى علي.

قال: فدخل عتبة بن أبي سفيان، فقال: أما ترضى أن نشترى
 عمراً بمصر إن هي صفت لك. فليتك لا تغلب على الشام.

[وفي الفتوح: ألا ترضى أن يأخذ عمرو بن العاص مصر وقد
 عزم أن يبيعك خيط رقبتة؟! أعطه ما سألك! فإنك في وقتك هذا لا
 مصر في يدك ولا غيرها].

فقال معاوية: يا عتبة، بت عندنا الليلة.

(1) وقعة صفين للمنقري ص39 وراجع: الغدير ج2 ص143 وشرح نهج
 البلاغة للمعتزلي ج2 ص66 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص186 ونهج السعادة
 ج2 ص65 وأنساب الأشراف ص288.

قال: فلما جن على عتبة الليل رفع صوته ليسمع معاوية، وقال:

أيها المانع سيفاً لم يهز	إنما ملت على خز وقرز
إنما أنت خروف مائل	بين ضرعين وصوف لم يجز
أعط عمراً إن عمراً تارك	دينه اليوم لدنيا لم تحز
يا لك الخير فخذ من دره	شخبه الأولى وأبعد ما
	عزز

وفي نص آخر:

.....	حلبه الأول واترك ما عزز
واسحب الذيل وبادر فوقها	وانتهزها إن عمراً ينتهز
أعطه مصرراً وزده مثلها	إنما مصر لمن عز وبز
واترك الحرص عليها ضلة	واشعب النار لمقرور يكرز
إن مصرراً لعلي أو لنا	يُغلبُ اليوم عليها من
	عزز (1)

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو وأعطاه إياها.

قال: فقال له عمرو: ولي الله عليك بذلك شاهد؟!!

قال له معاوية: نعم لك الله علي بذلك، لئن فتح الله علينا الكوفة.

قال عمرو: (وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (2).

(1) راجع: الأخبار الطوال ص 159 ووقعة صفين للمنقري ص 40.

(2) الآية 28 من سورة القصص.

قال: فخرج عمرو من عنده، فقال له ابناه: ما صنعت؟!

قال: أعطانا مصر [طعمة].

قالا: وما مصر في ملك العرب؟!

قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر.

قال: فأعطاها إياه، وكتب له كتاباً، وكتب معاوية: «على أن لا

ينقض شرط طاعة».

وكتب عمرو: «على ألا تنقض طاعة شرطاً».

وكايد كل واحد منهما صاحبه(1).

(1) قال ابن أبي الحديد (ج 1 ص 138): «تفسيره أن معاوية قال للكاتب اكتب على ألا

ينقض شرط طاعة، يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة

غير مشروطة بشيء. وهذه مكاييد له، لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع في

إعطائه مصرأ، ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته ويحتج عليه برجوعه عن

إعطائه مصرأ، لأن مقتضى المشاركة المذكورة أن طاعة معاوية واجبة عليه

مطلقاً سواء كانت مصر مسلمة إليه أو لا.

فلما انتبه عمرو على هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلك وقال: بل اكتب:

على أن لا تنقض طاعة شرطاً يريد أخذ إقرار معاوية له بأنه إذا كان

أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه. وهذا

أيضاً مكاييد من عمرو لمعاوية، ومنع له من أن يغدر بما أعطاه من

مصر».

وكان مع عمرو ابن عم له فتى شاب، وكان داهياً حليماً، فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى وقال: ألا تخبرني يا عمرو بأي رأي تعيش في قريش؟! أعطيت دينك، ومنيت دنيا غيرك؟! أترى أهل مصر - وهم قتلة عثمان - يدفعونها إلى معاوية وعلي حي؟!!

وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب؟!!

فقال عمرو: يا ابن الأخ، إن الأمر لله دون علي ومعاوية.

فقال الفتى في ذلك شعراً:

ألا يا هند أخت بني زياد	دُهي عمرو بدهية البلاد
رُمي عمرو بأعور عتبشمي	بعيد القعر مخشى الكياد
له خدع يحار العقل فيها	مزخرفة صواند للفواد
فشرط في الكتاب عليه حرفا	يناديه بخدعته المنادي
وأثبت مثله عمرو عليه	كلا المرأين حية بطن واد
ألا يا عمرو ما أحرزت مصرا	وما ملت الغداة إلى الرشاد
وبعت الدين بالدنيا خسارا	فأنت بذاك من شر العباد
فلو كنت الغداة أخذت مصرا	ولكن دونها خرط القتاد
وفدت إلى معاوية بن حرب	فكنت بها كوافد قوم عاد
وأعطيت الذي أعطيت منه	بطرس فيه نضح من مداد
ألم تعرف أبا حسن عليا	وما نالت يداه من الأعداي

عدلت به معاوية بن حرب فيا بعد البياض من السواد
ويا بعد الأصابع من سهيل ويا بعد الصلاح من الفساد
أتأمن أن تراه على خدبٍ يحث الخيل بالأسل الحداد
ينادي بالنتزال وأنت منه بعيد فانظرن من ذا تعادي

فقال عمرو: يا ابن أخي، لو كنت مع علي وسعني بيتي، ولكني
الآن مع معاوية.

فقال له الفتى: إنك إن لم ترد معاوية لم يردك، ولكنك تريد دنياه
و [هو] يريد دينك.

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه [وهم بقتله]، فهرب فلحق بعلي،
فحدثه بأمر عمرو ومعاوية.

قال: فسر ذلك علياً، وقربه [وأدناه، وفرض له في كل(1)
أصحابه].

قال: وغضب مروان وقال: ما بالي لا أشتري كما اشتري
عمرو؟!

قال: فقال له معاوية: إنما تبتاع الرجال لك [فسكت مروان].

قال: فلما بلغ علياً ما صنعه معاوية وعمرو قال:

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذبا على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا ما كان يرضى أحمد لو خبرا

(1) لعل كلمة «كل» مقحمة. ب.

أن يقرنوا وصيه والأبترا	شاني الرسول واللعين
الأخ	زرا(1)
كلاهما في جنده قد عسكرا	قد باع هذا دينه فأفجرا(2)
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا	بملك مصر أن أصاب الظفرا(3)
إني إذا الموت دنا وحضرا	شمرت ثوبي ودعوت قنبرا(4)
قدم لوائي لا تؤخر حذرا	لن يدفع الحذار ما قد قدرا(5)
لما رأيت الموت موتا أحمر	عبأت همدان وعبوا حميرا
حي يمان يعظمون الخطرا	قرن إذا ناطح قرنا كسرا
قل لابن حرب لا تدب الخمرا(6)	أرود قليلا أبد منك الضجرا
لا تحسبني يا ابن حرب غمرا(7)	وسل بنا بدرا معا وخيبرا

- (1) سيأتي الكلام عن الأخر والأبترا.
- (2) أفجر: كذب، أو عصي، أو كفر. ومثله فجر.
- (3) ح: «بيعة قد خسراً».
- (4) قنبر بفتح القاف والباء: مولى علي. وإليه ينسب المحدثان العباس بن الحسن وأحمد ابن بشر القنبريان.
- (5) الحذار: الحذر. وفي الأصل: «لن ينفع» صوابه في ح.
- (6) الخمر، بفتح الخاء المعجمة والميم: ما وراك من الشجر والجبال ونحوها. والدبيب: المشي على هيئة. يقال للرجل إذا ختل صاحبه: هو يدب له الضراء، ويمشى له الخمر. وفي الأصل: «لا ندب الحمرا» والكلمتان محرفتان، والصواب في ح. والإرواد: الإمهال.
- (7) الغمر، بتثنية أوله وبفتح أوله وثانيه: من لم يجرب الأمور. وفي الأصل:

كانت قريش يوم بدر جزراً(1) إذ وردوا الأمر فذموا الصدر
لو أن عندي يا بن حرب جعفراً أو حمزة القرم الهمام
الأزهرا

رأت قريش نجم ليل ظهرا(2)

ونقول:

الأبتر والأخرز:

ورد في الشعر المتقدم كلمتا: الأخرز والأبتر، وقد فسر بعضهم
الأبتر بالعاص بن وائل، والأخرز بولده عمرو(3).
وهذا غير دقيق، فإن الأبتر هو عمرو بن العاص، والأخرز هو
معاوية.

ويدل على ذلك:

1 - قول عياض الثمالي مخاطباً شرحبيل بن السمط وهو ينهاه
عن سماع قول معاوية، وابن العاص:

«عمرأ» محرف.

- (1) الجزر بفتحيتين: اللحم الذي تأكله السباع، يقال: تركوهم جزراً إذا قتلوهم.
- (2) صفين للمنقري ص34 - 44 والفتوح لابن أعمش ج2 ص382 - 390 و (ط
دار الأضواء) ج2 ص510 - 516 وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص186
والعقد الفريد ج3 ص139 وعن تاريخ دمشق ج46 ص160 .
- (3) صفين للمنقري هامش ص43.

فلا تسمع قول الأعيور أو

عمرو (1)

والخزر هو النظر بمؤخر العين.. ولا يكون ذلك إلا حين تبدو العين وكأنها مغمضة نصف إغماض، فيصبح قريباً من حالة الأعور الذي حاله هو الإغماض التام. ولذلك وصفه بالأعور، على سبيل التصغير.

2 - قول ابن عم عمرو بن العاص عن خدعة معاوية لعمرو:

رُمي عمرو بأعور عشمي بعيد القعر مخشى الكياد

والخزر هو وصف في العين يوصف به من لا يؤمن غدره، وقد ورد في الروايات: أن للخزر عرق يدعو إلى غير الوفاء (2). ولعل أمير المؤمنين «عليه السلام» أراد أن يشير إلى هذه الصفة في معاوية وابن العاص.

3 - ويدل على أن هذا هو المراد نفس الأبيات التي تلت البيت

الذي ذكر الأبتري والأخزر، فراجع.

(1) صفين للمنقري ص 46 والغدير ج 10 ص 295 و 296 وشرح نهج البلاغة

للمعتزلي ج 2 ص 71 و 72.

(2) راجع: علل الشرائع ج 2 ص 393 والكافي ج 5 ص 352 ووسائل الشيعة

(آل البيت) ج 20 ص 82 و (الإسلامية) ج 14 ص 55 وغوالي اللآلي ج 3

ص 302.

نصوص لا تعيننا كثيراً:

هناك نصوص كثيرة لا تعيننا كثيراً، كتلك التي تتحدث عن تدبيرات وإعدادات معاوية للحرب مع علي «عليه السلام».. فيكاتب هذه الشخصية أو تلك، ويدعو أهل هذا البلد أو ذاك للانضمام إليه.. ويحاول خداعهم بأباطيله، وبما يزخره لهم من أقوال، وما يغدقه عليهم من وعود، بالإضافة إلى سعيه لتأليبهم على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وزرع الشكوك في نفوسهم في سياساته «عليه السلام» تجاههم، ونحو ذلك..

أو تلك التي تتحدث عن بعض ما كان يجري خارج محيط أمير المؤمنين «عليه السلام».. فإن ذلك كله أو أكثره لا يعيننا الخوض في دقائقه وتفصيله، لأن ههنا مصروف إلى إظهار خصوص ما يرتبط بسيرة علي «عليه السلام» في المجالات والشؤون المختلفة.

وما عدا ذلك، فإنما نورده كنص تاريخي يسهم في تكميل ملامح الصورة للواقع الذي تعامل معه أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو كنموذج لأساليب وسياسات وروحيات، وطريقة تعامل مناوئيه «عليه السلام»، ليستفاد منها في تلمس عظمة أمير المؤمنين «عليه السلام» والمناهج التي أرسى قواعدها، وشاد بنيانها، وأعلى صروحها..

فليعذرنا القارئ الكريم إذا وجد بعض الإنحسار في الأضواء الكاشفة التي نسلطها على هذا النوع من الأحداث، مهما كانت غنية

باللمحات، والدلالات على حقيقة وطبيعة أولئك الناس، الذين ابتلي بهم الإسلام وأهله، وخصوصاً النبي وعلي، وسائر أهل البيت «عليهم السلام» في تلك الفترة، والفترات التي تلتها..

ونقول أخيراً:

إننا سوف نذكر في الفصل التالي بعض ما يرتبط في النصوص التي أوردناها في هذا الفصل، متوخين الإختصار قدر الإمكان.

الفصل

هل الدين يباع!؟

من هم الرافضة؟!:

تقدم في كتاب معاوية لعمر و بن العاص بحسب نص ابن أعثم قوله: «إن علي بن أبي طالب اجتمع إليه رافضة أهل الحجاز، وأهل اليمن، والبصرة والكوفة».

وحسب نص المنقري: إنه كتب إليه: «وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة».

مع أنهم يطلقون كلمة رافضة على الشيعة وخصوصاً الإمامية منهم. ويزعمون: أنهم إنما سموا بهذا الاسم، حين تخلوا عن نصره زيد بن علي بن الحسين «عليهما السلام»، فقال لهم زيد: رفضتموني؟! رفضكم الله، فسموا بالرافضة(1).

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج6 ص498 و (ط أخرى) ج7 ص181 والبداية والنهاية ج9 ص330 والمقدمة لابن خلدون ص198 ومقالات الإسلاميين ج1 ص130 وغاية الإختصار ص134.

وقد استشهد زيد «رحمه الله» في سنة 120هـ (1) أو 121 هـ (2) أو 122 هـ (3).

(1) الإرشاد للمفيد ج2 ص174 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص326 وتاريخ مدينة دمشق ج19 ص456 والكامل في التاريخ ج5 ص229 وذيل المذيل من الطبري ج11 ص644 وعمدة الطالب ص258 عن محمد بن إسحاق بن موسى.

(2) مقاتل الطالبين ص98 وطبقات خليفة بن خياط ص449 وتاريخ الأمم والملوك ج7 ص160 و (ط مؤسسة الرسالة) ج5 ص482 عن الواقدي، ووفيات الأعيان ج5 ص122 ومسار الشيعة (مطبوع ضمن المجموعة النفيسة) ص62 والوافي بالوفيات ج26 ص72 وج27 ص207 وفوات الوفيات ج2 ص579 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج10 ص7 والعبر، وديوان المبتدأ والخبر ج4 ص115 والمعارف لابن قتيبة ص365 وعمدة الطالب ص258 عن الواقدي، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص129 عن خليفة، ورجال ابن داود ص100 والصوارم المهركة ص242 وبحار الأنوار ج46 ص203.

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص326 والتاريخ الكبير للبخاري ج3 ص402 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص165 والثقات لابن حبان ج4 ص249 و 250 ومشاهير علماء الأمصار ص104 وتاريخ مدينة دمشق ج19 ص456 والكامل في التاريخ ج5 ص229 ووفيات الأعيان ج5 ص122 وراجع: ذيل المذيل من الطبري ج11 ص644 وتاريخ الأمم والملوك ج7 ص160 و (ط مؤسسة الرسالة) ج5 ص482 عن هشام بن

وزعم نص آخر: أن التسمية بالرافضة جاءت من المغيرة بن سعيد، وكانت قضيته قبل زيد، أي في سنة 119 للهجرة(1).

ونقول:

إن ما زعموه عن تاريخ نشوء هذه التسمية غير صحيح، فإن هذه التسمية قد حصلت قبل ذلك بسنوات كثيرة.

ويشهد لذلك النصوص التالية:

أولاً: ما روى عن الشعبي المتوفى سنة 104 هجرية، من أنه قال لأحدهم: «انتني بشيعي صغير أخرج لك منه رافضياً كبيراً»(2).

ثانياً: روي عن الشعبي أيضاً: أنه قال: «أحبب آل محمد، ولا تكن رافضياً. وأثبت وعيد الله، ولا تكن مرجئياً»(3).

ثالثاً: روى البرقي عن أبي بصير: أنه شكاً إلى الإمام الباقر «عليه السلام»: «أن الولاة قد استحلوا دماءهم، وأموالهم باسم: «الرافضة»»(4).

-
- محمد، وعمدة الطالب ص 258 عن الزبير بن بكار، وخالصة تذهيب تذهيب الكمال ص 129 عن الليث، والهيثم بن عدي، والزبير بن بكار.
- (1) تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 181.
- (2) ميزان الاعتدال (ط سنة 1963 م) ج 2 ص 584.
- (3) روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار ص 40 و ربيع الأبرار ج 2 ص 60.
- (4) المحاسن للبرقي (ط النجف) ص 119 و (تحقيق الرجائي) ج 1 ص 256

رابعاً: عن أبي الجارود: أنه سمع أبا جعفر الباقر «عليه السلام» يقول: إن فلاناً سماناً باسم.

قال: وما ذاك الاسم؟!

قال: سمانا الرافضة.

فقال أبو جعفر: مشيراً بيده إلى صدره: وأنا من الرافضة، وهو مني. قالها ثلاثاً⁽¹⁾.

وإنما استشهد الإمام الباقر «عليه السلام» سنة 114، أو 115، أو 116 هجرية..

خامساً: قالوا: إنه لما أنشد الفرزدق أبياته المشهورة في الإمام زين العابدين «عليه السلام»، ومنها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحرم
والحرم

قال عبد الملك بن مروان المتوفي سنة 86 هجرية للفرزدق: «أرافضي أنت يا فرزدق»؟!⁽²⁾.

وبحار الأنوار ج65 ص97.

(1) المحاسن (بتحقيق الرجائي) ج1 ص256 و 257 وبحار الأنوار ج65 ص97.

(2) المحاسن والمسائى للبيهقي (ط صادر) ص212 وراجع هامش: الأمالي

وقد استشهد الإمام السجاد سنة 95 هجرية.

الرافضة في رسالة معاوية:

أما كلمة «الرافضة» الواردة في رسالة معاوية إلى عمرو بن العاص، فلا تشير إلى الشيعة كمصطلح يطلق عليهم، بل المراد بها معناها اللغوي، وهو في مورد كلامه: «الجند الذين تركوا قائدهم»، فالذين جاؤوا مع مروان إلى معاوية قد رفضوا الكون تحت قيادة وسيطرة أمير المؤمنين «عليه السلام». كما أن الذين كانوا مع أمير المؤمنين «عليه السلام» قد رفضوا قيادة عثمان، وولاته، بما فيهم معاوية..

وإنما سمي الشيعة بالرافضة، لأنهم رفضوا الإنقياد للحكام المتغلبين، الذين أخذوا الخلافة من أصحابها الشرعيين بالقوة والقهر، وهذا هو حال شيعة علي «عليه السلام»، فإن لا يعترفون بشرعية أية خلافة سوى خلافته «عليه السلام» وإمامة ولده المعصومين «عليهم السلام»..

وعلى هذا المعنى جاء قول السيد الحميري في هجاء سوار القاضي:

أبوك ابن سارق عنز النبي وأمك بنت أبي جدر

ونحن على رغمك الرافضون لأهل الضلالة والمنكر(1)

شيخ قريش، وصاحب أمرها:

وقد كذب محمد بن عمرو بن العاص حين قال لأبيه: إنك شيخ قريش، وصاحب أمرها..

فإن عمرو بن العاص لم يكن بهذه المثابة، وإنما أراد بذلك النفخ والتهويل والتعظيم الكاذب ليقنع أباه بالخروج إلى معاوية. وما أكثر الإدعاءات الفارغة عند أهل الباطل.

مات النبي / وهو راض عن ابن العاص:

وقد ادعى عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مات وهو راض عن أبيه عمرو..

غير أننا نقول:

لعل عبد الله أراد أن يقوم بشيء من الإيحاء الذاتي الكاذب، مظهراً حسن ظنه بأبيه، ليمنعه من محاربة علي «عليه السلام»، لأنه يعلم أن من يحارب علياً «عليه السلام» لا يسلم، ولكنه لما رأى إصرار أبيه على اللحاق بمعاوية، ومحاربة علي «عليه السلام» كان

(1) الفصول المختارة ص 59 و 60 و (ط دار المفيد) ص 92 والأغاني (ط بولاق) ج 7 ص 281 و 282 والغدير ج 2 ص 256 وراجع: أخبار القضاة لابن حبان ج 2 ص 75.

مع أبيه في ذلك.. ولا يستطيع عبد الله بن عمرو بن العاص، ولا غيره أن يحكم بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد مات وهو راض عن أحد من الناس، إلا أن يسمع من رسول الله «صلى الله عليه وآله» تصريحه بهذا الرضا، أو يسمع ذلك ممن سمع الرسول «صلى الله عليه وآله».. أو يخبره عنه من ثبتت عصمته، وأنه لا يقول إلا الحق، ولا يخبره إلا عن علم وصدق. أو أن يقول الله ورسوله قولاً يدل على استمرار ذلك الشخص في خط الإستقامة إلى ما بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».

أما مجرد سكوت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أي كان من الناس، فلا يدل على رضاه عنه، كما أنه «صلى الله عليه وآله» إن كان قد لعن شخصاً، أو طرده، فلا بد من اعتبار مفعول هذا اللعن سارياً إلا أن يصرح «صلى الله عليه وآله» بخلافه..

فمثلاً حين نزل قوله تعالى بوصف الوليد بن عقبة بالفاسق (..إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا..)(1)، ونزل قوله تعالى بلعن بني أمية في قوله تعالى: (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)(2).

وحين لعن النبي «صلى الله عليه وآله» الحكم بن أبي العاص، فلا يمكن القول بأن النبي «صلى الله عليه وآله» مات وهو راض

(1) الآية 6 من سورة الحجرات.

(2) الآية 3 من سورة الكوثر.

عن هؤلاء..

اللعين الأبتري:

وعمر بن العاص هو من نزل القرآن في ذمّه، وهو اللعين الأبتري، وقد ورد لعنه على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً مرة بعد أخرى.

ويدل على أنه هو الأبتري اللعين ما يلي:

1 - قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في الأبيات المتقدمة:

**أن يقرنوا وصيه والأبترا شاني الرسول واللعين
الأخزرا**

2 - روي عن الإمام الصادق عن أبيه «عليهما السلام» أنه قال: توفي القاسم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة، فمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو، فقال حين رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني لأشنؤه.

فقال العاص: لا جرم، لقد أصبح أبتراً.

فأنزل الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (1) «(2).

(1) الآية 60 من سورة الإسراء.

(2) الميزان (تفسير) ج 20 ص 372 عن الزبير بن بكار، وابن عساكر.

والبرهان (تفسير) ج 8 ص 405 و 406 وإمتاع الأسماع ج 5 ص 333

فالشاني المبغض هو عمرو، وهذا الذي قصدته الآية.

3 - وقال الإمام الحسن «عليه السلام» لعمرو في مجلس معاوية: «وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتّر، فإنما أنت كلب أول أمرك..»

إلى أن قال: ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شاني محمداً، وقال العاص بن وائل: إن محمداً رجل أبتّر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: (إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (1) «(2).

4 - وروى ابن بابويه بإسناده عن علي «عليه السلام» في حديث: أشر الأولين والآخرين اثنا عشر.. إلى أن عدّ في جملة الستة الآخرين: «والأبتّر: عمرو بن العاص» (3).

وتاريخ مدينة دمشق ج 46 ص 118 والدر المنثور ج 6 ص 404 وراجع: قاموس الرجال ج 8 ص 113 عن أسد الغابة، وتفسير القمي ج 2 ص 447 والبداية والنهاية ج 3 ص 104 وج 5 ص 307 والدر المنثور ج 8 ص 647. (1) الآية 60 من سورة الإسراء.

(2) الإحتجاج للطبرسي ج 2 ص 35 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 410 و 411 وبحار الأنوار ج 44 ص 80 ومستدرك سفينة البحار ج 10 ص 36 وتفسير نور الثقلين ج 5 ص 684.

(3) الخصال ج 2 ص 459 والبرهان (تفسير) ج 8 ص 405 عنه، وبحار الأنوار ج 37 ص 342 وتفسير نور الثقلين ج 3 ص 392 وج 5 ص 685 وغاية المرام ج 2 ص 347.

لعن الرسول / لعمر بن العاص:

ومن النصوص المصرحة بلعن النبي «صلى الله عليه وآله»
لعمر بن العاص، نذكر ما يلي:

1 - وقد هجا عمرو بن العاص النبي «صلى الله عليه وآله» في
الجاهلية هجاءً، كثيراً. وكان يعلمه صبيان مكة، فقال «صلى الله عليه
وآله»: اللهم إن عمرواً هجاني ولست بشاعر، فalcنه بعدد ما
هجاني(1).

2 - وفي رواية عن الإمام الحسن «عليه السلام» أنه قال لعمر
بن العاص في مجلس معاوية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «اللهم
العنه بكل حرف ألف لعنة، فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من
اللعن»(2).

-
- (1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص282 عن الواقدي وغيره، والإيضاح
ص84 والإحتجاج ج2 ص36 وبحار الأنوار ج33 ص229 وراجع:
الصراط المستقيم ج3 ص51 والفايق في غريب الحديث ج3 ص391
وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص548 وأحكام القرآن لابن
العربي ج1 ص75 والجامع لأحكام القرآن ج2 ص188 وتاريخ مدينة
دمشق ج46 ص118 وميزان الإعتدال ج3 ص318 وغريب الحديث
لابن قتيبة ج1 ص81 والنهاية في غريب الحديث ج5 ص248.
- (2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص285 - 291 عن مفاخرات الزبير بن
بكار، وراجع: تذكرة الخواص ص201 وجواهر المطالب ج2 ص219

3 - وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مر بعمر بن العاص والوليد بن عقبة وهما في حائط يشربان، ويغنيان في حمزة - لما قتل - بهذا البيت:

**كم من حواري تلوح عظامه درء الحروب أن يجر
فيقبرا**

فقال «صلى الله عليه وآله»: «اللهم العنهما واركسهما في الفتنة ركساً، ودُعِّهُمَا إلى النار دعاً» (1).

4 - وحين قال عمرو بن العاص لعلي «عليه السلام» في قضية التحكيم: أتشبهنا بالكفار؟!!

قال له «عليه السلام»: يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين ولياً، وللمسلمين عدواً وهل تشبه إلا أمك التي دفعت بك.

فقام عمرو وقال: لا يجمع بيني وبينك بعد اليوم مجلس.

فقال علي «عليه السلام» إن الله تعالى قد طهر مجلسي منك ومن أشباهك (2).

والغدیر ج 2 ص 135 .

(1) تفسير القمي ص 449 و (ط النجف سنة 1378 هـ) ج 2 ص 332 وبحار

الأنوار ج 20 ص 76 و ج 22 ص 99 وتفسير نور الثقلين ج 5 ص 139

ومستدرکات علم رجال الحديث ج 6 ص 50.

(2) بحار الأنوار ج 32 ص 542 وراجع ج 33 ص 316 و 317 وعن تذكرة

فمن لم يزل هذا حاله، هل يمكن أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد مات وهو راض عنه، كما يحلو لولده عبد الله أن يدعيه؟! أما رضى الشيخين عن عمرو بن العاص، فلا يغني لا في الدنيا ولا في الآخرة.

نصيحة عبد الله بن عمرو لأبيه:

ويذكرني حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مع أبيه بحديث الصياد والعصفور، فإن أحد الصيادين كان مبتلى بوجع في عينيه، فكانتا تدمعان باستمرار، فصاد عصفوراً، وكان عصفوران آخران على الشجرة، يشاهدانه وهو يذبح العصفور الذي صاده وعيناه تدمعان.

فقال أحدهما لصاحبه: انظر ما أرق قلب هذا الصياد، إنه يبكي على العصفور، وهو يراه يتألم.

فقال له: لا تنظر إلى دموع عينيه، ولكن انظر إلى فعل يديه..

الخواص ص 97 وراجع: صفين للمنقري ص 508 والأمالى للطوسي ص 188 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 37 والكامل في التاريخ ج 3 ص 320 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 175 وشجرة طوبى ج 2 ص 345 والدرجات الرفيعة ص 117 ونهج السعادة ج 2 ص 275 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 233 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 708.

وهذا هو حال عبد الله بن عمرو بن العاص في نصيحته لأبيه، فهو لا يرضى له أن يكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة، يوشك أن يهلك، فيثقى فيها..

ولكنه هو نفسه سحب أباه إلى معاوية، وقد اعترض على أبيه حين رضي بمصر طعمة، وثنماً لدينه.. وأراد منه أن يكون ثمن دينه أكثر من هذا، وقال هو وأخوه: وما مصر في ملك العرب؟!

قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر (1).

ثم شارك معه في الحرب، وكان على الميمنة في جيش معاوية في حرب صفين (2). أو على الميسرة (3). أو على الخيل (4). وكان صاحب راية أبيه عمرو بن العاص في صفين (1).

(1) راجع: صفين للمنقري ص40 وبحار الأنوار ج32 ص374 والغدير ج2 ص144 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص67.
(2) تاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص165 وأسد الغابة ج3 ص347 رقم 3092 و (ط دار الكتاب العربي) ج3 ص234 وسير أعلام النبلاء ج3 ص91 / 17.

(3) البداية والنهاية ج7 ص261 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص289 والفتوح لابن أعمم (ط دار الأضواء) ج2 ص537 وتاريخ مدينة دمشق ج65 ص152 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص93 و (تحقيق الشيري) ج1 ص123.

(4) الأخبار الطوال ص172.

وقد اعتذر للإمام الحسين «عليه السلام» عن مشاركته في هذه الحرب: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره أن يطيع أباه. فقال له الإمام الحسين «عليه السلام»: أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟! قال: بلى (2).

كما أنه قد تولى الكوفة من قبل معاوية مدة (3). ثم تولى له مصر بعد أبيه (4).

-
- (1) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 958 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 266 والفتوح لابن أعمم ج 3 ص 26.
- (2) المعجم الأوسط ج 4 ص 181 ومجمع الزوائد ج 9 ص 186 وراجع ص 177 وأسد الغابة ج 3 ص 347 و (ط دار الكتاب العربي) ج 3 ص 235 ومدينة المعاجز ج 4 ص 53 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 73 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 343 وتاريخ مدينة دمشق ج 31 ص 275.
- (3) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 166 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 127 والبداية والنهاية ج 8 ص 264 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 5 ص 165 وسير أعلام النبلاء ج 3 ص 91 والأعلام للزركلي ج 4 ص 111 والكامل في التاريخ ج 3 ص 413 و 425.
- (4) تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 181 و 229 و (ط الأعلمي) ج 4 ص 137 و 172 وتاريخ مدينة دمشق ج 31 ص 279 والبداية والنهاية ج 8 ص 24 و

وورث عن أبيه ثروة هائلة، فيها القناطير المقنطرة من ذهب
مصر (1).

فأين تقع أفاعيل عبد الله بن عمرو بن العاص من أقواله ونصائحه
لأبيه؟!

ابن العاص وابن سعد:

وإن حيرة ابن العاص وهو يخير نفسه بين الدنيا والآخرة، ثم
إيثاره الدنيا عليها، تذكرنا بعمر بن سعد الذي أخذته هذه الحيرة أيضاً
بين ولاية الري، وبين قتل الحسين «عليه السلام»، فاختر أن يقتل
الإمام الحسين، ولا يفرض بملك الري، وهو القائل:

دعاني عبيد الله من دون قومه إلى خطبة فيها خرجت
لحينئذ والله ما أدري وإني لحائر أفكر في أمري على
خط رين
أترك ملك الري والري منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

(ط دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص 35 والكامل في التاريخ ج 3
ص 425 و 455 والتاريخ الكبير للبخاري ج 5 ص 5 وفتوح البلدان
للبلاذري ج 1 ص 269 .

(1) سير أعلام النبلاء ج 3 ص 90 وراجع ص 58 وموسوعة الإمام علي بن
أبي طالب ج 5 ص 329 عنه.

وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرّة عيني(1)
يقولون إن الله خالق جنة ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا مما يقولون إنني أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة وملك عقيم دائم الحجلين
وإن إله العرش يغفر زلتي ولو كنت فيها أظلم الثقلين
ولكنها الدنيا بخير معجل وما عاقل باع الوجود
بدين(2)

فعمر بن العاص هو الملهم لمن جاء بعده. بما فيهم عمر بن سعد، فهو فاتح هذا الباب، وهو الأسوة والقُدوة له ولغيره.
ولكنني أشك في صدقه حتى فيما يدّعيه من الحيرة، كما سنرى..
ولكن الحر بن يزيد الرياحي الذي أرسله ابن زياد، قد ضيّق على الإمام الحسين «عليه السلام»، وسأيره حتى أنزله أرض كربلاء..
فلما تواقف الجيشان، وعرف أن السيل قد بلغ الزبي أخذته رعدة شديدة، فسأله المهاجر بن أوس عن هذا الحال، فقال: «إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار.. ووالله لا أختار على الجنة شيئاً، ولو قطعت

(1) مقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 248 والفصول المهمة لابن الصباغ ج 2 ص 822 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 248 .
(2) راجع: اللهوف في قتلى الطفوف ص 193 ومقتل الحسين للخوارزمي ج 2 ص 221.

وحرقت».

ثم ضرب فرسه، فلحق بالإمام الحسين «عليه السلام»، واستشهد بين يديه(1).

نظرة في بيع عمرو بن العاص دينه:

وقبل أن نواصل الحديث، نسجل ما يلي:

1- إن عمرو بن العاص لم يستفد من مصر بعد أن أخذها من معاوية طعمة سوى سنتين وثلاثة أشهر(2)، فما أرخصها، أو فقل: ما أخسرها من صفقة. أن يبيع الإنسان آخرته، ويبوء بالإثم العظيم، والعذاب الأليم في مقابل هذا الثمن البخس. وقد دل هو نفسه على خسران صفقته بما أظهره من حسرات عند موته. وهي جديرة بالقراءة والتأمل، فراجع(3).

-
- (1) مقتل الحسين لأبي مخنف ص120 والعوامل، الإمام الحسين ص254 وتاريخ الطبري (ط الأعلمي) ج 4 ص324 و 225 والكامل في التاريخ ج 4 ص64 والبداية والنهاية (دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص195 وإعلام الوري ج 1 ص460 واللهور في قتلى الطفوف ص61 و 62.
- (2) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص221. وراجع: الكامل في التاريخ ج 3 ص425 و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص27 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 5 ص322.
- (3) راجع: تاريخ اليعقوبي ج 2 ص222 ونهج السعادة ج 8 ص357 عنه،

2 - إن من يراجع كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» السابقة عن أن عمرو بن العاص، من أنه لم يزل عدواً للمسلمين طول حياته يخرج بنتيجة واضحة، وهي أنه لم يكن لدى عمرو بن العاص دين حتى يبيعه، أو يتخلى عنه لمعاوية أو لغيره، لأي سبب كان. وهذا يعطي: أن هذا النوع من التعابير قد جاءت على سبيل المجاز والمسامحة.

أو يقال: إن المقصود: هو أنه قد أعطى معاوية عهداً بعدم التفكير بالدين والآخرة، وقرر المشاركة في ارتكاب الجرائم العظمى الهادفة إلى طمس حقائق الدين، وإلى قتل وصي رسول رب العالمين.. مقابل حكومة مصر هذه الفترة الوجيزة، ثم مواجهة العقاب الإلهي الذي هو أشد وأخزى.

3 - إننا لا نعتقد أنه تحير بين اختيار الدنيا واختيار الآخرة، فإنه لم يزل في أحضان الدنيا ومن طلابها طول حياته، كما دلت عليه

والإستيغاب ج 3 ص 269 رقم 1953 و (ط دار الجيل) ج 3 ص 1984 - 1190 رقم 1931 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص 323 وسير أعلام النبلاء ج 3 ص 74 والغدير ج 2 ص 175 وتاريخ مدينة دمشق ج 46 ص 191. وراجع: مسند أحمد ج 4 ص 199 والمستدرک للحاكم ج 3 ص 453 وتاريخ مدينة دمشق ج 46 ص 193 وأسد الغابة ج 4 ص 117 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 4 ص 96 والبدایة والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص 29.

سيرته، وكلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» المتقدمة معه.. وإنما أراد التمثيل على الناس، والتوطئة لطلب أغلى الأثمان من معاوية..
أما عمر بن سعد، فإن الشعر المتقدم يدل على أنه لم يكن مؤمناً بالآخرة، بل شاكاً فيها..

الدنيا والآخرة عند علي ×:

زعم عمرو بن العاص، ويزعم غيره: أن علياً «عليه السلام» يعطي الآخرة، وليس عنده دنيا.. أما معاوية فعنده الدنيا من دون الآخرة..

وهذا مفهوم باطل، وغير صحيح لسببين:

أحدهما: أن المعيار في كون أمر من الأمور دنيوياً لا ربط له بالآخرة، أو أخروياً لا ربط له بالدنيا، يحتاج إلى تحديد؛ لأن المفهوم الذي يتعامل به هؤلاء مع الآخرين مختلف ومتفاوت، فهناك من يرى أن الدنيا هي المال والسلطة. فإذا حصل عليهما يكون قد حصل عليها.

وهؤلاء على قسمين:

قسم يرى: أن على الإنسان أن يتقيد في عمله للوصول إلى هذين الأمرين بقيود وحدود لا يتعداها، فلا يظلم، ولا يعتدي، ويحفظ الكرامات، ويراعي الحقوق..

وقسم آخر، وهم الأكثرون: لا يباليون بشيء من ذلك، بل يتعاملون على أساس أن الغاية تبرر ارتكاب كل جريمة، والخوض

في كل موبقة عظيمة.

ثانيهما: إننا نجد علياً «عليه السلام» لا يرى أن الدنيا هي خصوص المال والجاه والسلطان، ولا يحتم على الإنسان المؤمن التتكر لهما، والتخلي عنهما.. بل هو يرى: أن المال والسلطان من وسائل الوصول للآخرة، والحصول عليها.. فإن خير المال ما اكتسب ثناء وشكراً، وأوجب ثواباً وأجرأ(1). وما قضي به الحاجات وما وسع به على العيال، وخير السلطان ما أعان على إقامة القسط والعدل، وما انتصر به للحق، وأدبل به من الباطل..

كما أن الجاه والسلطان، والنفوذ، وجميع الأعمال الدنيوية لا تختلف عن المال في هذه الأدوار، حيث يمكن أن يكون سبيلاً للآخرة ومن وسائل نيلها، فتكون نعيماً في الدنيا، وثواباً وأجرأ يدخره لآخرته، وعلي «عليه السلام» هو القائل «لابن عباس حين دخل عليه بذبي قار - أو بالربذة - وهو يخصف نعله: ما قيمة هذه النعل؟!»!

فقال ابن عباس: لا قيمة لها..

فقال «عليه السلام»: والله، لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً إلخ..(2).

(1) عيون الحكم والمواعظ للواسطي ص143 و 155 ومحاسبة النفس

للكفعمي ص60 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج10 ص118.

(2) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص80 الخطبة رقم33 وبحار

كما أنه «عليه السلام» لا يرى انحصار الأمر بالمال، والسلطان، فإن الكرامة والذكر الجميل والمروءة، والطهر، والنبل، وكل الصفات الحسنة والالتذاذ بقضاء حاجات الناس، وتذوق حلاوة الإيمان، والطهر، ونحو ذلك.. هي أيضاً من الدنيا..

ويشهد لذلك: تصريح أمير المؤمنين «عليه السلام» في كتاب له إلى عمرو بن العاص نفسه يقول فيه:

«فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره، وطلبت فضله، اتباع الكلب للضرغام، يلوذ إلى مخالبه، وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك وآخرتك، ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت»(1).

فعلي «عليه السلام» لا يرى أن ابن العاص قد حصل على شيء

الأنوار ج 32 ص 76 و 113 ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج 1 ص 93 والإرشاد للمفيد ج 1 ص 247 ومناقب آل أبي طالب ج 1 ص 370 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص 228 والجمل لابن شدقم ص 112 ونهج السعادة ج 1 ص 249 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 185.

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 3 ص 64 قسم الخطب الخطبة رقم 39 والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 268 وبحار الأنوار ج 32 ص 226 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 16 ص 160 والنصائح الكافية لابن عقيل ص 73.

حتى على الدنيا، بل يرى أنه قد خسرها، وخسر الآخرة معها.. ولم يدرك ما طلب..

وأنه لو أخذ ما طلبه مراعيًا للحق لكان قد حصل على ما طلبه من الدنيا، ولم تفته الآخرة أيضاً.

ومن الأمور التي كذب فيها عمرو بن العاص وخدع نفسه، أو أنه أراد أن يخدع غيره بها قوله:

«أما علي فدين ليس يشركه دنيا وذاك له دنيا وسلطان»

مع أنه هو نفسه بالرغم من كل تاريخه المشين والمهين في حربه لله ورسوله.. بمجرد أن تظاهر بالإسلام قد أوكل إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» العديد من المهمات..

كما أنه يرى: أن علياً «عليه السلام» يستعين بمنائيه، من أمثال الأشعث بن قيس، وجريير بن عبد الله البجلي، وسواهما..

مع أن إكمال المهمات له ولأمثاله، ولهؤلاء يدل على أنه «عليه السلام» لا يستثني حتى من يبطن عداوته من الأعمال، والولايات، إلا إذا ظهرت الخيانة من أي كان منهم، فإنه يحاسبه، ويتعامل معه وفق ما يرضي الله سبحانه. تماماً كما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعامل الناس بما فيهم عماله «صلى الله عليه وآله»..

أليس هذا إسفافاً؟!:

والتأمل في شعر عمرو بن العاص المتقدم، الذي أثنى فيه على غلامه وردان يجد أنه قد أسفَّ فيه، أيما إسفاف، فوقع بالتناقض تارة، وسعى إلى تحسين القبيح أخرى، وإلى التوسل بالكذب ثالثة، فمثلاً:

1 - تراه تارة يقول: وما معي بالذي أختار برهان.. ثم يناقض قوله هذا ، فيقول:

«أمر لعمرو أبيكم غير مشتبه»، فهو مصداق لقوله تعالى: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) (1). أو قوله سبحانه: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) (2).

2 - أما تحسينه القبيح، فهو يتجلى في اعترافه بأنه يفضل الدنيا ويتخلى عن دينه من أجلها.. ويصرح بأن دافعه إلى ذلك هو حرصه وطمع نفسه، وفي الأطباع إدهان، وأنه لم يراع العفاف فيما اختاره.. ثم هو يناقض ذلك كله حين يدعي: أن ما فعله كان استجابة لنفسه، لأنها تحب العيش في شرف.

وأي شرف في أن يترك الإنسان الدين، ويتشبث بالدنيا بداعي الحرص والطمع؟!:

(1) الآية 48 من سورة الأنفال.

(2) الآية 14 من سورة الشورى.

3 - إنه قد كذب مرة أخرى، حين ادعى: أنه إنما اختار هذا السبيل، لأنه:

«ليس يرضى بذل العيش
إنسان»

فأي ذل كان يتعرض له عمرو بن العاص آنئذٍ، إلا إن كان يخشى أن يطالبه علي «عليه السلام» بما احتجته من أموال المسلمين حين كان والياً من قبل الخلفاء الذين سبقوه، وأن يقصد أنه سيتعرض للذل لو أنه اختار أن يكون مع علي «عليه السلام» وإن لم يكن عنده ما يعلم أنه من أموال المسلمين، فإن عكس ذلك هو الصحيح، لأنه سيكون معزراً مكرماً.

أما إن اعتزل علياً ومعاوية، فإن أحداً لا يجبره على شيء، ولا يسوقه إلى ما لا يحب بالقوة والقهر..

والشاهد على ذلك: أنه «عليه السلام» لم يجبر ابن عمر وحسان بن ثابت، وسور بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة على حضور حروبه مع أعدائه.

وإن كان يريد أن يدعي أنه سيعيش في ذل الفقر والحاجة لو كان مع علي، فهو غير صادق فيما يقول: فإن ما احتجته من الأموال في ولاياته الطويلة في مصر كان يكفيه عشرات السنين. كما أنه لو عمل لعلي «عليه السلام»، فسيأخذ أجره كما يأخذ غيره من العمال.

على أن الصحيح هو: أن لجوءه إلى معاوية هو الذي أدله،

وأوقعه في المهانة، كما ألمح إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» في كتابه إليه المذكور آنفاً.. وكما ألمح إليه ولده عبد الله حين استنصحه في الذهاب إلى معاوية.

مصالحة ملك الروم:

تقدم: أن معاوية أخبر عمرو بن العاص بخروج محمد بن حذيفة من سجنه، وأن قيصر الروم زحف إليه..

وأن علياً «عليه السلام» في الكوفة يتهيأ للمسير إلى الشام..

زاد في رواية الطبري: وأن ناتل بن قيس الجذامي غلب على

فلسطين وأخذ بيت مالها..

وقال الطبري أيضاً: إن هذه الأخبار قد وردت إلى معاوية في

وقت نصف الليل، فأمر مؤذنه أن يؤذن في تلك الساعة. فجاءه عمرو

بن العاص، فقال: لم أرسلت إلي؟!!

فقال: أنا ما أرسلت إليك!!!

قال: ما أذن المؤذن هذه الساعة إلا من أجلي..

فأخبره معاوية بالأمر.

فأمره عمرو بالنسبة للذين خرجوا من سجنهم بأن يجعل لمن أتاه

برجل منهم، أو برأسه ديتته، فإنه سيؤتى بهم.. وقد علل هذا القرار: بأن

هؤلاء لا موئل لهم: ولا ملجأ يلجأون إليه، فهم تائهون خائفون. ولم يجتمع

الناس حولهم بعد.

وأما ملك الروم، فأمره عمرو بن العاص بأن يوادعه، ويعطيه مالا وحللاً من حلل مصر، فإنه سيرضى بذلك(1).

وقال المسعودي أيضاً: «قد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله إليه لشغله بعلي»(2).

وأما نائل، فلعمري ما أغضبه الدين، ولا أراد إلا ما أصاب.. فاكذب إليه، وهب له ذلك..

إلى أن قال: «واجعل حدك وحديدك لهذا الذي عنده دم ابن عمك»(3).

ونقول:

علينا ملاحظة ما يلي:

1 - واللافت هنا: قوله عن علي: إن عنده دم عثمان. مما يعني: أن هذين الرجلين يكذبان الكذبة ثم يتظاهرون أمام الناس بأنهم يصدقونها، فقد قرأنا أن هذين الرجلين الماكرين قد صرحا بخلاف

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص333 و (ط الأعلمي) ج4 ص246 وصفين للمنقري ص37 و 38 والفتوح لابن أعمم ج2 ص386 وتاريخ مدينة دمشق ج61 ص375 وغير ذلك.

(2) مروج الذهب ج2 ص387.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص333 و (ط الأعلمي) ج4 ص247 وتاريخ مدينة دمشق ج61 ص376.

ذلك، فقد تقدم قول عمرو لمعاوية:

أما علي، فوالله لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء. وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش إلا أن تظلمه. قال: صدقت، ولكننا نقاتله على ما في أيدينا، ونلزمه قتل عثمان. قال عمرو: وا سواتاه، إن أحق الناس ألا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت (1).

قال: ولم؟! ويحك!!

قال: أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام، حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي، فسار إليه.

وأما أنا فتركته عياناً، وذهبت إلى فلسطين..

فطلب معاوية من عمرو أن يبايعه.

فقال: لا، لعمرو الله، لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك الخ.. (2).

(1) في هذه العبارة حزازة ظاهرة.

(2) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 186 وراجع: صفين للمنقري ص 38 وعن تاريخ مدينة دمشق ج 46 ص 170 والعقد الفريد ج 3 ص 339 ونهج السعادة ج 2 ص 64. وراجع: أنساب الأشراف ص 287 و 288 وتاريخ عمرو بن العاص لحسن إبراهيم حسن ص 244 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج 6 ص 47 و 48.

وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب دلائل كثيرة، ونصوصاً غزيرة تدل على أن معاوية قد خذل عثمان، وكان يرغب في قتله، كما صرح به أمير المؤمنين «عليه السلام»..

2 - ويستوقفنا هنا: قول عمرو بن العاص: إن لعلي «عليه السلام» في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش. فهو يعتبر تضحيات علي «عليه السلام» وجهاده مجرد حظ وصدفة.. وليس لها من مهارته «عليه السلام» وتديبره، وحسن تصرفه أي دور فيها، وذلك على قاعدتهم المكذوبة: «إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب»⁽¹⁾. وليس لها أيضاً من التأييد الإلهي، ومن الزخم الإيماني لدى علي «عليه السلام» نصيب!!

3 - والأكثر غرابة هنا قول معاوية المتقدم، حين ذكر خروج محمد بن حذيفة وأصحابه من سجن مصر: «وهو من آفات هذا الدين».

فهل كان معاوية يخشى على الدين من محمد بن حذيفة؟! أم كان

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 70 والأغاني ج 15 ص 45 والمهذب لابن البراج ج 1 ص 324 ودعائم الإسلام ج 1 ص 390 والغارات للثقي ج 2 ص 477 ومقاتل الطالبين ص 15 وشرح الأخبار ج 2 ص 75 وبحار الأنوار ج 34 ص 65 ونهج السعادة ج 2 ص 564 وج 5 ص 317 والمعيان والموازنة ص 99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 75 والأخبار الطوال ص 212 والعثمانية للجاحظ ص 96.

يخشى على خروج مصر من يده؟!!

وهل كان أحد أضر على هذا الدين من معاوية؟! أليس قد اشترى من عمرو بن العاص دينه وأعطاه مصر طعمة، من أجل محاربة سيد الأوصياء، وخليفة خير الأنبياء، وأخي الرسول، وزوج البتول؟!!

4 - وأما المصيبة العظمى، فهي: أن يرضى بالذل والهوان وبإذلال المسلمين أمام طاغية كافر، فيبذل له الأموال والرشا، ويتزلف إليه، بإعطائه الجزية لكي يتفرغ لحرب وصي نبيه، ويهدم صرح الدين الذي قام بسيف وجهود وجهاد وتضحيات نفس هذا الذي يريد التفرغ لحربه، ويسعى في قتله..

مع أنه على يقين من أن هذا الذي يحاربه ويريد قتله هو سبب كل نعمة حصل عليها، وكل مجد يتقلب فيه، وكل مقام بلغه، وكل عز ينتهي إليه.

فهل بعد هذا يمكن أن نتصور خذلاناً وخزياً أشد من هذا الخزي؟!!

لماذا يقر ابن العاص بفضائل علي ×؟!:

قد يتوهم متوهم: أن صحوة ضمير قد عرضت لعمر بن العاص دعتة إلى الإعراف بفضائل علي «عليه السلام» حين كان يفاوض معاوية.

وهذا يدل على أن في هذا الرجل ذرة من الخير لم تستطع أن

تثبت أمام طغيان النفس الأمارة بالسوء، التي استجابت لدواعي الطمع بالدنيا..

غير أن الواقع ليس كذلك، فإن عمرو بن العاص لم يعترف بما اعترف به رغبة في إظهار الحق أمام من ينكره.. ولكنه أراد مكايمة معاوية، والتلويح له بأنه قادر على الإضرار به إن لم يستجيب لمطالبه، ولو بأن يعلن أمام أهل الشام بعض ما يعرفه من فضائل علي «عليه السلام»..

وإنما فعل عمرو ذلك حين شعر بأن معاوية يسعى إلى التأثير عليه، وإحراجه بأباطيل يعرف كل منهما زيفها وسقوطها..
فكلام عمرو هنا: من أجل مصاديق الكلمة المأثورة عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «كلمة حق يراد بها باطل».

يضاف إلى ذلك: أن عمرواً أراد تصعيب الأمر على معاوية، ليحصل منه على الثمن الكبير والخطير الذي يريد.. فإن حرب علي «عليه السلام» ليست نزهة.. ولا يمكن الإكتفاء بحشد الجيوش، وجمع السلاح، بل يحتاج الأمر إلى مكابدة مشقات كبيرة وخطيرة، وابتكار أساليب شيطانية لخداع الناس بأباطيل خصوم علي، وإثارة الشبهات، وبث الشائعات، وتسويق الأكاذيب. وتشويه صورة أقدس وأفضل، وأعظم رجل على وجه الأرض، وأكرم المخلوقات على الله ورسوله..

كما لا بد من ابتكار الأساليب الماكرة والتزوير الخطير، المفيد

في قلب الحقائق، وتقديم الأبالسة والشياطين في صورة الأخيار الأبرار الأطهار، بل في صورة القديسين والأولياء، إن لم يكن في صورة الأنبياء..

ولذلك قال عمرو لمعاوية: «والله يا معاوية، ما أنت وعلي بعلمي بعير، ما لك هجرته، ولا سابقته الخ..

إلى أن قال: فما تجعل لي إن شايعتك على حربيه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر، والخطر».

الشاهد على بيع عمرو دينه!!:

إن عمرو بن العاص لم يزل يصرح لمعاوية، ولغيره: بأنه جاء إلى الشام ليبيع دينه لمعاوية.

ومن الواضح: أن تخلي الإنسان عن دينه هو من موجبات غضب الله تعالى وخذلانه بالنسبة للبائع، والمشتري على حد سواء. بل هو من أعظم الجرائم والموبقات.

فما معنى جعل هؤلاء المغضوب عليهم، الله شاهداً على أعظم جريمة يبغضها الله، ويبغض مرتكبيها؟! وهل يظنان أن ما يفعلونه حقاً، وأن الله سبحانه سوف يضمن لهما الوفاء، ويعاقب الناقض والمتخلف؟!!

ألا يعد هذا الإشهاد جرأة مضاعفة منهما على مقام العزة الإلهية؟! وإمعاناً في السخرية، والإستهزاء، والإستهانة به تعالى؟!!

لا أشبع الله بطونكما:

ولا بأس بأن نتوقف قليلاً للمقارنة بين قول عمرو بن العاص لابنيه، حين أظهرها عدم الرضا بمصر طعمة: «لا أشبع الله بطونكما، إن لم يشبعكما مصر».

بالإضافة إلى أن معاوية يرى لنفسه الحق في أن يطعم مصر وأهلها لرجل واحد، وأن يجعلها ثمناً لدينه.

فيجسد هذان الرجلان المصداق الحي لقول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً»⁽¹⁾.

فهؤلاء يبيعون أهل مصر ويشترونهم، ويعطون أموال تلك البلاد كلها لمن شأؤوا، بلا وجل ولا خجل.

أما علي «عليه السلام»، فهو الذي يقول: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت»⁽²⁾.

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص120 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص284 وبحار الأنوار ج33 ص573 و 597 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص100 وج17 ص225.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص218 ومستدرك الوسائل ج12 ص98 وج13 ص211 والصرط المستقيم ج1 ص163 وحلية الأبرار ج2 ص201 وبحار الأنوار ج72 ص360.

فعلى المرء المنصف أن يقارن بين منطق وسيرة علي «عليه السلام» وأهل بيته، وبين منطق وسيرة هؤلاء الفجرة، المتجرئين على الله ورسوله وعباده.

بيع الدين في المزاد!!:

قال ابن أعثم:

وأصبح معاوية بعد ما بايعه عمرو بن العاص، فإذا برقعة مطوية على بساطه، فأخذها ونظر فيها، فإذا فيها أبيات من الشعر.

في د: «هذه الأبيات»:

يا ابن هند أصلحت ما خفت مني	ثم قعقت خلف رحلي وشنّ
اجعلن لي كما جعلت لعمرو	ليس عمرو أولى بذلك مني
كنت أرجوك للحياة وللمو	ت جميعاً فأخلف اليوم ظني
أعمرو مصر ومصرك بالشا	م ولي منك يا ابن هند التمني
فإذا قلت أعطني قلت قولاً	مثل ريح الصبا بأمر مغني
إن تكن تنصر الخليفة للـ	ه فلا تعن ذاك بمنني
أو ترد الغداة عمراً عن الـ	حق فخل الغداة عنه وعني
ارمه والذي تحج له الناس بـ	ما فيه أن يشاكل فني

قال: فدعا معاوية بعبد الرحمن بن خالد المخزومي، فقال: إني

أظن هذه الرقعة لك.

قال: نعم، هي لي.

فقال معاوية: لا تفعل يا بن أخ! فإن عمراً كان رأساً في الجاهلية،
وعلماً في الإسلام، ولا ينبغي لك أن ألحقك به في العطاء، وسأفعل بك
جميعاً.

قال: فسكت عبد الرحمن بن خالد.

وبلغ ذلك عمرو بن العاص، فأقبل إلى عبد الرحمن فقال: يا بن
أخ! أما علمت أن قریشاً اختارت رجلين في أيام النجاشي فكنت أنا
أحدهم؟! أما والله! لو كان أبو سليمان خالد بن الوليد في الأحياء لم
أرض منك بهذا أبداً.

ثم أقبل عمرو حتى دخل على معاوية.

فقال: يا هذا! إني والله لم أزل أسمع في كل يوم من سفهاء قریش
مثل هذا وأشباهه أبداً، فلعنة الله على مصر! والله لقد استعملني على
مصر من هو خير منك ومن عثمان، ولقد استعملني النبي «صلى الله
عليه وآله» على عمان، فأقلني يا هذا حتى أجلس في بيتي وأنت
محسن - وأنشده شعراً.

فقال معاوية: يا هذا! والله لقد أكثرت ولم تكن مكثراً، وأحببت
أقواماً ما كنت أدفعك عن جوابهم، وحسبك بأن يقال: قال عمرو، وقيل
لعمر، فإنك إن كاشفت القوم كاشفوك (1).

(1) كتاب الفتوح لابن أعمم ج2 ص390 و 391 و (ط دار الأضواء) ج2

ونقول:

إنه لمن الغريب حقاً: أن يحتج عمرو بن العاص على مكانته وتقدمه باختيار قريش له ليكون لها المسلمين، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، ليوقع بهم حين هاجروا إلى الحبشة!! وهل في هذا رفعة وفخر؟!!

وهل المخازي التي ارتكبوها، والحروب التي شنوها على الله ورسوله وعلى المؤمنين من موجبات خزيهم أم هي من موجبات سقوطهم؟! وعدم أهليتهم لشيء؟!!

ويا ليته احتج لنفسه بإنجاز حقه في الإسلام، بأن فتح للمسلمين خيبراً، أو قتل لهم عمرو بن عبد ود في غزوة الخندق، أو فتح لهم في غزوة ذات السلاسل فتحاً.. أو أنه بات على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة ليقية بنفسه، أو نحو ذلك.

ولو كان هذا الذي ذكره عمرو من موجبات الرفعة، فإن وحشياً الذي قتل حمزة كان أولى منه بالتقدم، وأحق بامتلاك البلاد، والتسلط على العباد..

والأغرب من ذلك: أن يرضى منه أحد يسمي نفسه مسلماً بحجة كهذه.

وأغرب وأعجب من هذا وذاك: أن يحتج معاوية نفسه لصحة ما أقدم عليه من تقديمه عمرواً، وإعطائه مصر وأهلها بنفس هذه الحجة..

وأضاف الى حجته هذه: أن عمرواً كان علماً في الإسلام.. ولا ندري بأي شيء تجلت عَمِيَّةُ عمرو في الإسلام. هل تجلت فيه علماً؟! أم زهداً؟! أم جهاداً في سبيل الله؟! أم تجلت مكرماً، وغدراً؟! وسعياً في الفساد والإفساد؟! واستهانة بالدين وأهله؟! واستحلالاً للحرمان؟! حتى إنه يجعل دينه في المزاد العلني لبيعه لهذا وذاك؟!

ويزيد الطين بلة، والخرق اتساعاً: أن نجد معاوية يعتبر أن مكانة عمرو في الجاهلية تعطيه الحق في زيادة العطاء له من أموال المسلمين والمستضعفين، حتى إنه لا ينبغي أن يلحق معاوية به أحداً في العطاء من أجل ذلك!!

مع أن موقعه في الجاهلية إنما كان يستخدمه في الصد عن سبيل الله، وفي السعي في إطفاء نور الله، وهو اللعين ابن اللعين، والشانيء الأبتى، الذي عرف بشدة حقه على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مكة، وكثرة أذاه له، حتى كان يضع الحجارة في طريق الرسول ليعثر بها حين يخرج ليلاً ليصلي في المسجد الحرام⁽¹⁾.

وألا يستحي عبد الرحمان بن خالد بن الوليد من أن يعرض دينه للبيع، كما فعل عمرو بن العاص؟!

وكذلك الحال بالنسبة لمروان الذي اعترض هو الآخر على معاوية: كيف لا يشتريه ولا يشتري دينه، كما اشترى عمرواً ودينه؟!

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص282.

فإننا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذا كان أمثال
هؤلاء سوف يكونون رعاة للأمة وخلفاء للرسول..
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل
مفلس

الفصل السابع:

شرح بيل المخدوع..
المخدول..

معاوية يخدع شرحبيل بن السمط:

وبعد أن بعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب [محمد] بن أبي حذيفة فأدركه فقتله، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه. قال معاوية لعمره: ما ترى في علي؟!!

قال: أرى فيه خيراً، أتاك في هذه البيعة خير أهل العراق [جرير]، ومن عند خير الناس [علي بن أبي طالب] في أنفس الناس، ودعواك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطر شديد [وأمر عظيم]، ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي، وهو عدو لجرير المرسل إليك، فأرسل إليه [وعبّ له رجالاً من ثقاتك يشهدون بأن علياً قتل عثمان]، ووطن له ثقاتك فليفشوا في الناس أن علياً قتل عثمان، وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب، وإن تعلقت بقلب شرحبيل [فإن علقته الشهادة بقلبه] لم تخرج منه بشيء أبداً.

فكتب إلى شرحبيل: «إن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند علي

بن أبي طالب بأمر فظيع، فاقدم [إلينا رحمك الله! فإننا نريد أن نستشيرك في أمرنا، وقد حبسنا عليك أنفسنا وعلى مشورتك، والسلام]».

ودعا معاوية يزيد بن أسد، وبسر بن [أبي] أرطاة، وعمرو بن سفيان [زاد في الفتوح: أبا الأعور السلمي، والضحاك بن قيس الفهري، وذا الكلاع الحميري، والحصين بن نمير السكوني، وحوشب ذي الظليم]، ومخارق بن الحارث الزبيدي، وحمزة بن مالك، وحابس بن سعد الطائي.

وهؤلاء رؤوس قحطان واليمن [رؤساء أهل الشام يومئذ]، وكانوا ثقات معاوية وخاصته - وبني عم شرحبيل بن السمط - فأمرهم أن يلقوه، ويخبروه أن علياً قتل عثمان.

نصيحة ابن غنم وعياض الشمالي:

فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل وهو بحمص استشار أهل اليمن فاختلّفوا عليه، فقام إليه عبد الرحمن بن غنم الأزدي، وهو صاحب معاذ بن جبل وختته - وكان أفه أهل الشام [فاستشاره في المسير إلى معاوية] - فقال:

يا شرحبيل بن السمط، إن الله لم يزل يزيدك خيراً مذ هاجرت إلى اليوم، وإنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إنه قد ألقى إلينا قتل عثمان، وأن علياً قتل عثمان، [في الفتوح: ولو كان علي قتله لما بايعه المهاجرون والأنصار، وهم أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم الحكام على الناس! وإنما معاوية إنما يدعوك إلى نفسه ليأخذ من دينك ويعطيك من دنياه، كما فعل بعمر بن العاص. فإن كان ولا بد أن تكون أميراً فسر إلى علي بن أبي طالب، فإنه أحق الناس بهذا الأمر من معاوية وغير معاوية].

وحسب نص ابن مزاحم:

فإن يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكام على الناس، وإن لم يكن قتله، فعلام تصدق معاوية عليه؟! لا تهلك نفسك وقومك. فإن كرهت أن يذهب بحظها جرير، فسر إلى علي فبايعه على شامك وقومك. فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية، فبعث إليه عياض الثمالي، وكان ناسكاً:

أيا شرح يا ابن السمط إنك بالغ بود علي ما تريد من الأمر
[أيا شرح يا ابن السمط لا تك مصغياً إلى فتنة عمياء ينتهه

الخبر(ك) _____ (ذا)]

ويا شرح إن الشام شامك ما بها سواك فدع قول المضلل من
فهر _____

فإن ابن حرب ناصب لك خدعة تكون علينا مثل راغية البكر
فإن نال ما يرجو بنا كان ملكنا هنيئاً له، والحرب قاصمة

الظهر

فلا تبغين حرب العراق فإنها
وإن علياً خير من وطئ الحصى
له في رقاب الناس عهد وذمة
فبايع ولا ترجع على العقب كافراً
ولا تسمعن قول الطغام فإنما

تحرم أطهار النساء من الذعر
من الهاشميين المداريك للوتر
كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر
أعيذك بالله العزيز من الكفر
يريدون أن يلقوك في لجة

البحر

وماذا عليهم أن تطاعن دونهم
فإن غلبوا كانوا علينا أئمة
وإن غلبوا لم يصل بالحرب غيرنا
يهون على علياً لؤي بن غالب

علياً بأطراف المثقفة السمر
وكنا بحمد الله من ولد الظهر(1)
وكان علي حربنا آخر الدهر
دماء بني قحطان في ملكهم

تجري

فدع عنك عثمان بن عفان إننا
لك الخير، لا ندري وإنك لا

تدري

على أي حال كان مصرع جنبه
فلا تسمعن قول الأعيور أو
عمرو

[فلما سمع شرحبيل بن السمط هذا الشعر كأنه وقع بقلبه، ثم أقبل

(1) يقال فلان من ولد الظهر، بالفتح: أي ليس منها. وقيل معناه: أنه لا يلتفت

إليه، قال أوطاة بن سهية:

فمن مبلغ أبناء مرة أننا
وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر

على عبد الرحمن بن غنم، فقال: إني سمعت ما قلت وقد أحببت أن أسمع كلام معاوية].

شرح حبيب عند معاوية:

وروى نصر بن مزاحم، في حديث محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني قال: لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فأعظموه، ودخل على معاوية، فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا شرحبيل، إن جرير بن عبد الله يدعونا إلى بيعة علي، وعلي خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان.

و [قد] حبست نفسي عليك [لأنك رجل من سادات كندة وأنا واحد منكم، أرى بما ترضون وأكره ما تكرهون، فهات ما عندك]. أو قال: وإنما أنا رجل من أهل الشام، أرى ما رضوا، وأكره ما كرهوا.

فقال شرحبيل: أخرج فأنظر.

فخرج، فلقيه هؤلاء نفر الموطؤون له، فكلهم يخبره بأن علياً قتل عثمان بن عفان. فخرج مغضباً إلى معاوية.

فقال: يا معاوية، أرى الناس إلا أن علياً قتل عثمان، ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام، أو لنقتلنك.

قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم. وما أنا إلا رجل من أهل الشام، [وأحارب من تحاربون، وأسالم من تسالمون].

قال: فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذأ [إذن].

قال: فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، وأن الشام كله مع شرحبيل.

فخرج شرحبيل فأتى حصين بن نمير، فقال: ابعث إلى جرير [فليأتنا].

فبعث إليه حصين: أن زرنا، فإن عندنا شرحبيل بن السمط. فاجتمعا عنده، فتكلم شرحبيل، فقال: يا جرير، أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في لهوات الأسد. وأردت أن تخلط الشام بالعراق، وأطرات علياً وهو قاتل عثمان، والله سائلك عما قلت يوم القيامة.

فأقبل عليه [فضحك] جرير فقال: يا شرحبيل.

أما قولك: إني جئت بأمر ملفف، فكيف يكون أمراً ملففاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار، وقوتل على رده طلحة والزبير؟! وأما قولك إني ألقيتك في لهوات الأسد، ففي لهواتها ألقيت نفسك. وأما خلط العراق بالشام، فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل.

وأما قولك إن علياً قتل عثمان فوالله ما في يديك [شيء] من ذلك إلا القذف بالغيب من مكان بعيد، [والله سائلك يوم القيامة]، ولكنك ملت إلى الدنيا، وشيء كان في نفسك عليّ زمن سعد بن أبي وقاص.

فبلغ معاوية قول الرجلين، فبعث إلى جرير فزجره، ولم يدر ما أجابه أهل الشام.

محاولات فشلت:

وكتب جرير إلى شرحبيل، (وفي الفتوح: أن هذا الشعر للأسود بن عبد الله، وأنه كتبه إلى شرحبيل قبل أن يصير إلى معاوية):

شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى فمالك في الدنيا من الدين من بدل
وقل لابن حرب مالك اليوم حرمة تروم بها ما رمت، فاقطع له
الأمم

شرحبيل إن الحق قد جد جد وإنك مأمون الأديم من النغل
فأرود ولا تفرط بشيء نخافه عليك، ولا تعجل فلا خير في
العجب

ولا تك كالمجري إلى شر غاية فقد خرق السربال واستنوق
الجم

[تأن ولا تعجل بشيء تريده فما بك من حين به تبتغي الأجل]
وقال ابن هند في علي عضيها والله في صدر ابن أبي طالب
أجل

وما لعلني في ابن عفان سقطة بأمر، ولا جلب عليه، ولا قتل
وما كان إلا لازماً قعر بيته إلى أن أتى عثمان في بيته
الأجل

فمن قال قولاً غير هذا فحسبه من الزور والبهتان قول الذي

احتهم
وصي رسول الله من دون أهله وفارسه الأولى [الماضي] به
يضرب المثل

فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر، وقال: هذه نصيحة لي في
ديني ودنياي. [و] لا والله لا أعجل في هذا الأمر بشيء وفي نفسي
منه حاجة.

[ثم سار حتى دخل على معاوية]. فاستتر له القوم، ولفف له
معاوية الرجال، يدخلون إليه ويخرجون، ويعظمون عنده قتل عثمان،
ويرمون به علياً، ويقيمون الشهادة الباطلة، والكتب المختلفة، حتى
أعادوا رأيه وشحنوا عزمه.

وبلغ ذلك قومه، فبعث ابن أخت له من بارق - وكان يرى رأي
علي بن أبي طالب فبايعه بعد، وكان ممن لحق من أهل الشام، وكان
ناسكاً - فقال:

لعمر أبي الأشقي ابن هند لقد رمى شرحبيل بالسهم الذي هو قاتله
ولفف قوماً يسحبون ذيولهم جميعاً وأولى الناس بالذنب
فاعا

فألفى يمانياً ضعيفاً نخاعه إلى كل ما يهوون تحدى
رواحا

فطأطأ لها لما رموه بثقلها ولا يرزق التقوى من الله خاذله
ليأكل دنيا لابن هند بدينه ألا وابن هند قبل ذلك آكله

وقالوا علي في ابن عفان، خدعة ودبت إليه بالشنان غوائله
ولا والذي أرسى ثبيراً مكانه لقد كف عنه كفه ووسائله
وما كان إلا من صحاب محمد وكلهم تغلي عليه مراجله
[قال في الفتوح: فهم معاوية بقتل قائل هذا الشعر، فهرب حتى
صار إلى علي بن أبي طالب، وحدثه الحديث على جهته من أوله إلى
آخره، فقربه علي وأدناه وفرض له في أصحابه].

لكن المنقري يقول:

فلما بلغ شرحبيل هذا القول قال: هذا بعيث الشيطان، الآن امتحن
الله قلبي. والله لأسيرن صاحب هذا الشعر أو ليفوتنني. فهرب الفتى
إلى الكوفة - وكان أصله منها - وكاد أهل الشام أن يرتابوا .

شرحبيل يستهض البلاد لحرب علي ×:

روى نصر: عن محمد بن عبيد الله، وعمر بن سعد بإسناده قال:
وبعث معاوية إلى شرحبيل بن السمط فقال:

«إنه كان من إجابتك الحق، وما وقع فيه أجرك على الله، وقبله
عنك صلحاء الناس، ما علمت، وإن هذا الأمر الذي قد عرفته لا يتم
إلا برضا العامة، فسر في مدائن الشام، وناد فيهم بأن علياً قتل
عثمان، وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه».

فسار، فبدأ بأهل حمص فقام خطيباً، وكان مأموناً في أهل الشام،
ناسكاً، متألهاً، فقال:

«يا أيها الناس، إن علياً قتل عثمان بن عفان، وقد غضب له قوم فقتلهم، وهزم الجميع، وغلب على الأرض فلم يبق إلا الشام. وهو واضع سيفه على عاتقه، ثم خائض به غمار الموت حتى يأتاكم أو يحدث الله أمراً، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية، فجدوا [وانهضوا]».

فأجابه الناس إلا نساك أهل حمص، فإنهم قاموا إليه، فقالوا: بيوتنا قبورنا ومساجدنا، وأنت أعلم بما ترى.

وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها، لا يأتي على قوم إلا قبلوا ما أتاهم به، فبعث إليه النجاشي بن الحارث، وكان صديقاً له:

ولكن لبغض المالكي جرير	وشرحبيل ما للدين فارقت أمرنا
فأصبحت كالحادي بغير بعير	وشحناء دبت بين سعد وبينه
قريشاً فيما بعد نصير	وما أنت، إذ كانت بجيلة عاتبت
وقد حار فيها عقل كل بصير	أفصل أمراً غبت عنه بشبهة
ولا للتي لقوقها بحضور	بقول رجال لم يكونوا أئمة
من الغيب ما دلاهم بغرور	وما قول قوم غائبين تقاذفوا
علياً على أنس به وسرور	وتترك أن الناس أعطوا عهدهم
نظيراً له لم يفصحوا بنظير	إذا قيل هاتوا واحداً تفتدونه
شرحبيل ما ما جنته	لعلك أن تشقى الغداة بحربه

بصغير

[وذكر ابن أعثم: أن شرحبيل حرّض الناس على قتال علي «حتى اجتمع إليه خلق كثير، فأقبل بهم إلى معاوية، فبايعوه على أنهم يقاتلون بين يديه، ويموتون تحت ركابه.

قال: فوثب رجل من أهل السكاسك وكان مجتهداً فاضلاً، وكان شاعراً، واسمه الأسود بن عرفجة، فوقف بين يدي معاوية وأنشأ وجعل يقول أبياتاً من الشعر مطلعها:

كانت الشام قبل شرح وبيل لعلي ظهراً له حدياء
وقال في الهامش:

فإذا فأقبل الإمام وقد قا ل أناس بحطة الأهواء
فاستوى الغث والسمين لدى النا س وقالوا الجماء كالقرناء
ودعانا عميدنا شرحبيل إلى فتنة بها صمّاء
فقتلنا الذي دعانا إليه وثنينا أعنة البغضاء
غير أنّا نحب أبا السبطين إذ كان سيد الأوصياء
شهد الفتح والنضير وبدرا وحنيناً وأحد يوم البلاء
وله يوم خيبر راية النصر وقد قل شوكة الأعداء
وله في قريظة الخطر الأعظم إذ قل جد أهل اللواء
فاحذر اليوم صولة الأسد الور د إذا جاء في رحى
الهيحاء(1)

(1) وقعة صفين للمنقري ص 50 و 51.

قال: فقطع عليه معاوية كلامه، ثم قال: من هذا الأسد الورد؟! فقال: هذا والله علي بن أبي طالب أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، الذي قتل جدك، وعم أمك، وأخاك، وخالك يوم بدر! فأنت تطالبه في الإسلام بما فعل في قومك الكفرة الفجرة.

فقال معاوية: خذوه!

فوثب إليه غلامان من غلمان معاوية.. وقام إليه شرحبيل، فقال: كف عنه يا معاوية! فإنه رجل من سادات قومه، فلا تؤذيه، فأنفض - والله - ما في عنقي من بيعتك.

قال معاوية: فإني قد وهبته لك.

قال: فهرب الرجل إلى مصر، ثم كتب إلى علي «رضي الله عنه» أبياتاً من الشعر مطلعها:

ألا أبلغ أبا حسن علياً فكفى بالذي تهوى طويله

وقال في الهامش: مكانها في د:

أعد مآثر أعظمت وطالت	وأخرى منك أذكرها جميلة
فسر بها معاوية بن صخر	وايقن أنها ليست قليلة
فقال لشرحبيل فيك هذا	فقال المرء من أعلى قبيلة
وأهل الشام يستمعون قولي	أجوز بالقلوب لها فضيلة
فكاشرنى وكنت من أجرب (كذا)	كذنب السوء في الشاة الأكيلة
أريهم ما أحب ويزلقوني	بأبصار على البغضا دليلة

فأُمسّت بعد سابعة بمصر وكانت من مقاتله جليلة
فأيقن أنني منها بريء وأني منه منقطع الوسيلة
فلا تفرح معاوية ابن حرب فإن الشام عزتها
ذليلة (1).

وروى نصر عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلّة، عن عامر الشعبي: أن شرحبيل بن السمط بن جبلة الكندي [خرج شرحبيل من عند جرير مغضباً حتى] دخل على معاوية، فقال: أنت عامل أمير المؤمنين وابن عمه، ونحن المؤمنون، فإن كنت رجلاً تجاهد علياً وقتلة عثمان حتى ندرك بئارنا، أو تقنى أرواحنا، استعملناك علينا، وإلا عزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد، ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان أو نهلك.

فقال جرير: يا شرحبيل، مهلاً، فإن الله قد حقن الدماء، ولم الشعث، وجمع أمر الأمة، ودنا من هذه الأمة سكون، فإياك أن تفسد بين الناس، وأمسك عن هذا القول قبل أن يظهر منك قول لا تستطيع رده.

قال: لا والله لا أسره أبداً.

ثم قام فتكلم، فقال الناس: صدق صدق، القول ما قال، والرأي ما رأى.

(1) الفتوح لابن أعمش ج 2 ص 406 - 409 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 524.

فأيس جرير عند ذلك عن معاوية، وعن عوام أهل الشام(1).

ونقول:

إننا لا نستطيع مناقشة كل ما ورد في هذه النصوص، ولكننا نود لفت نظر القارئ إلى ما يلي:

أول الفضائل:

بإمكان القارئ الكريم ملاحظة أن النصوص المتقدمة قد حملت في طياتها إشارات مختلفة إلى العديد من الفضائل والميزات والكرامات لأمير المؤمنين «عليه السلام»، الأمر الذي يشير إلى أن هذه الأمور وكثير غيرها كانت من المسلمات في طول البلاد الإسلامية وعرضها، منذ الأيام الأولى..

ولم يكن يمكن التستر عليها، بل كان مناوؤه أنفسهم يرددونها متظاهرين بالإقتناع والإعتراف بها، حتى وهم يسعون لإقناع الناس بمشاركتهم في حربه «عليه السلام».

وهذا من غرائب الأمور، ومن الكرامات له «عليه السلام». كما أن ورودها على لسان هؤلاء قد أسهم في حفظها، وسهّل تداولها وروايتها، وعدم التحرج من ذلك..

(1) صفين للمنقري ص 44 - 52 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 83 و

فالحمد لله الذي جعل أعداءه «عليه السلام» يتناقلون فضائله الظاهرة، وكراماته الباهرة، ويعترفون بالحق رغماً عنهم.

يعرفونه ويحاربونه:

إن النصوص المختلفة والتصريحات الكثيرة الصادرة من أعداء أمير المؤمنين «عليه السلام» تدل على أنهم كانوا يعرفون علياً «عليه السلام» بجلِّ خصوصياته، إن لم يكن بكلها، ولو إجمالاً، فهم يعترفون كثيراً أنه خير أهل الأرض، وأنه وصي الرسول، وأخوه، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، ويعرفون علمه، وزهده، وتقواه، وفضله، وخصاله الأخلاقية الفاخرة والباهرة. ومحبة الله تعالى له، وقربه منه. ويعرفون أيضاً شجاعته وحزمه، وعزمه، وشدته في ذات الله، ويعرفون كذلك طريقة عيشه، ومع من يتعامل، ومن يحب، ومن يبغض، ويعرفون.. ويعرفون.. ثم يصرون على حربه، وعلى تعمد قتله، وقتل أبنائه، وجميع أهل بيته.

وهذا يؤكد ما قاله الفقهاء، من أن محاربي علي «عليه السلام» أعظم جرماً من محاربي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنهم قد قرأوا القرآن، وعرفوا فضل أهل الفضل، فأتوا ما أتوا بعد بصيرة⁽¹⁾.

(1) راجع: تهذيب الأحكام ج 6 ص 170 وجواهر الكلام ج 21 ص 325 ودعائم الإسلام ج 1 ص 388 ومستدرک الوسائل ج 11 ص 62 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج 3 ص 19 وبحار الأنوار ج 32 ص 322

هل كان شرحبيل مخدوعاً؟!:

ونحن إذا تأملنا سيرة شرحبيل، فإننا نجد أنفسنا أمام صورة يريد أيضاً معاوية وعمرو بن العاص، أو أنصار شرحبيل أن يشيعوها عنه، وهي: أن شرحبيل قد خدع، واستغلت فيه بساطة ذاته، وغفلته، بل إن بعض النصوص المتقدمة حاولت أن تجعله من أهل الزهد، والإستقامة، والنسك، والعبادة أيضاً، فقد وصف فيها بأنه كان مأموناً في أهل الشام، ناسكاً متألهاً..

ولا نرى أن هذه هي الصورة الحقيقية لهذا الرجل، بل صورته الحقيقية هي أنه كان مريض القلب، سيء الرأي، فاسداً، شريراً ومن أهل الدنيا.. ويوضح ذلك:

أولاً: أن عبد الرحمن بن غنم قد أوضح له الأمور، وسد عليه المنافذ، ولم يترك له أية ذريعة لسلوك طريق الغي.. ولم يكن لديه هو، ولم يسمع من أحد ما يبطل حجج ابن غنم، أو ما يوجب الريب فيها

ثانياً: لو كان شرحبيل من أهل النسك والأمانة والتقوى، لكفاه حجة على صلاح علي «عليه السلام» إجماع المهاجرين والأنصار على البيعة لعلي «عليه السلام»، وإجماعهم على قتل عثمان، وعلى عدم الدفع عنه.

فما معنى أن يرجح شهادة بضعة رجال يعرف أنهم لم يشهدوا عثمان، ويعرف انحرافهم عن علي «عليه السلام»، وعداوتهم له، ولا يرى فيهم، بل ليس فيهم الورع والتقوى، والأمانة والصدق، عشر معشار ما في الكثيرين من المهاجرين والأنصار؟!!

ولماذا لا يهتم لما يسمعه من حجج جرير، وعياض الثمالي، وعبد الرحمن بن غنم، والأسود بن عبد الله، وذلك الرجل البارقي، وما بعث به إليه صديقه النجاشي الشاعر؟! ولماذا يسقط شهاداتهم، ولا يلتفت إليها؟! ولا للحجج التي أقاموها، ثم هو تظاهر بأنه لا يريد تصديق معاوية، بل يريد أن يحقق في الأمر؟! ليس هذا من التدليس والخداع المتعمد، ومن الضحك على اللحي؟!!

ثالثاً: ما معنى أن يخرج علي إمام بايعه المهاجرون والأنصار وأكثر الأمة، لمجرد عداوة كانت له مع جرير بن عبد الله البجلي؟! وقد ألمح إلى ذلك عبد الرحمن بن غنم حين قال له: وإن كرهت أن يذهب بحظها جرير، فسر إلى علي، فبايعه علي شامك وقومك الخ..

وقد تقدم قول النجاشي له:

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا ولكن لبغض المالكي جرير
وشحناء دبت بين سعد وبينه فأصبحت كالحادي بغير بعير
فهل يخرج علي الإمام، ويسعى لإسقاط النظام، ويحاول قتل وصي النبي، ويقدم على سفك دماء عشرات الألوف من أهل القبلة،

لمجرد أنه لا يحب حامل رسالة علي «عليه السلام» إلى معاوية؟! وهل هذا من مفردات الأمانة، والنسك، والتأله؟!!

وهل يغفل عن هذا شخص له هذا المقام العظيم في الناس؟! وهل يمكن أن ينال هذا المقام في النسك والتأله والأمانة من يبلغ إلى هذا الحد من التغفيل والسذاجة؟! وقلة الإدراك؟!!

فإذا كان هذا هو حال أكثر الرجال نفوذاً في بلاد الشام، حتى إن معاوية ليقول: «إن الشام كله مع شرحبيل»، فما حال أهل الشام أنفسهم؟!!

رابعاً: لماذا انزعج شرحبيل من قول ابن أخته البارقي، واعتبره بعيث الشيطان. وتهده بما يسوءه، حتى اضطره للهرب إلى الكوفة، مع أن هذا الفتى لم يزد على أن قدم لشرحبيل نصيحة صادقة، وكشف له عن خدعة معاوية له، فلماذا يعاقب شرحبيل الناصحين؟! ولماذا لا يتحقق من صدق ما أخبره به هذا الفتى؟!!

خامساً: إن البارقي، ابن أخت شرحبيل، قد وصف شرحبيل في شعره: بأنه طالب دنيا. وأن مقاصده الدنيوية ليست مشروعة، ولا مرضية لله، بل هو قد نفى عنه التقوى، وأن الله تعالى قد خذله حين قال: ولا يرزق التقوى من الله خاذله.

كما أن جرير بن عبد الله قد قال له: «ولكنك ملت إلى الدنيا، وشيء كان في نفسك على زمن سعد بن أبي وقاص».

كما أن جريراً أو الأسود بن عبد الله قد ألمح إليه أنه باتباعه

لمعاوية يكون قد اتبع هواه، وليس له في الدنيا بدل عن الدين..
وتقدم قول النجاشي له: إنه فارق علياً لأجل عداوته لجرير،
 وكذا قال البارقي.

فمن كان هذا حاله كيف يوصف بالنسك والتأله والأمانة؟!
سادساً: إن عياض الثمالي قد تجاوز حتى هذا المقدار في أمر
 شرحبيل، فقد اعتبر عدم بيعته لعلي «عليه السلام»، وانقياده رجوعاً
 إلى الكفر بعد الإيمان.

عصبيات عشائرية ومناطقية:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن شرحبيل المتهم بالنسك
 والتأله، والأمانة، يتعامل بمنطق العشائرية، والفئوية التي أدانها
 الاسلام، ورفضها، واعتبرها دعوة منتنة.

فهو يأخذ على جرير بن عبد الله أنه أراد أن يخلط الشام بالعراق!
 ما البأس في خلط الشام بالعراق؟! أليس العراقيون إخوة لأهل الشام
 في الدين، وفي الإنسانية، وهم عرب مثلهم، ولهم لسان واحد، وعدو
 واحد، ومصير واحد؟! فما معنى أن يعتبر خلط الشام بالعراق جريمة
 يحاسب عليها، أو خطأ يطالب بتصحيحه؟!!

أليس بين البلدين قبائل واحدة يعيش شطر منها هنا، وشرط هنا؟!
 ويتزاورون ويتعاونون.. ويشد بعضهم أزر بعض؟!!

ولماذا يريد شرحبيل أن يفرق بين العدنانيين والقحطانيين، ويوقع

بينهما العداوة؟! ولماذا يستسيغ أن يسفك بعضهم دماء بعض..

وهل:

يهون على عليا لؤي بن غالب دماء بني قحطان في ملكهم
تجري؟!!

ألم يسمع قول الله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)؟! (1). وقال سبحانه:
(وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)؟! (2).
وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا فضل لعربي على
عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود
على أحمر إلا بالتقوى» (3).

(1) الآية 1 من سورة النساء.

(2) الآية 13 من سورة الحجرات.

(3) راجع: العهود المحمدية للشعراني ص 873 مسند أحمد ج 5 ص 411
ومجمع الزوائد ج 3 ص 266 ومسند ابن المبارك ص 106 والمعجم
الأوسط ج 5 ص 86 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 3 ص 699
والجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 342 وتفسير البحر المحيط ج 2 ص 266
والدر المنثور ج 6 ص 98 وتفسير الألوسي ج 26 ص 163 وسبل الهدى
والرشاد ج 8 ص 482 وأحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 382 و 543
ومكاتيب الرسول ج 2 ص 412.

التضحية بالغير في سبيل الأنا:

وقد أشارت الأشعار المتقدمة: إلى أن معاوية وحزبه إنما يريدون أن ينالوا ملك بلاد الشام ليتنعموا به، ولو بقيمة قتل أهل الشام في تلك الحروب، فإن المهم عندهم هو الوصول إلى هذا الأمر، ولا يهمهم بعد هذا من عاش ومن قتل، بل ذكرت أنهم بعد حصولهم على الملك، ينظرون إلى أهل البلاد الذين بذلوا الدماء، وقتلوا وقتلوا، وعادوا إمامهم أبد الدهر، وخسروا دنياهم، وخسروا آخرتهم - ينظرون إليهم - نظرة احتقار ومهانة، وكأنهم ليسوا من أبناء ذلك البلد.. بل هم من «ولد الظهر».

نعم.. هذا هو واقع هؤلاء، وقد أدركه حتى الناس العاديون..

أما علي «عليه السلام»، فهو كرسول الله «صلى الله عليه وآله» يندفع بنفسه ويدفع بأهل بيته، وهم خير أهل الأرض ليحاموا عن دين الله، وليدفعوا الأسواء والشرور عن عباد الله، فهم يحمونهم بأجسادهم ويبذلون في الدفاع عنهم أرواحهم ابتغاء وجه الله، لا من أجل الملك.. أما الملك والخلافة، فقد تقدم: أنه لا يساوي عند علي «عليه السلام»، والأئمة من ولده شسع نعل بالية، إلا أن يقيم حقاً، ويدفع باطلاً..

كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر:

وقد ذكر عياض الثمالي: أن علياً «عليه السلام»:

له في رقاب الناس عهد وذمة كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر

والظاهر: أن عياض الثمالي، قد أجرى الكلام على حسب ما كان يشيعه أتباع الخلفاء، أو حسب ما كان يراه شرحبيل نفسه، من شرعية خلافة أبي بكر وعمر.. فهو يريد أن يلزمه بما يلزم به نفسه، ويحتج عليه بما يراه، وإلا فإن خلافة علي هي الأولى بالإعتبار والقبول من خلافة غيره.

فإن خلافته «عليه السلام» وإمامته مقررة من الله ورسوله، وقد بايعت الأمة له بالولاية والإمامة يوم الغدير بأمر إلهي، وتبديير ونص وإشراف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ..

وحين قتل عثمان بقي الناس بما فيهم المهاجرون والأنصار أياماً كثيرة يلاحقونه من مكان إلى مكان، ويلحون عليه بقبول البيعة، وهو يأبى عليهم، فلما رضي بايعوه على بكرة أبيهم.. وكان في طليعة الملحيين والمبايعين أولئك الذن كانوا أول الناكثين والمقتولين.

أما بيعة أبي بكر، فقد كانت بالقهر والقوة، والتهديد، ثم الهجوم على بيت الزهراء «عليها السلام»، ومحاولة إحراقه، وانتهى الأمر بضربها وإسقاط جنينها.. حتى ماتت صديقة شهيدة.

وقد امتنع من البيعة له علي وبنو هاشم، وسعد بن عباد ومن معه، وكثيرون آخرون.

ثم كانت خلافة عمر بوصية من أبي بكر التي كان هذا حالها..

فلا مجال لقياس العهد والذمة في بيعة علي بالعهد والذمة في بيعة
أبي بكر وأبي حفص.

سعيد بن قيس يكتب شرحبيل:

قال ابن أعثم:

وأقبل سعيد بن قيس الهمداني إلى علي «رضي الله عنه» فقال: يا
أمير المؤمنين! إن شرحبيل رجل عمي القلب. وقد سار في مدائن الشام
فاستنفرهم إلى حربنا، فأذن لي أن أكتب إليه كتاباً، فلعلّي أشككه فيما
هو فيه.

فقال علي: اكتب ما أحببت.

فكتب إليه سعيد بن قيس:

أما بعد يا شرحبيل.. فإن أهلك من أرض اليمن، غير أنك
هاجرت إلى الكوفة وانتقلت إلى الشام، فكنت بها ما شاء الله، حتى إذا
قتل عثمان وبايع الناس علياً عبي لك معاوية رجالاً لا يعرفون
الحلال، ولا ينكرون الحرام، فاخذعوك، وشهدوا عندك أن علياً قتل
عثمان.

ولو نظرت بعقلك لعلمت أن ذلك باطل وزور، ولو كان علي ما
شهدوا عندك أن علياً قتل عثمان لما بايعه المهاجرون والأنصار، وهم
واضعون أسيافهم على عواتقهم، يقاتلون معه من خالفه من أهل
البصرة وغيرهم من الناس، فلا تكن رأس الخطيئة ومفتاح البلية،

فإني ما زلت لك ناصحاً و عليك مشفقاً.. والسلام.

ثم أثبت في أسفل كتابه شعراً:

أيأ شرح يا بن السمط أصبحت راجعاً

على العقب فانظر في رجوعك للعقب

وقال في الهامش: في د بدلها:

أخذت ابن هند من علي وبنس ما أخذت وفيها منك ذاكية الذهب

أخذت ظليقاً ناصباً بمهاجر تقي له في الناس خطب من

الخط

على غير شيء كان منه علمته ولم يك منه في ابن عفان من ذنب

وما كان إلا لازماً قعر بيته قليل التخلي في الحوادث والغضب

إلى أن رماه الموت في جوف داره فبايعه القوم الذين هم حسبي

صحاب رسول الله في كل موطن أولئك (أولى) بالهدى من بني

ك

فلما أراد الله تغيير نعمة عليك بما غيرت من نعم الرب

لقيت رجالاً لفقوا لك خدعة ولا بنت فيها بالعظيمة والكذب

وصدقت قوماً لا وراء وعينوا ولو عاينوا كانوا كمن غاب في

ل

فقلت الذي قالوا بغير روية ولا سمع أذن من بعيد ولا قرب

فسبحان من أرسى ثبيراً مكانه أيرضى من الرأس المقدم

بالعجب

ويرضى ابن هند من صحاب محمد برجراجة راضون بالأكل

والشرب

قال: فلما انتهى الكتاب إلى شرحبيل أخذه فأتى به معاوية، فأقرأه إياه، فقال معاوية: لا عليك، هو سيد في همدان وأنت سيد في كندة، فأجبه على كتابه.

قال: فكتب إليه شرحبيل:

أما بعد.. فقد أتاني كتابك، تذكر فيه أني هاجرت إلى الكوفة، وانتقلت إلى الشام، ولعمري ما العراق لي بدار ولا الشام علي بعار، وإنما أنا رجل من أهل اليمن، وأما قولي بأن علياً قتل عثمان، فإني أخذت ذلك عن الثقات من أهل الرضا، ولا يقال للشاهد: من أين قلت؟ فأما المهاجرون والأنصار، فلهم ما في أيديهم من بيعة علي، ولنا ما في أيدينا من بيعة معاوية.. والسلام.

قال: ثم أقبل شرحبيل على ابن عم له من كندة فقال: أجب سعيد بن قيس على شعره هذا بما أمكنك!

قال: فكتب إلى سعيد أبياتاً من الشعر مطلعها:

أيها العائب الفتى شرحبيل لن ينال الإنسان مجرى
النجوم

وقال في الهامش: في د مكانها:

لا تعبهُ فإنه حجر الشا م و سمر العدا ونكل الظلوم
ولنعم الثمال في السند المحـ ل، وداعي القرى ومأوى
البيت

إنه والذي تحج له النا
 ما ابن هند وفضله كعلي
 ضارب الكبش في العجاجة والس
 وله حقه وإن ظلموه
 غير أن الشهود قد شهدوا اليو
 فلئن كانت الشهود روته
 ولئن كان ذاك عن خبر النا
 هلك الشاهدون بالزور طراً
 الجحيم(1)

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

الوسائل المشروعة:

1 - إن سعيد بن قيس حين طلب من علي «عليه السلام» أن يسمح له بأن يكتب إلى شرحبيل ليشككه فيما هو فيه، لم يدخل في أمر غير أخلاقي، أو غير شرعي. بل هو عمل مشروع ومقدس. ولا غبار عليه، لأنه لا يريد أن يخدعه بزخرف القول، أو أن يستخدم أسلوباً محرماً في هذا السبيل، بل يريد أن يجعل صداقته له وثقته به، وسيلة

(1) الفتوح لابن أعمم ج2 ص409-412 و (ط دار الأضواء) ج2 ص524-525.

لمصارحته بأمر واقعية من شأنها لو أخذها بنظر الإعتبار، وتعامل معها بإنصاف أن تخرجه من أجواء الشعارات الرنانة، ومن العصبيات المناطقية والعشائرية، ومن تأثير الأهواء والنعرات، إلى أجواء العقلانية والتبصر، وتثير أمامه علامات استفهام تخرجه من يقينه بالباطل، ليصبح في موضع الباحث عن الحقيقة، المتلمس للدلائل والشواهد عليها.

وهذا هدف سام ونبيل، وإنجاز جليل يشكر سعيد بن قيس عليه، لأنه ينفذ شرحبيل، ومعه أمة من الناس من عذاب الله، ويضعف بذلك الباطل وأهله، ويخفف من أعباء أهل الإيمان، ويحد من خسائرهم المادية.

مضامين رسالة سعيد:

وإذا ألقينا نظره على رسالة سعيد، فسنجد ما يلي:

1 - لقد بدأ سعيد رسالته إلى شرحبيل بإثارة ذكريات أنيسة لشرحبيل، من شأنها أن تخفف من حماسه ضد أهل العراق، وتعرفه بأنه يجب أن لا يتعصب للشام ضد العراق ولا العكس، فإنه يمانى وقد هاجر من اليمن إلى العراق، ثم إلى الشام، فما معنى تنمره لأهل العراق، وحقده عليهم، وتعصبه لأهل الشام؟!!

2 - ثم لفت نظر شرحبيل إلى أن سبب فورته هذه هي خديعة تعرض لها من قبل أناس دبرهم له معاوية وكاده بهم وبشهادتهم، مع أنهم ليسوا أهلاً للوثوق بهم، لأنهم ليسوا من أهل الإستقامة والدين،

فلماذا يرضى لنفسه أن يقع في مصائد المكائد بهذه الطريقة الرخيصة والأخلاقية؟! فإن كرامته، ونبله، ومروءته يجب أن تأبى له قبول هذا منهم. وتفرض عليه دراسة الأمر من جديد، لأنه انقاد لعاطفته، واستجاب لنداء المشاعر، بسبب عدم معرفته بواقع الأمر.

3 - إن المطلوب ليس هو قبول ما يقوله له سعيد بن قيس ولا غيره، بل المطلوب هو النظر في الأدلة والبراهين، والرجوع إلى ما يحكم به عقله وحكمته وإنصافه.

4 - إنه قدم له دليلاً، حقيقياً وصحيحاً وإن كان يشبهه في ظاهره ما خدعه به معاوية، ولكنه يباينه، ويضاده في الواقع والحقيقة، ويكون الفرق بينه وبينه، كما بين الأرض والسماء، وبين الليل والنهار.

فإذا كان قد شهد عنده رجال - دسهم إليه معاوية - لا يعرفون الحلال، ولا ينكرون الحرام، فاخذعوه، وشهدوا عنده بأن علياً «عليه السلام» قتل عثمان. فإن في مقابل هؤلاء المهاجرون والأنصار، الذين هم محط أنظار الأمة بأسرها ولا ينكر أحد فضلهم. وهؤلاء قد لجأوا إلى علي «عليه السلام»، وأصروا عليه بالبيعة له، فلم يرض بذلك إلا بعد جهود منهم كبيرة، ومضي أيام كثيرة.

ثم إن الأمر لم يقتصر على شهادة المهاجرين والأنصار، بل هم قد تجاوزوا ذلك إلى ما هو أعظم وأشد، فهم واضعون سيوفهم على عواتقهم، يقاتلون معه من خالفه، من أهل البصرة وغيرهم.. وسيكونون معه في قتال معاوية أيضاً.

5 - وبعد كل ما تقدم فينبغي أن يكون قد اتضح له، أن نصرته لمعاوية استناداً إلى شهادة أولئك المدسوسين له من قبل معاوية نفسه، ستجعل منه رأس الخطيئة، ومفتاح البلية في هذه الأمة. وعليه أن يأنف لنفسه أن يكون بهذا الموقع.

6 - ثم ذكر له في الشعر الذي كتبه إليه: أن هذا التصرف منه ليس إلا رجوعاً منه على عقبه، بدل أن يتقدم إلى الأمام، ولا يقدم العاقل على هذا الأمر.

7 - ثم بيّن له أن استبداله علياً «عليه السلام» بمعاوية ليس خياراً صحيحاً عند ذوي الألباب، إذ لا يقاس مهاجر تقي، يعرف الناس فضله، وعلمه وزهده وطهره برجل قد نصب العداء لأهل بيت النبوة، وهو من الطلقاء، وبقايا الأحزاب.

هذا في حين أنه لم يكن هناك أي مبرر لهذا الإستبدال، سوى ما ادّعاه عليه ذلك الطليق الناصب للعداء له، من أنه قد قتل عثمان.. مع أن هذا باطل، ولم يصدر منه أي ذنب تجاه عثمان. بل كان حين قتله لازماً قعر بيته.

8 - وقد أمعن شرحبيل في مجانية الإنصاف حين لم ينظر إلى حقيقة أن المهاجرين والأنصار، وما أكثر الأخيار الأبرار فيهم، قد بايعوا كلهم علياً «عليه السلام»، ويقاتلون معه أعداءه، مع أنهم كلهم قد شهدوا قتل عثمان، ورأوا بأم أعينهم ما جرى له، وعليه، ولم ينصروه، ولم يروا أنفسهم ملزمين بالدفاع عنه.

ولكنه أخذ بشهادة أناس لا يعرفون الحلال، ولا ينكرون الحرام، على أمر غابوا عنه، ولم يحضروه.

جواب شرحبيل:

إن جواب شرحبيل يظهر: أنه كان قد أوغل في الغي، إلى حد جعله يتجاهل أبده البديهيات، ويرى الحق حقاً ويتعمد تركه، بل يسعى إلى طمسه، ويرى الباطل، ويعرف أنه باطل، ويتعمد الإنغماس فيه. ولا يمكن بأي حال من الأحوال توهم أن يكون قد فهم الأمور خطأً، لأن كلام سعيد بن قيس قد أخذ عليه السبل، وأقام الحجة.. ولم يتمكن شرحبيل من التقلت من عقاله إلا بفضح نفسه، وتعرية نواياه، والبوح بدخيلة نفسه، حيث ألجأه إلى تحوير الكلام، وإلى المغالطات المفضوحة والكذب الصريح، وإلى إظهار اللجاج والعناد، وما إلى ذلك.

فلاحظ على سبيل المثال:

- 1 - اتهمه سعيد بن قيس بأنه قد عيره بمقامه بالشام.. وأنه يلومه على تركه العراق. مع أنه ليس في كلام سعيد شيء من ذلك.
- 2 - لقد كذب شرحبيل بادعائه وثاقه أولئك الأشخاص الذين دسهم معاوية لخداعه، وكذب في قوله: إنهم من أهل الرضا، مع أنهم كانوا معروفين بعدم الإستقامة، ومن الأشرار، المنحرفين عن صراط الحق، وعدم الإلتزام بأحكام الشريعة..

وقد ذكرنا أسماءهم فيما سبق، ويمكن مراجعة النصوص التي استطاعت أن تخترق حجب التاريخ، وتوصل إلينا بعض ما ظهر منهم. ويكفي أن نذكر أن أحدهم، وهو بسر بن أبي أرطأة قد ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس(1). وقد كان بسر قاسي القلب سفاكاً للدماء، ولا رأفة عنده ولا رحمة(2). ولا بأس بمراجعة كتاب الغارات للثقفي المجلد الثاني للإطلاع على بعض جرائم هذا الرجل الخبيث.

3 - كما أنه قد فضل معاوية ومن هم على شاكلته على المهاجرين والأنصار، وجعل نفسه نداً لهم. وأعلن رضاه بمعاوية مقابل رضا الصحابة بعلي، مع أن الشعر الذي كتبه في رسالته يوضح: أنه لا يقاس بعلي أحد، لا معاوية ولا غيره في الفضل وفي الجهاد. واعترف بأنه «عليه السلام» قد ظلم حقه.

4 - ذكر في الشعر ما يدل على أنه غير واثق بصحة شهادة الشهود، ولكنه لم يشر إلى موقف المهاجرين والأنصار الذين شهدوا قتل عثمان.

(1) راجع: مقاتل الطالبين ص 65 والغارات للثقفي ج 2 ص 611 و 612 و 614 و 65 و 616.

(2) راجع: الغارات للثقفي ج 2 ص 598 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 6 وبحار الأنوار ج 34 ص 9 والغدير ج 11 ص 22 ونهج السعادة ج 5 ص 366 والكنى والألقاب ج 1 ص 240.

الفصل الثامن:

محاوالت جمع الأحزاب..

بداية توضيحية:

نعم.. وها هو معاوية يمهد للحرب، ويكاتب أهل المدينة ومكة، ويكاتب بعض الشخصيات التي لو انضمت إليه، فقد يرغب بعض الناس بالإلتحاق به.. فنحن نذكر كتبه هذه وما أجابوه به، ثم نعقب عليها بملاحظات يسيرة جداً، لأن ما يهمنا هو خصوص ما يرتبط بأمر المؤمنين «عليه السلام»، لأن متابعة جميع ما جرى، بالبحث والتمحيص، والتحليل والدراسة، سوف يفقد هذا الكتاب خصوصية «التوازن»، وسيجعل الإطلاع عليه من الأمور المتعسرة، بل المتعذرة لكثير من الناس.

فلا محيص لنا من الإكتفاء بمجرد العرض لكثير من الأحداث ليتمحض جهدنا بالتركيز - ولو بصورة محدودة - على ما يرتبط بأمر المؤمنين «عليه السلام»، من حيث أنه يحكي حركته، وتاريخه، ومن هو أسوة وقدوة ومنهاج حياة..

فبقول:

عبيد الله بن عمر في الشام:

وفي حديث محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني قال: لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: «يا عمرو، إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر، وقد رأيت أن أقيمه خطيباً فيشهد على علي بقتل عثمان، وينال منه».

فقال: الرأي ما رأيت.

فبعث إليه فأتى، فقال له معاوية: يا ابن أخي، إن لك اسم أبوك، فانظر بملء عينيك، وتكلم بكل فيك، فأنت المأمون المصدق! فا [صعد المنبر، وا] شتم علياً واشهد عليه أنه قتل عثمان.

فقال: يا أمير المؤمنين، أما شتمه فإنه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه.

وأما بأسه، فهو الشجاع المطرق.

وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني ملزمه دم عثمان.

فقال عمرو [بن العاص]: إذا والله قد نكأت القرحة.

فلما خرج عبيد الله قال معاوية: أما والله لولا قتله الهرمزان،

ومخافة على نفسه ما أتانا أبداً. ألم تر إلى تقريظه علياً؟!!

فقال عمرو: «يا معاوية، إن لم تغلب فاخلب».

[في الفتوح: قال عمرو: أتتكر يا معاوية أن علياً كما قال عبيد الله

بن عمر؟! والله! إن علياً لكما قال، وفوق ما قال، غير أننا قد ملنا إلى

هذه الدنيا، فليس نعقل ما نأتي وما ندع].

فخرج حديث (لعل الصحيح: حديثهما) إلى عبيد الله، فلما قام خطيباً تكلم بحاجته، حتى إذا أتى إلى أمر علي أمسك [ولم يقل شيئاً]. فقال له معاوية: ابن أخي، إنك بين عي أو خيانة! فبعث إليه: «كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عني [فتركها]». «

فهجره معاوية، واستخف بحقه، وفسقه، فقال عبيد الله:

معاوي لم أحرص بخطبة خاطب ولم أك عيا في لؤي بن غالب
ولكنني زاولت نتفساً أبية على قذف شيخ بالعراقين غائب
وقذفي عليا بابن عفان جهرة يجده بالشحنا أنوف الأقارب
فأما انتقافي أشهد اليوم وثبة فلت لكم فيها ابن حرب بصاحب
ولكنه قد قرب القوم جهده ودبوا حوالبه ديب العقارب
فما قال أحسنتم ولا قد أسأتم وأطرق إطراق الشجاع

المواثب

فأما ابن عفان فأشهد أنه أصيب بريئاً لابسا ثوب تائب
حرام على أهاله نتف شعره فكيف وقد جازوه ضربة لازب
وقد كان فيها للزبير عجاجة وطلحة فيها جاهد غير لاعب
وقد أظهر من بعد ذلك توبة فيا ليت شعري ما هما في

العواقب

فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه وقربه وقال: «حسبي

هذا منك»(1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إحياء عمر بن الخطاب:

ذكر النص السابق: أنه لما قدم عبيد الله بن عمر على معاوية أرسل إلى عمرو بن العاص، فقال له: إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب الخ..

وغني عن البيان: أن معاوية كان يدرك مدى تأثير عمر بن الخطاب في الناس، فإن سياساته تجاه العرب هي تكريس الإمتيازات المالية والاجتماعية، والسياسية وسواها لهم.. وتفضيلهم مهما كان حالهم ولو مع عدم أهليتهم على غير العرب، وإن كانوا من أهل الفضل والكرامة، والزعامة والرياسة والكياسة. فأحبه العرب بما لا يزيد عليه.. وارتبطوا به.

ويكفي أن نذكر: أن ما كان يحتج به مناوئوا علي «عليه السلام» عليه هو أنه خالف بعض سياسات عمر في العطاء، وغيره.. فراجع احتجاج أهل النهروان، وأهل صفين، ومعاوية، واحتجاجهم في شأن

(1) صفين للمنقري ص 82 - 84 والفتوح لابن أعمش ج 2 ص 412 - 415 و (ط) دار الأضواء) ج 2 ص 525 - 527 وشرح نهج البلاغة ج 3 ص 100 -

شريح، وأبي موسى وغير ذلك..

فقدوم عبيد الله بن عمر على معاوية يثلج صدر معاوية، لأنه سيفيده جداً في إثارة حماس الناس لنصرته، والإنضواء تحت رايته ضد علي الوصي.. ولو أنه دعاهم لحرب النبي «صلى الله عليه وآله» فقد يجد من بينهم الكثيرين لا يمانعون في الدخول معه في ذلك..

عبيد الله قاتل الهرمزان:

إن عبيد الله بن عمر كان قد قتل الهرمزان، وبنت أبي لؤلؤة ظلماً وعدواناً لاتهامه الهرمزان بأنه تأمر على قتل أبيه عمر، وهي تهمة لم يستطع إثباتها، أو تبريرها، أو أن يجد شاهداً عليها.

ولما عرف أبوه عمر بن الخطاب نفسه بجريمته قبل موته من طعنات أبي لؤلؤة، أوصى بالإقتصاص منه.. ولكن عثمان لم يفعل ذلك.. فكان علي «عليه السلام» يتوعده بالإقتصاص منه إذا آلت الخلافة إليه..

وقد تقدم تفصيل ذلك في الجزء السادس عشر من هذا الكتاب..

فلما بويع علي «عليه السلام» عرف عبيد الله: أن علياً «عليه السلام» سوف يطلبه للقصاص، فهرب إلى معاوية. وقد أشار معاوية إلى أنه لولا قتله الهرمزان، وخوفه من علي لما قدم الشام أبداً..

فاغتنم معاوية هذه الفرصة ليستفيد منه في جمع الناس، وترغيبهم بحرب علي «عليه السلام»..

وأما قتله لأناس مسلمين بغير حق، فلم يكن يهتم له معاوية.. ولم يفكر معاوية ولو للحظة واحدة بالاقتصاص منه لقتله الهرمزان، وبنت أبي لؤلؤة، بل هو يفكر في وسائل إكرامه وإعزازه، وفي مقادير الهبات والمنح والعطايا التي يريد أن يحبوه بها مقابل شهادة الزور التي يطلبها منه، ومشاركته في حرب يقتل فيها سبعون أو ثمانون ألفاً من أهل القبلة، يشنها هو ومن معه من الطلقاء.. على وصي رسول الله، والإمام الذي بايعته الأمة بأمر من الله ورسوله في يوم الغدير، ثم أجمع المهاجرون والأنصار على البيعة له بعد قتل عثمان.

شهادة ابن عمر وابن العاص لعلي ×:

وقد لفت نظرنا: امتناع عبيد الله بن عمر من شتم علي «عليه السلام»، وأنه قد عدد بعض فضائله، وأنه لا يجد فيه مغزاً، ولا موضعاً للشتم.. وقد وافقه عمرو بن العاص على ذلك.. وكرره على مسامع معاوية، ولم ينكر معاوية ذلك..

ثم ذكر ابن العاص لمعاوية: أن الفرق بين عبيد الله بن عمر، وبين معاوية وابن العاص، أن ميلهما إلى الدنيا قد أعمى بصرهما وبصيرتهما، فلا يعقلان ما يأتيانه من فعل أو ترك.

ولم ينكر معاوية ذلك أيضاً، ولا توقف عنده، ولا شكك فيه..

ونقول:

أولاً: إن ما ذكره هؤلاء في حق علي «عليه السلام» وإن كان صحيحاً، ولكنه لا يعني أنهما بصدد إنصافه، كما أن كف عبيد الله بن عمر عن شتمه «عليه السلام» ليس معناه أنه كان تديناً وتورعاً منه.. بل لأنه كان يرى أن الأمر سيرتد عليه، لأنه سيفضح نفسه، لأن أحداً سوف لا يصدقه فيما يقول، وسيراه الناس ظالماً متعدياً بل فاجراً وبلا دين ولا تقوى..

ثانياً: إن امتناع عبيد الله عن اتهام علي «عليه السلام» بدم عثمان لم يكن تورعاً، بل لأنه خاف من ظهور كذبه في شهادته الفاجرة هذه على أمير المؤمنين.

ثالثاً: إن من يرضى بأن يكون معيناً لمعاوية على إلقاء حرب تسفك فيها دماء عشرات الألوف من المؤمنين من أهل القبلة، وأن يقف في موقع المحارب الساعي لسفك دم علي «عليه السلام» وهو الإمام والوصي، هل يمكن أن يتورع عن شهادة الزور، أو عن السب والشتم إلا حين يرى أن ذلك يضر بمصلحته؟!!

ولعل قوله لمعاوية: «وعرفت أن الناس محتملوها عني، فتركتها» يشير: إلى أن تركه لهذه الشهادة كان خوفاً من الفضيحة.. على أن ما ذكره في شعره ليس إلا افتراء على علي «عليه السلام» لكنه ذكره بصورة مبطننة، فلاحظ.

ويل لمن كفره إبليس:

وقد أضحكني، بل أبكاني تفسيق معاوية لعبيد الله بن عمر..

وذكرت المثل الذي يقول: ويل لمن كفره إبليس..

معاوية يجمع الأحزاب:**بداية:**

تحدثنا فيما سبق عما جرى بين معاوية وعمرو بن العاص،
وشرحيل بن السمط..

وذكرنا أيضاً التحاق عبيد الله بن عمر به، وغير ذلك، ونذكر في
هذا الفصل سعي معاوية لخداع أهل مكة والمدينة بكتاب أرسله إليهم،
ومكاتباته لابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة.. وما
أجابوه به، فنقول:

قال نصر بن مزاحم:

وفي حديث صالح بن صدقة قال: لما أراد معاوية السير إلى
صفين قال لعمر بن العاص: إني قد رأيت أن نلقي إلى أهل مكة
وأهل المدينة كتاباً نذكر لهم فيه أمر عثمان، فإما أن ندرك حاجتنا،
وإما أن يكف القوم عنا.

قال عمرو: إنما نكتب إلى ثلاثة نفر: راض بعلي فلا يزيد ذلك
إلا بصيرة، أو رجل يهوى عثمان فلن نزيده على ما هو عليه، أو
رجل معتزل فليست بأوثق في نفسه من علي.

قال: علي ذلك. فكتبا:

«أما بعد.. فإنه مهما غابت عنا من الأمور فلن يغيب عنا أن علياً
قتل عثمان. والدليل على ذلك مكان قتله منه.

وإنما نطلب بدمه حتى يدفعوا إلينا قتله فنقتلهم بكتاب الله. فإن
دفعهم علي إلينا كففنا عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين، على ما
جعلها عليه عمر بن الخطاب.

وأما الخلافة فلسنا نطلبها، فأعينونا على أمرنا هذا، وانهضوا من
ناحيتكم، فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد، هاب علي ما
هو فيه.

قال: فكتب إليهما عبد الله بن عمر (1):

[وفي الفتوح: أن أهل المدينة كتبوا:]

أما بعد.. فلعمري لقد أخطأتما موضع البصيرة، وتناولتماها من
مكان بعيد. وما زاد الله من شاك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً. [في
الفتوح: ما أنتما والمكاتبة والمشورة، وما أنتما والخلافة والشورى]
وما أنتما والخلافة!]

وأما أنت يا معاوية فطليق.

وأما أنت يا عمرو فظنون. ألا فكفا عني أنفسكما، فليس لكما ولا لي

(1) في الإمامة والسياسة ج 1 ص 85 و (تحقيق الزيني) ج 1 ص 89 و (تحقيق
الشيري) ج 1 ص 119: أن صاحب الكتاب هو المسور بن مخرمة.

نصير.

[في الفتوح: وأما أنت يا عمرو فخائن في الدين.

فكفا عن المكاتبة فليس لكما المكاتبة لأهل المدينة]

وكتب رجل من الأنصار مع كتاب عبد الله بن عمر:

معاوي إن الحق أبليج واضح وليس بما ربصت أنت ولا

عمرو

نصبت ابن عفان لنا اليوم خدعة كما نصب الشيخان إذ زخرف

الأمير

فهذا كهذاك البلا حذو نعله سواء كرقراق يُعَرُّ به السَّفَرُ

رميتم عليا بالذي لا يضره وإن عظمت فيه المكيدة والمكر

وما ذنبه أن نال عثمان معشر أتوه من الأحياء يجمعهم مصر

[وكان علي لازماً قعر بيته علانية ما كان فيها لهم سر]

فصار إليه المسلمون ببيته [ببيعة] علانية ما كان فيها لهم قسر

فبايعه الشيخان ثم تحملا إلى العمرة العظمى وباطنها

الغد

فكان الذي قد كان مما اقتصاصه رجيع فيا لله ما أحدث الدهر

فما أنتما والنصر منا وأنتما بعثا حروب ما يبوخ لها الجمر

وما أنتما لله در أبيكما وذكر كما الشورى وقد فلج

الفجر (1)

(1) راجع: صفين للمنقري ص 62 - 64 وراجع: الإمامة والسياسة ص 85 و

زاد في الفتوح: أنه لما ورد كتاب أهل المدينة على معاوية، وقرأه، قال لابن العاص: أبا عبد الله، شعرت أننا أخطأنا في الكتاب إلى أوباش أهل المدينة، وبها أمثال عبد الله بن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة الأنصاري؟! إنما كان يجب أن نخص هؤلاء الثلاثة بالكتاب دون غيرهم.

ولكن عمرو بن العاص لم ينصحه بذلك أيضاً، فإنه يخاف أن يسمع منهم ما يكره. فلم يلتفت معاوية إلى قوله.. ثم كتب إليهم (1).

ونقول:

لمحات .. وإشارات:

وقبل أن نذكر كتبه إليهم، وما أجاب به كل واحد منهم نشير إلى ما

يلي:

تضمنت رسالة معاوية إلى أهل المدينة أموراً كثيرة، نذكر

منها:

أولاً: ادعاء: أن قتلة عثمان عند علي «عليه السلام»، وتحت

جناحه.

(تحقيق الزيني) ج 1 ص 89 و (تحقيق الشيربي) ج 1 ص 119 والفتوح

لابن أعمش ج 2 ص 415 - 417 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 527 - 528.

(1) راجع: الفتوح لابن أعمش ج 2 ص 417 و 418 و (ط دار الأضواء) ج 2

ص 528.

ثانياً : ادعاء: أن مكان القتلة من علي «عليه السلام» معناه: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل عثمان..

ثالثاً: أنه أعطى لنفسه الحق بالطلب بدم عثمان..

رابعاً: ادعى: إنه يريد من علي «عليه السلام» أن يدفع القتلة إليه ليقتلهم بعثمان..

خامساً: ادعى: أنه هو الذي يقرر أمر الخلافة، وكيفية اختيار الخليفة.

سادساً: ادعى: أن عناصر الشورى التي تختار الخليفة هي المسلمون جميعاً..

سابعاً: إنه يريد بجعلها شورى أن يقتدي بعمر بن الخطاب..

ثامناً: ادعى أنه لا يطلب الخلافة ولا يريد لها..

ونقول:

إن جميع ما ادعاه باطل.. فلاحظ النقاط التالية:

1 - إن أهل المدينة قد شهدوا قتل عثمان، وهم أعرف بمن قتله من معاوية والذين معه.. وهم أعرف منه ومنهم بمكان قتلة عثمان من علي «عليه السلام» ومن غيره، وهل هم مع علي، أو ليسوا معه. ولو أنهم رأوا أدنى شيء يوجب الريب في نزاهة وطهارة علي «عليه السلام» لما أجمعوا على البيعة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولما ظلوا يلاحقونه أياماً كثيرة ليقتنعوه بقبول البيعة منهم..

2 - لو كان معاوية راغباً في عقوبة قتلة عثمان، وكان قادراً على معرفتهم بالتحديد لذكر أسماءهم، ليعرفهم الناس، وليشتهر أمرهم، ويعرفهم القاصي والداني.

لكن معاوية يريد إزاحة علي «عليه السلام» عن مقام الخلافة كما صرح به في رسالته.. ليتسنى له أن يحصل على ما يتمناه.

3 - إن معاوية ليس ولي دم عثمان، بل أولياء دمه أبنائه، فما معنى أن يدعي لنفسه حقاً ليس له..

4 - لو أن بعض الناس ارتكب جريمة، فهل يؤخذ أخوه أو أبوه، بجرمه، وهل يعاقبان بما يعاقب به، لمجرد أن لهذا مقام الأبوة ولذاك مقام الأخوة لذك المجرم؟!

فإن كان الجواب بالإثبات، فلا بد من المطالبة بالدليل من الكتاب والسنة، وإن كان الجواب بالنفي، فيرد السؤال عن سبب اعتباره علياً قاتلاً لمجرد توهمه أن لقتلته موقعاً عنده؟!

5 - ما معنى أن يطلب من علي «عليه السلام» تسليم قتلة عثمان إليه ليقتلهم به، ولا يطلب منه أن يتولى علي - وهو الخليفة الشرعي - نفسه قتلهم، والاقتصاص منهم.. بعد أن يثبت له صحة ما ينسب إليهم؟!

6 - لماذا أصبح معاوية هو الذي يقرر أمر الخلافة، وكيفية اختيار الخليفة، وما الذي خوله دون غيره أن يسلب الصحابة هذا الحق الذي كان عمر وأبو بكر قد أعطوهما إياه؟!

- 7 - لماذا ينكر أن يكون هذا الحق لله ولرسوله؟! ولماذا لا يسلم بالبيعة التي حصلت لعلي «عليه السلام» يوم الغدير؟! وبأي حق يلغي تصرف الصحابة حين أجمعوا على بكرة أبيهم على البيعة لعلي «عليه السلام» بعد قتل عثمان؟!!
- 9 - إنه في حين يقرر معاوية إبعاد علي «عليه السلام» عن الخلافة يقرر إعادة الأمر شورى بين المسلمين، مدّعياً أن عمر بن الخطاب قد فعل ذلك، مع أن عمر بن الخطاب لم يجعل الأمر شورى بين المسلمين، بل اختار ستة أشخاص، ثم أخضعهم لرأي شخص واحد هو ابن عوف، ليكون هو الذي يختار الخليفة.. أي أنه قد نصب شخصاً واحداً ليختار هو للأمة خليفته.
- فهل سيختار لنا معاوية ستة أشخاص أيضاً، ثم يجعل قرار اختيار خليفة منهم إلى واحد منهم..
- مما يعني: أنه لا يجوز لذلك الشخص أن يختار أحداً من غير تلك المجموعة.
- فيرجع الأمر في تعيين الخليفة إلى من يعين الستة، ثم إلى من يختار واحداً من أولئك الستة..
- فهل يصح اعتبار هذا شورى بين المسلمين؟!!
- وإذا كان معاوية لا يريد الخلافة لنفسه، فهل سيعين ستة أشخاص يكون أحدهم مروان، أو يزيد، أو الوليد، أو عمرو بن العاص، ليختار للأمة خليفته من هؤلاء؟!!

10 - وقد جاء في الشعر الذي كتبه ذلك الأنصاري:

أن عثمان قد قتل بصورة غير واضحة، ولا يعرف قاتله بالتحديد، فقد اجتمع عليه الناس من أنحاء مختلفة.. ولم يحضره علي «عليه السلام»، بل كان لازماً قعر بيته..

وهذا ينقض ما ادّعاه معاوية من معرفته بقتلة عثمان بالتحديد.

11 - إن معاوية يصف أهل المدينة بأنهم أوباش. مع أن فيهم المهاجرين والأنصار، ومن سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن كانت له سوابق مشهودة، وما أكثر أهل الدين والعلم، والفضل والتقوى والإستقامة فيهم.

وهم أولى بهذا الدين من الطلقاء، وبقايا الأحزاب، وفلول أهل الشرك..

كتاب معاوية لابن عمر:

روى ابن أعثم، ونصر بن مزاحم:

عن عطية بن غني، عن زياد بن رسم قال: كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب خاصة، وإلى سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، دون كتابه إلى أهل المدينة، فكان في كتابه إلى ابن عمر:

أما بعد..

فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجتمع عليه الأمة بعد قتل عثمان منك. ثم ذكرت خذلك إياه [وقعودي (1) عنه] وطعنك على أنصاره، فتغيرت لك، وقد هون ذلك علي خلافاً علي، ومحا عنك بعض ما كان منك، فأعنا - رحمك الله - علي [دم] حق هذا الخليفة المظلوم، فإني لست أريد الإمارة عليك، ولكني أريدها لك. فإن أبيت كانت شوري بين المسلمين».

وكتب في أسفل كتابه:

الأقل لعبد الله واخصص محمدا
ثلاثة رهط من صحاب محمد
الأ تخبرونا والحوادث جمة
أحل لكم قتل الإمام بذنبه
وإلا يكن ذنبا أحاط بقتله
وإما وقفتم بين حق وباطل
وما القول إلا نصره أو قتاله
فإن تنصرونا تنصروا أهل حرمة
الحوارك

وفارسنا المأمون سعد بن مالك
نجوم وماوى للرجال الصعالك
وما الناس إلا بين ناج وهالك
فلستم لأهل الجور أول تارك
ففي تركه والله إحدى المهالك
توقف نسوان إماء عوارك
أمانة قوم بدلت غير ذلك
وفي خذلنا يا قوم جب

قال: فأجابه ابن عمر:

«أما بعد.. فإن الرأي الذي أطمعك فيّ هو الذي صيرك إلى ما

(1) لعل الصحيح: قعودك.

[صرت] صيرك إليه [يا معاوية، إذ حدثتك نفسك] أني تركت علياً في المهاجرين والأنصار، وطلحة والزبير، وعائشة أم المؤمنين، واتبعتك.

أما زعمك أني طعنت على علي، فلعمري ما أنا كعلي في الإيمان والهجرة، ومكانه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونكايته في المشركين. ولكن حدث أمر لم يكن من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلي فيه عهد، ففرعت فيه إلى الوقوف، وقلت: إن كان هدى ففضل تركته، وإن كان ضلالة فشر نجوت منه. فأغن عنا نفسك [والسلام].

ثم قال لابن أبي غزية [غزة]: أجب الرجل - وكان أبوه ناسكاً، وكان أشعر قريش - فقال:

معاوي لا ترج الذي لست نائلا وحاول نصيرا غير سعد بن
_____ مال

ولا ترج عبد الله واترك محمدا ففي ما تريد اليوم جب
_____ الح

تركنا عليا في صحاب محمد وكان لما يرجى له غير تارك
نصير رسول الله في كل موطن وفارسه المأمون عند المعارك
وقد خفت الأنصار معه وعصبة مهاجرة مثل الليوث [النجوم]
_____ الش

وطلحة يدعو والزبير وأمنا فقلنا لها قولي لنا ما بدا لك

حذار أمور شبهت وتعلها موانع في الأخطار إحدى
المهالك
وتطمع فينا يا ابن هند سفاهة عليك بعليا حمير والسكاسك
وقوم يمانيون يعطوك نصرهم بضم العوالي والسيوف
البواتك»

كتاب معاوية لسعد بن أبي وقاص:

قال: وكان من كتاب معاوية إلى سعد:

«أما بعد.. فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش،
الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره.

وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر، ونظيراك في
الإسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين.

فلا تكرهن ما رضوا، ولا تردن ما قبلوا، فإننا نردها [فإنما
نريدها] شورى بين المسلمين».

وقال شعراً:

ألا يا سعد قد أظهرت شكا وشك المرء في الأحداث داء
على أي الأمور وقفت حقا يرى أو باطلا فله دواء
وقد قال النبي وحد حدا يحل به من الناس الدماء
ثلاث: قاتل نفساً، وزان ومرتد مضى فيه القضاء

فإن يكن الإمام يلم منها
وإلا فإلتي جئتم حرام
وهذا حكمه لا شك فيه
وخير القول ما أوجزت فيه
أبا عمرو دعوتك في رجال
فأما إذ أبيت فليس بيئي
سوى قولي، إذا اجتمعت قريش:
بواحدة فليس له ولاء
وقاتله وخاذله سواء
كما أن السماء هي السماء
وفي إكثارك الداء العياء
فجاز عراقي الدلو الرشاء
وبينك حرمة، ذهب الرجاء
على سعد من الله العفاء

فأجابه سعد:

«أما بعد.. فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من يحل له الخلافة
من قريش، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه [إلا] باجتماعنا
عليه، غير أن علياً قد كان فيه ما فينا ولم يك فينا ما فيه.

وهذا أمر قد كررنا أوله وكررنا آخره.

فأما طلحة والزبير، فلو لزمنا بيوتهما كان خيراً لهما.

والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت».

ثم أجابه في الشعر:

معاوي داؤك الداء العياء
طمعت اليوم فينا يا ابن هند
عليك اليوم ما أصبحت فيه
فليس لما تجيء به دواء
فلا تطمع فقد ذهب الرجاء
فما يكفيك من مثلي الإباء

فما الدنيا بباقية لحي ولا حي له فيها بقاء
 وكل سرورها فيها غرور وكل متاعها فيها هباء
 فكل ما اسطعت منها يا ابن هند فليس لدلو بهجتها رشاء
 أيدعوني أبو حسن علي فلم أردد عليه بما يشاء
 وقلت له أعطني سيفاً بصيراً [تبين] تمر به العداوة والولاء
 فإن الشر أصغره كبير وإن الظهر تثقله الدماء
 [أتطمع لا أبتا لك في جهلا وفي هذا عليك به العفاء
 أتطمع في الذي أعيا عليا على ما قد طمعت به العفاء
 ليوم منه خير منك حيا وميتاً، أنت للمرء الفداء
 فأما أمر عثمان فدعه فإن الرأي أذهب البلاء

كتاب معاوية لابن مسلمة:

وكان كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة:

«أما بعد.. فأني لم أكتب إليك وأنا أرجو متابعتك، ولكنني أردت
 أن أذكرك النعمة التي خرجت منها والشك الذي صرت إليه.
 إنك فارس الأنصار، وعدة المهاجرين، ادعيت على رسول الله
 «صلى الله عليه وآله» [حديثاً] أمراً لم تستطع إلا أن تمضي عليه
 [فذكرت أنه نهاك]، فهذا نهاك عن قتال أهل الصلاة، فهلا نهيت أهل
 الصلاة عن قتال بعضهم بعضاً؟!»

وقد كان عليك أن تكره لهم ما كره لك رسول الله «صلى الله عليه

وأله». أولم تر عثمان وأهل الدار من أهل الصلاة؟!

فأما قومك فقد عصوا الله وخذلوا عثمان، والله سائلك وسائلهم عن
الذي كان، يوم القيامة»(1).

ثم عرض معاوية كتابه على مروان بن الحكم، فقال له مروان:
أما إنك قد أغلظت له في الكتاب، ولكن دعني حتى أكتب إليه أبياتا من
شعره فلعلي أخدعه بهن.

فقال معاوية: أكتب ما أحببت.

فكتب إليه مروان أبياتاً من الشعر مطلعها:

أيا فارس الأنصار في كل ملحمة ويا أيها الباني لها كل
مكرمة

وقال في الهامش: مكانها في د.

[ويا ابن الذي لم تتركب الخيل مثله خطوف لأرواح الفوارس
مسلمة

وأنت ابنه والمرء يشبه شيخه على ذاك كنتم في الأمور
المقدمة

أما تستحي الأنصار من نقض ذمة ونفس أصيبت بالمدينة مسلمة
حرام عليكم سفكها ونكوصها حرام عليكم والدماء محرمة

(1) صفين للمنقري ص 71 - 77 والفتوح لابن أعثم ج 2 ص 418 - 425 و (ط)
دار الأضواء) ج 2 ص 528 - 431.

فلا قود منكم تقرؤا لأهله ولا دية منكم إليهم مسلمة
شهدت ولم تنصره والقوم حوله كأنهم الإكليل والليل مظلمة⁽¹⁾
فكتب إليه محمد [بن مسلمة]:

«أما بعد.. فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله
«صلى الله عليه وآله» مثل الذي في يدي. فقد أخبرني رسول الله
«صلى الله عليه وآله» بما هو كائن قبل أن يكون، فلما كان كسرت
سيفي، وجلست في بيتي واتهمت الرأي على الدين، إذ لم يصح لي
معروف أمر به، ولا منكر أنهى عنه.

وأما أنت فلعمري ما طلبت إلا الدنيا، ولا اتبعت إلا الهوى. فإن
تنصر عثمان ميتاً فقد خذلته حياً. فما أخرجني الله من نعمة، ولا
صيرني إلى شك. إن كنت أبصرت خلاف ما [نحن عليه] تحبني
[كذا] به ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار، فنحن أولى بالصواب
منك».

ثم دعا محمد بن مسلمة رجلاً من الأنصار، وكان فيمن يرى
رأي محمد في الوقوف، فقال: أجب يا مروان⁽²⁾ بجوابه، فقد تركت

(1) الفتوح لابن أعمش ج2 ص423 و (طدار الأضواء) ج2 ص531.

(2) لعل كلمة «يا»، مقحمة. إلا أن يكون اسم هذا الرجل مروان، ويريد منه أن
يجيب مروان بن الحكم على شعره. ويؤيد هذا الاحتمال: قوله الآتي: فقال
مروان..

الشعر.

فقال مروان: لم يكن عند ابن عقبة الشعر (1).

وفي الفتوح:

فقال: أجب عني مروان بن الحكم على شعره، فأنشأ الأنصاري أبياتاً من الشعر مطلعها:

**أمروان دع هذا وفي الامر جمجمة ولا تطلبن منا جواب ابن
مسلمة**

وقال في الهامش: بدلها في د:

فإن يك أن هيجته هجت حية يبادرها الراقون بالحتف مغرمة
فتى لا يزال الدهر أكثر همه طمرٌ وملساء الكعوب مقومة
وبيضاء مثل النهي زغف مفاضة يغشي عيون الناظرين مذرمة
وعضب جلاه القين حتى كأنما [ترى فوقه(2)] آثار نمل
منمنمة

فهذا الأحداث الحوادث عدة ونفس براها الله للحق مسلمة
وإن حدثا فيه اختلاف وشبهة فكانت دماء المسلمين محرمة
فامسك فيه نفسه ولسانه حذار أمور تذهب الدين مظلمة

(1) صفين للمنقري ص 76 - 77 والفتوح لابن أعمش ج 2 ص 424 و 425 و (ط)

دار الأضواء) ج 2 ص 531.

(2) هذه الإضافة مناً.

فأهوى بكفيه وكسر سيفه على صخرة من صخر أحد
ململمة

يقول رسول الله فيه ونعمة حباه بهار رب العباد
مقدمة

قال: فلما وردت هذه الكتب والأشعار على معاوية ندم على ما
كتب، وشمت به عمرو، فأنشأ أبياتاً من الشعر مطلعها:

ألم ترني أشرت على ابن هند فلم يقبل وقلت دع الكتابا
إلى أهل الحجاز فإن فيهم رجالاً يغلظون لك الجوابا
يرون الكف عنك وعن علي وطلحة والزبير لهم صوابا
أتطمع في ابن مسلمة سفاها وعبد الله أو سعد نيابا
رجال قد رموك بكل عيب وأهدوا قبل عيبهم العتابا
فكيف رأيت رأيك يا ابن هند ورأيي إذ حدوت بك الركابا
فأبصرت الذي أبصرت منهم سوى ما قد خفي منهم
وعابا(1)

ونقول: تضمنت رسائل معاوية إلى هؤلاء الثلاثة، وأجوبتها
أموراً كثيرة، لا يهمنا التعرض لها، غير أننا نشير بصورة خاطفة إلى
ما يلي:

(1) الفتوح لابن أعمم ج2 ص424 و 425 و (ط دار الأضواء) ج2 ص531.

معاوية يطمع ابن عمر بالخلافة:

تضمنت رسالة معاوية إلى عبد الله بن عمر، أموراً نذكر منها:

1 - إنه قد جعل نفسه مرجعاً في أمر الخلافة، وتعيين الخليفة، وتحديد كيفية اختياره..

2 - إنه قد وعد ابن عمر: بأن يجعله خليفة للمسلمين.. مصرحاً بأنه هو الذي ينصبه، ولكنه لم يشر إلى الذي يكون بيده عزله!! فإن كان هو الذي يعزله، فلن يطول لابن عمر مقام في الخلافة.

3 - لقد أوضح له: أنه إن امتنع عن قبولها، فسيجعلها معاوية شورى بين المسلمين.. وقد عرفنا بعض ما يرتبط بهذا النقطة حين تحدثنا عن كتابه إلى أهل المدينة، فراجع.

4 - إنه قد مزج وعده لابن عمر بالخلافة بتبكيته وملامته له على خذله لعثمان، وطعنه على أنصاره.. فأضعف بذلك موقفه، وجعله في موقع المذنب المقصر..

5 - لعله أراد بهذه الإشارة كسر عين ابن عمر، لكي يبقى في موقع الطائع المتزلف إليه، الساعي لإرضائه، والخاطب لوده..

6 - إن معاوية حين يجعل خلاف ابن عمر لعلي «عليه السلام» من موجبات التخفيف من ذنبه عنده، مع هذا الإغراء له بالخلافة، فإنما يريد به إغراءه بمزيد من الإبتعاد عن علي «عليه السلام»، وإظهار الخلاف له، بهدف إضعاف أمره «عليه السلام».

7 - لقد أفهمتنا رسالة معاوية إلى ابن عمر: أن ابن عمر كان أيضاً من الخاذلين لعثمان، والطاعنين على أنصاره..

رسالة واحدة أم رسالتان!!:

يفهم من الأبيات التي كتبها معاوية في رسالته لابن عمر: أنه قد كتب رسالة واحدة إلى الثلاثة: ابن عمر، وسعد، ومحمد بن مسلمة.. ثم خص كل واحد منهم برسالة على حدة..

ويدل على ذلك قوله في الشعر الذي كتبه في أسفل كتابه لابن

عمر:

ألا قل لعبد الله، وخصص محمداً وفارسنا المأمون سعد بن مالك

إلا أن يقال: إنه كتب ثلاث رسائل فقط، لكنه في الشعر الذي كتبه في رسالة ابن عمر تعمد أن يعلمه - بهذه الطريقة - بأنه يريد منه أن يوقف سعداً على مضمون رسالته هذه.. ولعل الهدف هو إثارة سعد ضد ابن عمر، ومبادرته إلى السعي للخلافة، لأن سعداً كان حسوداً كما صرح به علي «عليه السلام»⁽¹⁾.

(1) الإمامة والسياسة ج 1 ص 54 و (تحقيق الزيني) ج 1 ص 52 و (تحقيق الشيري) ج 1 ص 73 و خلاصة عبقات الأنوار ج 3 ص 27 و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 461.

مواقف ابن عمر وسعد وابن مسلمة:

وقد أفهمنا الشعر الذي كتبه معاوية في رسالته لابن عمر أن سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، قد خذلوا عثمان، ولم ينصروه.. وزاد عليه في الرسالة نفسها: أن ابن عمر كان يطعن على أنصار عثمان أيضاً..

بل ألمح في الشعر: أن هؤلاء الثلاثة قد شاركوا في قتل عثمان، حيث قال لهم: «أحل لكم قتل الإمام بذنبه».

هذا عدا عما تضمنته رسالتاه إلى ابن مسلمة وسعد، من ملامة على خذلانها عثمان، وعودهما عن المطالبة بدمه.

وأما مواقف هؤلاء الثلاثة من أمير المؤمنين، فقد أظهرت رسائلهم الحقائق التالية:

ألف: ورد في رسالة ابن عمر، والأشعار التي ذكرت فيها:

1 - إنهم لا يعدلون بعلي غيره.. ولا يجيزون لأنفسهم تقديم معاوية عليه، وأن معه المهاجرين والأنصار.

2 - إن ابن عمر ينكر أن يكون قد طعن على علي «عليه السلام».

3 - اعترف ابن عمر بأنه هو نفسه لا يقاس بعلي «عليه السلام»، بالإيمان والهجرة، ومكانه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونكايته في المشركين.

مما يعني:

أنه يعتبر أن ما زعمه معاوية من أنه مخالف لعلي «عليه السلام»، فإنما هو من أكاذيب معاوية.

4 - ذكر أن الذي كان من ابن عمر تجاه علي «عليه السلام» هو فقط تحيُّر ابن عمر في أمره، وخوفه من الدخول معه، ولم يكن عنده عهد من رسول الله يأمره فيه بما يزيل عنه الشبهة. وهذا ما صرح به ابن عمر في رسالته، وفي الشعر الذي نظم له ابن غزية.

5 - إن الشعر الذي أرسله ابن عمر لمعاوية يصرح: بأن الأنصار، وطائفة من المهاجرين كانوا مع علي «عليه السلام».

ب: وأظهرت رسالة سعد بن أبي وقاص، ما يلي:

1 - إنه يرى أنه إن كانت فيه وفي نظرائه ميزات وفضائل، ففي علي مثلها.. ولكن كان في علي «عليه السلام» ميزات وفضائل لم تكن فيهم..

2 - إن سعداً يخطئ طلحة والزبير في حربهما لعلي «عليه السلام».

3 - إنه يعتبر عائشة مذنبه في حربها لعلي «عليه السلام»، وهو يدعو لها بالمغفرة.

4 - إنه يصرح بأن عدم نصرته لعلي «عليه السلام» لم تكن لأجل تخطئته له، أو لخلافه عليه، بل كانت لأجل شكه، وحيرته،

وعدم تمييزه في حربه بين المؤمن والكافر، لأنه لا يعرف من يجوز له قتله، ممن لا يجوز.

5 - إنه لا مجال للمقايسة بين علي ومعاوية، فإن يوماً من علي «عليه السلام» خير من معاوية في حياته وبعد مماته.

ج: أما ابن مسلمة، فقد صرح: بأن قعوده عن نصره علي «عليه السلام» كان لأجل وجود الشبهة عنده فيه..

الفصل التاسع:

جرير متآمر.. وخائن..

جرير يتآمر مع معاوية:

وروى نصر، عن محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني قال:
كان معاوية أتى جريراً في منزله، فقال: يا جرير ، إني قد رأيت
رأياً.

قال: هاته.

قال: اكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية، فإذا
حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي، وأسلم له هذا
الأمر، وأكتب إليه بالخلافة.

فقال جرير: اكتب بما أردت، وأكتب معك.

فكتب معاوية بذلك إلى علي، فكتب علي إلى جرير:

«أما بعد، فإنما أراد معاوية ألا يكون لي في عنقه بيعة، وأن
يختار من أمره ما أحب. وأراد أن يريثك حتى يذوق أهل الشام.

وإن المغيرة بن شعبة قد كان أشار علي أن أستعمل معاوية على
الشام وأنا بالمدينة، فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني أتخذ

المضلين عضداً.

فإن بايعك الرجل، وإلا فأقبل [ولا تكن رخو الجنان، والسلام].
ومن الواضح: أن مراده «عليه السلام» بالمضلين أولئك الذين
ظهر حالهم، وبان ضلالهم وإضلالهم عملياً بشكل لا لبس فيه.
أما الذين لم يكونوا بهذه المثابة، وكان يمكن ضبط حركتهم في
خط الإستقامة، فغير معنيين بهذا الكلام.

إعتراض ابن عقبة على معاوية:

وفشا كتاب معاوية في العرب، فبعث إليه الوليد بن عقبة:

معاوي إن الشام شامك فاعتصم بشامك لا تدخل عليك الأفاعيا
وحام عليها بالقتابل والقنا ولا تك محشوش الذراعين
وانيا _____ (1)
وإن علياً ناظر ما تجيبه فأهد له حرباً تشيب النواصيا
وإلا فسلم إن في السلم راحة لمن لا يريد الحرب فاختر
معاوي _____
وإن كتاباً يا ابن حرب كتبته على طمع، يزجي إليك الدواھيا

(1) حام: أمر من المحاماة. والقتابل: الجماعة من الناس، الواحدة قنبلة وقنبل
بفتح القاف والباء فيهما. ح: «بالصوارم». محشوش، في اللسان: «حشت
اليد وأحشت وهي محش: ييست، وأكثر ذلك في الشلل. وحكي عن يونس
حشت على صيغة ما لم يسم فاعله». وفي ح: «موهون الذراعين».

سألت علياً فيته ما لن تناله
وسوف ترى منه الذي ليس بعده
أمثل علي تعتريه بخدعة
ولو نشبت أظفاره فيك مرة
حاذيا

قال: وكتب إليه أيضاً:

معاوي إن الملك قد جب غاربه
أتاك كتاب من علي بخطة
تحارب

ولا ترج عند الواترين مودة
فحاربه إن حاربت حرب ابن حرة
فإن علياً غير ساحب ذيله
ش

ولا قابل ما لا يريد وهذه
ولا تدعن الملك والأمر مقبل
فإن كنت تنوي أن تجيب كتابه
فألق إلى الحي اليمانين كلمة
تقول: أمير المؤمنين أصابه
أفانين منهم قاتل ومحضض
وكنت أميراً قبل بالشام فيكم
فجئنا، ومن أرسى ثبيراً مكتانه
فأقلل وأكثر ما لها اليوم صاحب

يقوم بها يوماً عليك نوادبه
وتطلب ما أعيت عليك مذاهبه
فقبح ممليه وقبح كاتبه
تنال بها الأمر الذي أنت طالبه
عدو وما لاهم عليه أقاربه
بلا ترة كانت وآخر سالبه
فحسبي وإياكم من الحق واجبه
ندافع بحراً لا ترد غواربه
سواك فصرح لست ممن

تواربه(1)

احمل معاوية على الفصل:

وفي حديث صالح بن صدقة قال: أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس، وقال علي: وقتُّ لرسولي وقتاً، لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً! وأبطأ علي علي حتى أيس منه.

وفي حديث محمد وصالح بن صدقة قالوا: وكتب علي إلى جرير بعد ذلك (أي بعد الكتاب المتقدم ذكره):

«أما بعد.. فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، [واحنقه بالجواب]. ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم مُحظية. فإن اختار الحرب فانبذ له [فاكتب إليّ بذلك]، وإن اختار السلم فخذ بيعته» [وإن اختار السلم فاستوثق منه ما تقدر عليه، وعجل القدم عليّ، والسلام](2).

وأضاف ابن أعثم هنا قوله:

(1) صفين للمنقري ص 52 - 55 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج 2 ص 393 و 405 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 515 و 516 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 84 - 87 وبحار الأنوار ج 32 ص 378 والغدير ج 10 ص 317 و 318.

(2) صفين للمنقري ص 55 و الفتوح لابن أعثم ج 2 ص 393 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 516.

ثم كتب النجاشي شاعر علي «رضي الله عنه» إلى جرير أبياتاً من الشعر مطلعها:

ألا ليت شعري والحوادث جمة أَللَّعب سار المالكي جرير
فقولا له والله غالب أمره أما لك في رد الجواب مخير
أقمت بأرض الشام تسعين (1) ليلة رواحك فيها دائم وبكور
على غير شيء كلما جاء راكب طمعنا وقتلنا جاء منك بشير
فقل لابن هند في الفضل راحة وإن الذي يلقي إلى غرور
وإني لأرضى أن أكون ببلدة وأنت بها حقاً هناك أمير
فلا بد من لا أو بلى ولعله وتلك إليها يا جرير يصير
فإن بلى فيها السلام وعله ولا غرو هذا إنه لكفور
ولا تك في ملك العراق وأهله وفيما عليه الدائرات تدور
كحاد حدا بالركب يوماً وليلة وليس له في الظاعنين
بعير (2)

ثم قال المنقري:

«فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب، فقال [له] يا معاوية، إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب، ولا يشرح [صدر] إلا بتوبة، ولا أظن قلبك إلا مطبوعاً. أراك قد وقفت بين الحق والباطل

(1) في د: تسعون.

(2) الفتوح لابن أعمش ج2 ص393 و 394 و (ط دار الأضواء) ج2 ص516.

كأنك تنتظر شيئاً في يدي غيرك» (1).

لكن النص الذي ذكره ابن أعثم يقول:

قال: فلما ورد الكتاب على جرير أخذه وأتى به إلى معاوية، فأقرأه إياه، ثم قال: يا معاوية! أما إنني قد تأنيتك إلى وقتي هذا، ولا والله ما أظن قلبك إلا مطبوعاً! وكذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار، وإنني لأراك قد وقفت على الحق والباطل وقوف رجل ينتظر شيئاً في يد غيره، ولا أظنك مبيعاً حتى لا تجد بدأً من الصلاة.

وهذا كتاب أمير المؤمنين وقد ورد علي، فإما أن تباع حتى أعلم ذلك، فأكتب إلى صاحبي ببيعتك، وإما أن تختار الحرب فأعمل على حسب ذلك!

فقال معاوية: [كما يقول المنقري: ألقاك بالفصل أول مجلس إن شاء الله].

وفي الفتوح: قال معاوية: نعم وكرامة أبا عمرو! والله ما انتظاري إلا على رجل واحد، وهو شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندي، وذلك لأنه سيد من سادات أهل الشام، ولا أحب أن أقطع أمراً دونه، فإذا قدم علي نظرت ما الذي عنده من الرأي، ثم إنني ألقاك في أول المجلس بالفصل إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

(1) صفين للمنقري ص 56.

اعتراض الوليد مرة أخرى:

قال: فانصرف جرير إلى رحله، واتصل الخبر بالوليد بن عقبة، فأقبل على من كان عنده من بني أمية، فقال: ألا تعجبون من معاوية ومن حبسه جريراً⁽¹⁾ عنده، لا يوجهه إلى صاحبه، ويعزم على حربته؟!!

والله! لقد بلونا من تربص معاوية لعثمان بن عفان وعوده عنه ما قد اكتفينا به، ولكن والله لأحركن أخاه عتبة، فلعله أن ينهض إلى حرب علي «رضي الله عنه»، فليس عتبة بدون معاوية.

قال: ثم كتب الوليد بن عقبة إلى عتبة بن أبي سفيان أبياتاً من الشعر مطلعها:

أعتبة حرك من أخيك ولا تكن **فول الهوينيا** إن أراد
مؤاتيا

وقال في هامش الفتوح: في د مكانها:

وإياك أن تقبل من القوم رخصة **فأنت بها** إن قمت يوماً إمامياً
وإنك قد أشبهت صخراً ومن يكن **شبيهاً له** يصبح على الناس
عالي

(1) كذا في الأصل ود، وقال المبرد في كتاب الكامل ص183: فلما أتاه (أي معاوية) جرير دافعه معاوية، فقال له جرير: إن المنافق لا يصلي حتى لا يجد من الصلاة بدأ، ولا أحسبك تبائع حتى لا تجد من البيعة بدأ.

قول الهوينا والسلام من ادعى أخاك فإني خلته متراخيا(1)

قال: فلما وردت هذه الأبيات على عتبة بن أبي سفيان غضب لذلك، ثم قال: إنما أراد الوليد أن يخطب إلى عقلي، أيرجوني لأمر ومعاوية، جنّ والله ما أنصفنا الوليد، ولا أراد بذلك إلا تحريض بعضنا ببعض! وليس هذا جزاؤنا منه، إذ نصبنا جباهنا ونحورنا لسيف علي بن أبي طالب، غضباً لابن عمه عثمان بن عفان، وهو بالحجاز متكئاً على الحشايا.

ثم أجابه عتبة بن أبي سفيان بأبيات من الشعر مطلعها:

كرهت أبا وهب قراع العواليا وحسبك أن تهدي إلي القوافيا

وقال في هامش الفتوح:

في د بدلها:

إذا أنت ناديت الرجال لنصرة وناديتني فيهم فقدّم معاويا
ولا تدعوني يا ابن عقبة قبله ولا معه حسبي إذا كنت نائيا
وإن امرءاً ينميه صخر وفخره وعتبة أهل أن يحوز المعاليا
إذا هو لم يكف الأمور بحزمه فمن ذا الذي نرجوه من بعد

كافية

وعاتبه سوء العتاب وإنما يكيد علياً والرجال الأفاعيا

(1) الفتوح لابن أعمم ج 2 ص 394 و 395 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 516

تطاعن عنكم بالقنا حرّ وجهه وأنت أبا وهب تمنى الأمانيا
فاقصر فإن الحرب ليست بخلسة وإن علياً قد أعدّ

الدواھيا(1)

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى ما يلي من مطالب..

البعلي متآمر خائن:

إن مراجعة النصوص التي بين أيدينا تعطي: أن جرير بن عبد
الله البجلي كان متآمراً مع معاوية، خائناً للأمانة، متلوناً وماكراً..

فهو من جهة يظهر في الملأ العام نصرته لعلي «عليه السلام»،
ويدافع عنه بقوة وحزم، ويفند أقاويل معاوية وشرحبيل بن السمط..
وغيرهما.. ولا نجد معاوية يعنفه أو يشتد عليه إلا في مورد واحد،
وذلك بعد أن استوسقت الأمور لمعاوية، وذاق معاوية أهل الشام،
وفاز بتأييدهم له في حرب علي «عليه السلام»، وتمكن من كسب
تأييد شرحبيل بن السمط، وحقق معاوية ما أراده منه، وحان الوقت
لإعادة جرير إلى من أرسله بالجواب القاطع بالحرب..

ففي هذه الحال، وفي هذا الظرف اجتمع جرير بشرحبيل بطلب
من شرحبيل، وتكلم معه بكلام قوي، خشي معاوية من أن يؤثر في

(1) الفتوح لابن أعمش ج2 ص395 و 396 و (ط دار الأضواء) ج2 ص517.

قلب شرحبيل، فبعث إلى جرير فزجره، وقال له: «الحق بصاحبك، فأخبره بالذي سمعت من مقالة أهل الشام..» (1).

ومن جهة أخرى نجد لجرير بن عبد الله وجهاً آخر، فهو:

أولاً: يمالئ معاوية، ويوافق على الكتابة إلى علي «عليه السلام» ليخذه، وذلك حين طلب منه أن يبقيه على الشام، وأن لا يجعل لأحد بعده بيعة في عنق معاوية.

فلو أن علياً «عليه السلام» رضي بهذا، فذلك يعني: أن معاوية قد فرض نفسه على علي «عليه السلام» ورضخ علي واستسلم لإرادة معاوية، بل يكون هو الذي نصّب معاوية خليفة على الشام، وقدّم له اعترافاً بشرعية حكمه لبلاد الشام ابتداءً، وقبل أن يرضى معاوية بالبيعة لعلي «عليه السلام»، بل يكون بالخيار بأن يبايع علياً «عليه السلام» أو يرفض.

ولعله إذا وصله كتاب علي «عليه السلام» له بإيقائه على الشام يعلن بيعة علي «عليه السلام» له، ويخرج كتاب علي هذا للناس، ويجعله دليلاً وشاهداً على ذلك، أو هو على الأقل شاهد أحقيته بالأمر، باعتراف علي له..

ثانياً: إن ابن أعثم يذكر ما جرى بين جرير ومعاوية بصورة

(1) الفتوح لابن أعثم ج 2 ص 404 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 522 وراجع:

تظهر - بما لا يقبل الشك - كيف أن جريراً لم يكن أميناً في أداء المهمة التي أوكلت إليه..

فنحن نذكر ما قاله ابن أعثم، وإن كان نصاً طويلاً، ليتضح ما نرمي فنقول:

قال في الفتوح: إن جرير بن عبد الله البجلي قال لعلي «عليه السلام»: بأنه سيدعو معاوية إلى تسليم الأمر لعلي «عليه السلام»، وأن يلزم الطاعة، ويكون أميراً من أمرائه، وعاملاً من عماله، ما عمل بطاعة الله.. (1).

أما أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال لجرير: «فسر إلى معاوية بكتابي، وأعذر إليه، وأعلمه أنني لا أرضى به أميراً، والعامّة لا ترضى به خليفة.

فقال جرير: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين..» (2).

ثم ذكر ابن أعثم: أن جريراً حمل كتاب أمير المؤمنين «عليه

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص 373 و (ط دار الأضواء) ج2 ص 505 و 506 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج5 ص451 ونهج السعادة ج4 ص88 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص74 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص127 وصفين للمنقري ص27.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص 374 و (ط دار الأضواء) ج2 ص 506 و الامامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص84 و (تحقيق الشيرازي) ج1 ص113.

السلام» وكتاباً آخر أعطاه إياه مسكين بن حنظلة إلى معاوية، فلما صار إليه قال له معاوية: هات ما عندك يا جرير!

فقال جرير: «والله! إنه قد اجتمع لابن عمك علي بن أبي طالب أهل الحرمين: مكة والمدينة، وأهل العراقين: البصرة والكوفة، وأهل الحجاز، وأهل اليمن، فلم يبق في يديك إلا هذه الحصون التي أنت عليها، ولو سال عليها سيل من أوديته لغرقها.

وقد أقبلت إليك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى اتباع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، على أنه يعطيك أرضك التي أنت عليها، فتعمل فيها بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما أنزل الله من الحق والسنن.

فتكون كذلك أبداً ما دام علي حياً، فإن مات وأنت حي رأيت رأيك بعد ذلك.

وأما أمر عثمان بن عفان فأنت تعلم يا معاوية أنه قد أعيأ من شهده، فكيف من غاب عنه؟!!

وهذا كتاب علي «رضي الله عنه» إليك.

قال: فأخذ معاوية الكتاب، فقرأه حتى أتى على آخره، ثم أقبل على جرير، فقال: أبا عمر! انظر في ذلك، وتنتظر أنت أيضاً، وأستطلع رأي أهل الشام.

قال: فأخرج جرير كتاب مسكين بن حنظلة فدفعه إليه، فإذا فيه أبيات من الشعر مطلعها:

معوي بايع قد أتاك جرير وما لجرير بالتعراق نظير

وبقية الأبيات في الهامش هكذا:

أتاك بأمر فيه روح وراحة
دعاه علتي ثم قال لصحبه
وهذا علي في صحاب محمد
يعضون من غيظ عليك أكفهم
وعدك قوم سودوك سفاهة
وقالوا ابن هند عامل لابن عمه
الامير

فلم يكذبوا قد كنت بالأمس عاملاً
ويكفيك من مهدى الكلام أقله
فقارب وباعد أي ذلك شئته
أميراً عليهم والكلام كثير
وأنت بأخبار الأمير بصير
فخطبك عند المؤمنين صغير

قال: فلما قرأ معاوية هذا الكتاب غضب لذلك، ثم أقبل على

أصحابه، فقال: أيكم يجيب مسكين بن حنظلة على شعره هذا؟!

فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: أنا أجيبه.

فقال: أجه يا بن الأخ! وألقى الكتاب إليه.

فقال عبد الرحمن بن خالد أبياتاً من الشعر مطلعها:

أتانا بإحدى المنكرات جرير وخطب الذي يدعو إليه
كبير

وبقية الأبيات في الهامش هكذا:

يقول اقبلوا مني الذي جئتم به فقلنا لأخذ عندنا وثبير
 اخف علينا اليوم من ذاك محملاً فدع عنك ما لا يستقيم جرير
 وللنجم أدنى اليوم من نقض بيعة بها لابن حرب منبر وسرير
 دعوانه للعلياء عشرين حجة أمير علينا مرة ووزير
 فلا والذي نادى من الطور عنده لتصرفن عنا ومخك رير

ثم عرض عبد الرحمن بن خالد شعره هذا على معاوية، فقال
 معاوية: ما رأيت شعر قرشي أضعف من شعرك، ثم قال: أنا أجيب
 عنك يا بن أخ وعن نفسي، ثم أنشأ يقول أبياتاً من الشعر مطلعها:

قل لمن أرسل الرسول إليا إن كل الذي تريد لديا
 وبقيتها في الهامش هكذا:

إن ترد سلمي الغداة أو الحر ب تجدني بما أردتم مليا
 إن تكن دانت العراق لك اليو م وأصبحت لا ترى الشام شيا
 وقتلت الأولى سموا لك بالبصر رة أهون بمن قتلت عليا
 ثم طاوحت هائناً وشريحاً وعدياً والأشتر النخعيان
 فاقصر الوم إن خلفك بالشا م تحيا على الهدى يمينا
 ستقربن للطعان يضجو ن إلى الله لا نريد عليا
 ذاك ما عندهم وعندك ما عندك كل يرى الخلاف
 فريا

قال: وانصرف جرير إلى رحله ودخل معاوية إلى منزله، فلما
 جن عليه الليل رفع صوته وعنده نفر من أهل بيته، فأنشأ يقول أبياتاً

مطلعها:

تطاول ليلى واعترتني وساوسي لآت أتى بالترهات البسابس
إلى آخرها (وقد تقدمت).

فلما أصبح جرير أقبل إلى المسجد الأعظم، فاجتمع إليه الناس،
وحضر معاوية، فجعل جرير يعظهم ويدعوهم إلى بيعة علي، ثم ذكر
نص كلام جرير، وذكر بعده خطبة معاوية التي أولها:

أيها الناس! إن الله عز وجل قد جعل الدعائم للإسلام أركاناً،
وجعل الشرائع للإيمان برهاناً الخ.. (1).

إلى أن قال:

قال: وبلغ ذلك علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فأراد أن
يعجل بالمسير إلى الشام، فأشار عليه عامة الناس بالمقام بالكوفة إلا
هؤلاء الخمسة نفر: الأشتر النخعي، وعدي بن حاتم الطائي، وعمرو
بن الحمق الخزاعي، وسعيد بن قيس الهمداني، وهانئ بن عروة
المذحجي، فإنهم قاموا إلى علي فقالوا:

يا أمير المؤمنين! إن هؤلاء الذين أشاروا عليك بالمقام إنما
يخافون حرب أهل الشام، وليس في حربهم شيء هو أخوف من
الموت، ولسنا نريد إلا الموت، فسر بنا إليهم، وفقك الله لما تحب

(1) الفتوح لابن أعمش ج2 ص375 - 379 و (ط دار الأضواء) ج2 ص506 -

وترضى!

فأطرق علي ساعة ثم قال: إنه ليس يتهياً لي المسير إليهم
ورسولي عندهم، وقد وُقِّتُ لرسولي وقتاً، لا يتأخر عنه إلا مخدوعاً
أو عاصياً، فاسكتوا ولا تعجلوا!

قال: فسكت الناس، وأنشد النجاشي بن الحارث شعراً.

والأبيات ذكرها في الهامش كما يلي:

أشار رجال بالمقام لحاجة وخالفهم فيه عدي ومالك
وتابعهم فيه شريح وهاني وخفت إلى الشام الرجال
الص
عالك

أبا حسن اغز ابن هند وجمعه فإنك إن لم تغز للرأي تارك
وقالوا إننا إن تطلبوا الشام تلقمكم صدور العوالي والسيوف
البوات

فقلت لهم: لا بد من كأس موتة ألا كل شيء ما خلا الله هالك

قال: وجعل جرير كلما استعجل معاوية واستحثه في رد الجواب
يقول معاوية: ويحك أبا عمرو! لا تعجل، وأبلعني ريقي حتى أنظر
في أمري، وأستطلع رأي أهل الشام، ثم إنني أجيب صاحبك عن كتابه
وكرامته لك.

قال: ثم كتب معاوية إلى عمرو بن العاص، وعمرو يومئذ

بفلسطين الخ.. (1).

وبعدما تقدم نقول:

إن نتيجة جميع ما تقدم هو ما يلي:

ألف: إن جريراً قد كذب على أمير المؤمنين «عليه السلام» حين حاول التسويق عنده لاقتراح معاوية: أن يعطيه أمير المؤمنين «عليه السلام» الأرض التي هو عليها، وهي بلاد الشام، فتكون كذلك أبداً ما دام علي «عليه السلام» حياً.. فإن مات علي في حياة معاوية، فيرى معاوية رأيه بعد ذلك..

فإن هذا يناقض تماماً ما قاله علي «عليه السلام» لجرير، وهو أن يقول لمعاوية: إنه «عليه السلام» لا يرضى به أميراً، كما أن العامة لا ترضى به خليفة..

ولا ينسجم مع قول جرير: إنه سيدعوه إلى تسليم الأمر لعلي، وأن يلزم الطاعة إلخ..

ب: ما معنى أن يقيم جرير بالشام مدة أربعة أشهر، ولا يأخذ معاوية بالجواب، ولا يعود إلى علي «عليه السلام» ليخبره بما كان منه. ولا سيما بعد أن رأى إصرار معاوية منذ اليوم الأول على اتهام علي «عليه السلام» بقتل عثمان، واعتبار نفسه ولي دمه، وتصريحه

(1) الفتوح لابن أعمش ج2 ص375 - 382 متناً وهامشاً و (ط دار الأضواء)

بذلك في خطبته في المسجد، وأن أهل الشام بايعوه بأجمعهم على
الطلب بدم عثمان؟!!

ولماذا أعطاه المهلة حتى يذوق أهل الشام، ويأخذ منهم البيعة
على حرب أمير المؤمنين؟!!

ج: لو تغاضينا عن هذا وذاك، فلماذا لم يرجع إلى علي «عليه
السلام» حين رأى معاوية قد اشترى من عمرو بن العاص دينه بملك
مصر وأهلها، مقابل أن يعينه على حرب علي «عليه السلام»؟! فماذا
بقي بعد هذا لجريير في الشام؟! وأي جواب أبلغ من هذا يريده من
معاوية؟! ألا يكفي هذا دلالة على أن معاوية قد اتخذ موقف العدو
المناذب، الداعي للحرب؟!!

د: ثم أعطى معاوية مهلة أخرى حتى استمال شريحيل بن
السمط، الذي سار في البلاد يدعو الناس لحرب علي «عليه السلام».

هـ: هذا كله، بالإضافة إلى التناقض الظاهر بين أقوال جريير في
العلن، التي كانت قوية وجريئة، وكان معاوية يغضي عنها، وأقوال
جريير لمعاوية في مجالسه الخاصة التي تضمنت الوعد بإعطاء البلاد
له، وعدم اعتراض أحد عليه ما دام علي «عليه السلام» حياً، وتأمره
معه على علي «عليه السلام» لانتزاع إقرار مسبق منه لمعاوية على
بلاد الشام، فقد تقدم: أنه تأمر مع معاوية وكتبنا إلى علي «عليه
السلام» يحاولان خداعه بأن يكتب «عليه السلام» لمعاوية بإعطائه
ما تحت يده، وإن مات «عليه السلام» قبله لا يجعل لأحد بيعة في

عق معاوية، بل يترك له الحرية في أن يتصرف كيفما يشاء.
وهذا معناه: أن يكون علي «عليه السلام» قد سجل اعترافاً
مكتوباً: بأن لمعاوية الحق في الملك، بل يكون ذلك بمثابة مبايعة مسبقة
من علي «عليه السلام» لمعاوية، ثم إعطائه صكاً بتفويض الأمور إليه
بعد وفاته.. دون أن يقدم معاوية أي اعتراف، أو تنازل، فضلاً عن أن
يباع لعلي «عليه السلام»..

ز: إن علياً «عليه السلام» قد وقَّت لجرير وقتاً لا يتجاوزه،
فخالف ما قرره له أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى أيس منه(1).
وهذا يمثل تهاوناً، إن لم يكن استهانة بأوامره «عليه السلام»،
وبمصالح المسلمين، بصورة عامة.

معاوية لا يقيم وزناً لقتلى الجمل:

وقد لفت نظرنا تصريح معاوية في شعره المتقدم جواباً على
مسكين بن حنظلة، بأنه لا يقيم وزناً لقتلى حرب الجمل بما فيهم طلحة
والزبير حيث قال: «أهون بمن قتلت علياً». مع أن دعوته ودعوتهم
واحدة، وكان هو قد راسلهم، بل كتب إلى طلحة والزبير ببيعته لهما..
كما أن عائشة كانت على رأس ذلك الجيش، وكانت لها القيادة

(1) صفين للمنقري ص 55 وبحار الأنوار ج32 ص378 وراجع: كتاب
الفتوح لابن أعم (طدار الأضواء) ج2 ص510.

والزعامة..

فعدم اكترائه لقتل عشرات الألوف في حرب الجمل، واستهانته بهم سواء أكانوا من الفريق الموالي له، أو من الفريق الآخر، يكشف لنا جانباً من طبيعة معاوية، وعن أن ما يهمله هو حصوله على الملك لنفسه، ولمن يلوذ به. وكل ما عدا ذلك، فهو بنظره أهون من سراب، أو ذباب..

وليس مراد معاوية: بيان سهولة حربهم، وصعوبة الحرب معه، لأنه أكثر جمعاً، وأشد مراساً كما قد يتوهم. لأن هذا النوع من التعابير إنما يراد به إظهار عدم الإهتمام بقتل من قتل على سبيل الإستهانة به.. لا لأجل سهولة الحرب معه أو صعوبتها.

هل كان علي × متردداً في قراره؟!:

وربما توهم متوهم: أن علياً «عليه السلام» قد بدا متردداً، وغير قادر على اتخاذ القرار بشأن المسير إلى الشام، حيث تقدم: أنه لما بلغه ما جرى بين معاوية وجريير «أراد أن يعجل المسير إلى الشام»، ووافقه على ذلك خمسة نفر، وكان رأي عامة الناس: أن الأصلح هو المقام في الكوفة.

وإذا بنا نرى: أنه «عليه السلام» عاد فعدل عن رأيه، وقرر الإنتظار إلى حين عودة رسوله جريير من الشام، فما هذا التردد، أو فقل: التقلب في قراراته «عليه السلام»؟!:

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن عبارة: «أراد أن يعجل المسير إلى الشام» إنما هي من الراوي، ولعله فهمه ذلك من نفس جمعه «عليه السلام» للناس وسؤاله إياهم إن كانوا يرون تعجيل المسير إلى الشام أم لا..

ولكن هذا الفهم غير دقيق، فإن قوله «عليه السلام» أخيراً: «ليس يتهيأ لي المسير إليهم ورسولي عندهم. وقد وقَّت لرسولي وقتاً، لا يتأخر عنه إلا مخدوعاً أو عاصياً، فاسكتوا ولا تعجلوا» قد يشعر بأنه «عليه السلام» لم يكن قد أبدى رأيه في أول الأمر، بل غاية ما هناك: أن يكون قد سألهم عن رأيهم في تعجيل المسير، ليستخرج دخالهم.

ثانياً: إنه «عليه السلام»: قد أمر أصحابه بالسكوت، وعدم العجلة، وهذا يشير إلى أن العجلة كانت من غيره لا منه، وكان بصدد التخلص منها..

ثالثاً: إن ما ذكره «عليه السلام» هو الصواب الذي لا محيد عنه، إذ لا معنى لأن يرسل رسولاً بدعوة سلام ومسالمة، وقد كتب في رسالته تلك: «وأحب الأشياء إلي فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت قابلتك، واستعنت الله عليك»(1).

(1) الفتوح لابن أعمش ج2 ص 375 و (ط دار الأضواء) ج2 ص وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص24 وموسوعة أحاديث

ثم يزحف بجيوشه خلف ذلك الرسول، وقبل أن يأتيه جواب رسالته.. لمجرد أنه سمع من الناس بأن حواراً حاراً أو بارداً كان قد جرى..

فلعل ذلك الذي بلغه لم يكن دقيقاً، ولعله قد تم التراجع عن الموقف الذي بلغه.. ولعل.. ولعل..

علي × لا يخدع:

وقد صرح الوليد بن عقبة في شعره: بأن علياً «عليه السلام» لا يخدع، وقال: إن معاوية قد جربه مرات كثيرة، كانت تكفيه لمعرفة ذلك، فقد قال له:

**أمثل علي تعتريه بخدعة وقد كان ما جربت من قبل
كافياً**

فقد دل قوله هذا على أمور:

أحدها: أن كتاب معاوية إلى علي «عليه السلام» الذي كان بالإتفاق مع جرير البجلي وقد طلب فيه الولاية على الشام، وعدم جعل علي لأحد بيعة في عنق معاوية من بعده - إن هذا الكتاب - كان خدعة منه علي..

الثاني: إن علياً «عليه السلام» لا يخدع..

الثالث: إن هذه الحقيقة قد ظهرت لهم بالتجربة الكافية، ولم تكن اجتهاداً..

الرابع: إن علياً «عليه السلام» كما لا يمكن أن يرضى بأن يخدع، كذلك لا يمكن أن يقَرَّ بما لا يقتنع به، مهما كلفه ذلك من تضحيات، وسينال ما يريد في نهاية الأمر.. وهذا ما أشار إليه الوليد في شعره الآخر حيث قال:

فإن علياً غير صاحب ذيله على خدعة ما سوغ الماء
شـ _____
ولا قابل ما لا يريد وهذه يقوم بها يوماً عليك
نوابه

علي × يوقت لرسوله وقتاً:

إننا لأول مرة نسمع أو نقرأ: أن أحداً يرسل رسولاً، ويحدد له وقتاً لأداء مهمته، والرجوع إليه..

وهذا يدل على أن على الحاكم أن يحسب الأمور بدقة، وأن يأخذ جميع الاحتمالات بنظر الإعتبار، وأن يرتب الأمور بحيث لا يتمكن عدوه من استغلال حتى اللحظة لصالحه، وعليه أن يستعد لما بعد تلك اللحظة من مفاجآت، لأن قضايا الحرب قد تتوقف على لحظة، فيخسرها أو يربحها، وفق ما كان قد أعده لها مما ينبغي أو لا ينبغي في الحالات المختلفة.

وهذا شاهد آخر على كذب المقولة التي أطلقوها عن أمير

المؤمنين «عليه السلام»، من أنه «رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب»⁽¹⁾.

وبعد أن ظهر أن جريراً قد تخلف عن الموعد.. فهو إما مخدوع، أو عاص. وكلا الأمرين لا يشرّفان جرير، ولا يسعد بنسبة أي منهما إليه.

واللافت هنا: أنه «عليه السلام» لم يذكر احتمال أن يكون جرير بصدد خداع معاوية، أو أن يكون قد تعرض لعائق منعه من الإسراع، كمرض أو نحوه، ولعل ذلك يشهد على أنه كان عارفاً بروحية جرير، أو مطلعاً على دقائق ما يجري له ومعه مع معاوية، فقد زادت غيبة جرير على مئة وعشرين يوماً، وكانت تكفي لإنجاز مهمات كثيرة.. أكبر من المهمة التي اوكلت إليه..

ما كنت متخذ المضلين عضداً:

وقد ذكر علي «عليه السلام» في كتابه لجرير: «أن المغيرة بن

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 70 والأغاني ج 15 ص 45 والمهذب لابن البراج ج 1 ص 324 ودعائم الإسلام ج 1 ص 390 والغارات للثقفى ج 2 ص 477 ومقاتل الطالبين ص 15 وشرح الأخبار ج 2 ص 75 وبحار الأنوار ج 34 ص 65 ونهج السعادة ج 2 ص 564 وج 5 ص 317 والمعيان والموازنة ص 99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 75 والأخبار الطوال ص 212 والعثمانية للجاحظ ص 96.

شعبة كان قد أشار عليه - وهو بالمدينة - باستعمال معاوية على الشام، فأبى ذلك. قال: «ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضداً» (1).

والتذكير بهذا الأمر هنا قد يكون له العديد من الأهداف:

1 - فلعله يريد أن يفهم معاوية والناس: أن موضوع عزله ونصبه ليس أهوائياً، بل هو مرتبط بمبدأ أصيل، وواضح المعالم، ولا يمكن التلاعب به ولا التخلف عنه، كما أنه ليس أمراً عارضاً أملاه عليه موقف مفاجئ اتخذه معاوية منه بسبب مقتل عثمان، أو لأي سبب آخر.. ولو كان أمراً عارضاً، فإن العوارض التالية قد تؤثر فيه تغييراً وتبديلاً.

2 - إن الإشارة إلى ما جرى بينه وبين المغيرة من شأنه أن تحبط هذه المؤامرة بين جرير ومعاوية، وكل مؤامرة من سنخها يحتمل أن يلجأوا إليها الفريق المناوئ، فلا مجال للمماثلة اعتماداً على مثل هذه التصورات، لأن الأمر محسوم من هذه الجهة. كما أنه لا فائدة من التطويل والتزمير الإعلامي، وإطلاق الشائعات بهذا المعنى، فإن على الناس أن يعلموا: أن كل شائعة من هذا القبيل لا تمت إلى الحقيقة

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص84 وبحار الأنوار ج32 ص378 ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج4 ص245 ونهج السعادة ج4 ص96 وصفين للمنقري ص52 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص515 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص131 وأعيان الشيعة ج1 ص470 و4 ص74.

بصلة.

3 - ويمكن أن يدخل في ذلك: إرادة الإعلان بأن ما جرى بينه «عليه السلام» وبين المغيرة بن شعبة حول هذا الموضوع، لا يمكن تصنيفه في عداد التدبير الخفي، والتأمر، بل هو تداول في الأمور على أساس المعايير والضوابط، وليس هذا من التكتيك السياسي الذي يباح التعامل به، وفق المتغيرات، وبحسب الظروف، لأن للسياسة عند علي «عليه السلام» ضوابطها وحدودها التي لا يمكن السماح بتجاوزها في أي ظرف كان.

4 - إن هذا يوضح لنا الفرق بين سياسة علي «عليه السلام» وسياسة غيره، في كل وقت وحين، فإن سياساته تنطلق من قوله «عليه السلام»: «قد يرى الحوّل القُلب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه؛ فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهاز فرصتها من لا حريجة له في الدين»⁽¹⁾.

5 - إن كشف أهداف معاوية من هذه المؤامرة، ثم ما ذكرناه من

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 1 ص 92 وبحار الأنوار ج 97 ص 365 و 370 وج 34 ص 102 وج 72 ص 97 و 287 وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص 98 والمزار للشهيد الأول ص 123 ومستدرك الوسائل ج 11 ص 47 والمزار لابن المشهدي ص 276 وجامع أحاديث الشيعة ج 13 ص 162 ومستدرك سفينة البحار ج 7 ص 539 والمعيان والموازنة ص 96 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 312.

أسباب دعت «عليه السلام» إلى إرسال جرير بن عبد الله البجلي إليه.. يدل على أنه «عليه السلام» كما قال عن نفسه:

«والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس. ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفر. ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.

والله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمز بالشديدة»(1).

وقد تحدثنا عن مشورة المغيرة هذه في فصل مستقل تقدم في الجزء العشرين من هذا الكتاب. فراجع.

مئة وعشرون ليلة في الشام:

هذا.. ولا مجال لتفسير بقاء جرير مئة وعشرين ليلة في الشام، ثم تكون نتيجة ذلك هي إرسال هذا الطلب الخادع لعلي «عليه السلام» إلا إذا قلنا: إن جريراً متآمر، وعاص، لأن احتمال كون جرير مخدوعاً منتف في حالة جرير، لأنه كان يرى كيف كان معاوية يشتري دين

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 180 وبحار الأنوار ج 33 ص 197 وج 40 ص 193 وج 72 ص 291 والكافي ج 2 ص 336 و 338 وشجرة طوبى ج 2 ص 294 والغدير ج 10 ص 172 ومستدرک سفينة البحار ج 3 ص 394 وج 7 ص 540 والمعيان والموازنة ص 166 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 10 ص 211 وينايع المودة لذوي القربى ج 1 ص 454.

عمرو بن العاص، ليساعده على حرب علي «عليه السلام»، وكيف يسعى بالتزوير، والشهادات الكاذبة إلى إقناع شرحبيل بأن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل عثمان.. وكيف أرسل معاوية شرحبيل إلى البلاد ليستنفر أهلها لحرب علي «عليه السلام»..

فإن ما يجري لا يمكن أن يخدع أكثر الناس سذاجة، وأشدهم تغنياً، فضلاً عن أن يخدع من هو مثل جرير بن عبد الله البجلي.. فلم يبق إلا أنه كان متآمراً مع معاوية، ممالئاً له، عاصياً لأمر أمير المؤمنين «عليه السلام».

وهذا يدعونا إلى القول بعدم صحة ما نقلوه عن جرير، من أنه لما جاءه كتاب علي «عليه السلام» جاء به إلى معاوية، فأقرأه إياه، وقال له: لا أظن قلبك إلا مطبوعاً، أراك وقفت بين الحق والباطل. كأنك تنتظر شيئاً في يد غيرك (1).

لأنه كان يعلم: أن معاوية مع الباطل دائماً، بل هو الباطل عينه. وكان يعلم أيضاً: أنه لم يكن ينتظر شيئاً في يد غيره، بل كان يسعى للإحتفاظ بما في يده، والإستيلاء على ما في يد غيره بالقوة والقهر، أو بالحيلة والمكر. أو بالفتك والغدر.

(1) صفين للمنقري ص 56 والفتوح لابن أعمش ج 2 ص 394 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 516 وبحار الأنوار ج 32 ص 379 و 392 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 87.

ولعل هذه الأقوال من جرير قد جاءت للتعمية على الآخرين،
وذر الرماد في العيون، لكي لا ترى الحقيقة.

ابن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان:

ولا نريد أن نصرف وقت القارئ بمعالجة وبيان مداليل ما جرى
بين عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة.. فإننا إنما ذكرنا ذلك لنطلع
القارئ على أحوال المنحرفين وأهل الضلال، وسياساتهم حتى مع
بعضهم البعض.. وكيف يعامل بعضهم بعضاً.

وليس لنا ونحن نرى أحوالهم هذه إلا أن نقول: «الحمد لله الذي
عافانا مما ابتلى به غيرنا»، و «الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين
بولاية أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين «عليهم السلام».

إرجاع جرير وجواب معاوية:

قال ابن أعثم:

«ثم أرسل معاوية إلى جرير: أن الحق بصاحبك، فأخبره بالذي
سمعت من مقالة أهل الشام.

قال: فأمر جرير، فقدمت أثقاله، ثم استوى على فرسه وسار حتى
قدم على علي «عليه السلام» بعد عشرين ومائة ليلة، فأخبره بأخبار
معاوية وما سمع من أهل الشام»⁽¹⁾.

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص404 و (ط دار الأضواء) ج2 ص522.

قال المنقري: فلما بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال: «يا جرير الحق بصاحبك» وكتب إليه بالحرب. وكتب في أسفل كتابه بشعر ابن جعيل الآتي (1).

ولم يذكر نصر بن مزاحم نص كتاب معاوية، وذكره ابن قتيبة وغيره، وهو كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب..

أما بعد، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان، كنت كأبي بكر وعمر وعثمان «رضي الله عنهم»، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين..

وقد كان أهل الحجاز الحكام على الناس وفي أيديهم الحق، فلما تركوه صار الحق في أيدي أهل الشام.

ولعمري ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير، لأن أهل البصرة بايعوك، ولم يبايعك أحد من أهل الشام، وإن طلحة والزبير بايعاك ولم

(1) صفين للمنقري ص 56 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 87 والأخبار الطوال ص 160 وراجع: بحار الأنوار ج 32 ص 379 و 392.

أبايعك .

وأما فضلك في الإسلام، وقرابتك من النبي «صلى الله عليه وآله»، فلعمري ما أدفعه ولا أنكره»⁽¹⁾.

قال نصر بن مزاحم:

وكتب في أسفل كتابه بقول كعب بن جعيل:

أرى الشام تكره ملك العراق	وأهل العراق لها كارهونا
وكل لصاحبه مبعوض	يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا مارمونا رميناهم	ودناهم مثل ما يقرضونا
وقالوا علي إمام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقلنا نرى أن تدينوا لنا	فقالوا لنا لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد	وضرب وطعن يقر العيوننا
وكل يسر بما عنده	يرى غث ما في يديه سمينا
وما في علي لمستعب	مقال سوى ضمه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنوب	ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حدا شبهة	وعمى الجواب على السائلينا

(1) الإمامة والسياسة ج 1 ص 101 و 102 و (تحقيق الزيني) ج 1 ص 91 و (تحقيق الشيري) ج 1 ص 121 والكامل للمبرد ج 3 ص 209 و 210 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 88 والفتوح لابن أعمش ج 2 ص 429 و 430 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 533 و 534 وبحار الأنوار ج 32 ص 394.

فليس براض ولا ساخط ولا في النهاية ولا الأمرينا
ولا هو ساء ولا سره ولا بدمن بعض ذا أن
يكونا(1)

قال: فكتب إليه:

«من علي إلى معاوية بن صخر.

أما بعد.. فقد أتاني كتاب امرئ ليس له نظر يهديه، ولا قائد
يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده فاتبعه.

زعمت أنه أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما
كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما
أصدروا. وما كان الله ليجمعهم على ضلالة، ولا ليضربهم بالعمى،
وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر، ولا قتلت فيجب علي القصاص.

وأما قولك: إن أهل الشام هم الحكام على [الناس] أهل الحجاز،
فهات رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى، أو تحل له الخلافة.
فإن [سميت] زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأنصار، وإلا
أتيتك به من قريش الحجاز.

(1) صفيين للمنقري ص 56 و 57 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2
ص 127 و 128 والأخبار الطوال ص 160 والمناقب للخوارزمي
ص 203 و 204 وراجع: الفتوح لابن أعمش ج 2 ص 430 و 431 و (ط
دار الأضواء) ج 2 ص 534.

وأما قولك: ادفع إلينا قتلة عثمان، فما أنت وعثمان؟! إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى [بعثمان] بذلك منك.

فإن زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم، فادخل في طاعتي، ثم حاكم القوم إلي، أحملك وإياهم على المحجة.

وأما تمييزك بين الشام والبصرة، و [ذكرك] بين طلحة والزبير، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا واحد، لأنها بيعة عامة لا يثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار.

وأما ولوعك بي في أمر عثمان، [فوالله] فما قلت ذلك عن حق العيان، ولا [عن] يقين الخبر.

وأما فضلي في الإسلام، وقرابتي من النبي «صلى الله عليه وآله»، وشرفي في قريش، فلعمري لو استطعت دفع ذلك لدفعته» (1).

وأمر النجاشي فأجابه في الشعر، فقال:

دعن يا معاوي ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم علي بأهل الحجاز وأهل العراق فما تصنعونا

(1) صفين للمنقري ص 57 و 58 والإمامة والسياسة ج 1 ص 102 و (تحقيق الزيني) ج 1 ص 91 و (تحقيق الشيربي) ج 1 ص 121 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 89 و 90 والكامل للمبرد ج 3 ص 224 والعقد الفريد ج 3 ص 329 والفتوح لابن أعثم ج 2 ص 431 و 432 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 534 و 535.

على كل جرداء خيفانة
عليها فوارس مخشية
يرون الطعان خلال العجاج
هم هزموا الجمع جمع الزبير
وقالوا يميناً على حلفة
تشيّب النواصي قبل المشيب
فإن تكرر هو الملك ملك العراق
فقل للمضلل من وائل
جعلتم عليّاً وأشياعه
إلى أول الناس بعد الرسول
وصهر الرسول ومن مثله
القرونا(1)

وأشعث نهد يسر العيوننا
كأسد العرين حمين العرينا
وضرب الفوارس في النقع دينا
وظلحة والمعشر الناكثينا
لنهدى إلى الشام حرباً زبونا
وتلقى الحوامل منها الجنينا
فقد رضي القوم ما تكرر هونا
ومن جعل الغث يوماً سميناً
نظير ابن هند ألا تستحونا
وصنو الرسول من العالمينا
إذا كان يوم يشيب

قال المعتزلي: «قلت: أبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات وأدهى، وأخبث مقصداً، وأحسن»(2).

ونقول:

أما كتاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلا يحتاج ما ورد فيه

(1) صفين للمنقري ص 52 - 59 وتذكرة الخواص ج 1 ص 398 - 402 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 90 وراجع: المناقب للخوارزمي ص 204 والإمامة والسياسة ج 1 ص 91 و 92 والأخبار الطوال ص 160 و 161.
(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 90.

إلى توضيح ولا تعليق.

ولكننا نذكر هنا بعض الأمور التي أثارها معاوية في رسالته التي وردت الإشارة إليها في أشعار كعب بن جعيل والنجاشي، فلا حظ ما يلي:

أربعة أشهر في الشام:

ذكرنا فيما سبق: أن هذا الإبطاء الذي اعتمده جرير، ومقامه بالشام مدة أربعة أشهر، قد مكنت معاوية من استمالة أقطاب مؤثرين في مسار الأمور، ومن تجييش الناس في الشام وفي سائر البلاد التي يمكنه الوصول إليها لحرب علي «عليه السلام». وهذا ما كان يخشاه الأشر من جرير..

ولكن بالرغم من ذلك، فإن إرسال جرير إلى الشام كان هو المتعين، لأن الحرب بين علي «عليه السلام» وبين معاوية واقعة على كل حال.. ولكنه «عليه السلام» كان يريد أن لا يفسح المجال أن يتوهم أحد أن طريقة التعامل مع معاوية كانت قاسية، ومثيرة، وأن الرفق به كان هو الأمثل والأفضل، مما يعني: أن يثور في البين احتمال آخر، مفاده: أن علياً «عليه السلام» ليس بريئاً من تبعات الحرب إذا وقعت، بل هو يتحمل بعضاً من مسؤولية سفك تلك الدماء.

لولا دم عثمان لكان علي كالخلفاء قبله:

كان معاوية يعرف: أن علياً «عليه السلام» يأخذ على أبي بكر

وعمر وعثمان بأن خلافتهما غير شرعية، لأن أبا بكر أخذ الخلافة بالقوة والقهر، حتى لقد ضربت الزهراء «عليها السلام» في هذا السبيل، وأسقط جنينها، واقتحموا عليها دارها، وحاولوا إحراقه عليها وعلى ابنيها الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة «عليهما السلام».. وقد خالفه بنو هاشم، وقسم كبير من الأنصار، وبعض من المهاجرين أيضاً.

أما خلافة عمر، فكانت بوصية من أبي بكر فتأخذ حكمها.

وأما خلافة عثمان، فكانت بتدبير من عمر، وقد تمت تحت وطأة التهديد بالقتل، لكل من خالف من أعضائها رأي عبد الرحمان بن عوف..

أما خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد تمت بإجماع المهاجرين والأنصار عليه، بعد أن امتنع «عليه السلام» من قبولها، وبقوا أياماً كثيرة يحاولون إقناعه.

كما أنها كانت قد سبقتها بيعة أخرى منهم له «عليه السلام» في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبأمر من الله، وبتدبير من رسوله، وهي المعروفة ببيعة الغدير. فكرست إمامته، وحقه في الخلافة.. بالإضافة إلى نصوص أخرى من الله ورسوله حصرت الأمر فيه «عليه السلام».

فلا معنى لمقايسة البيعة لعلي «عليه السلام» بالبيعة لأبي بكر وعمر وعثمان، فإنهم قد قهروا الناس على البيعة لهم، وتهددوا،

وضربوا، وأهانوا، وأشاعوا الأباطيل، وقتلوا من أجل ذلك الناس حتى بايعوهم، بعد امتناع استمر أياماً كثيرة..

كما أن المهاجرين قد أجمعوا على البيعة لـعلي «عليه السلام»، ولكنهم اختلفوا في البيعة لأبي بكر وغيره، ولم يرض قسم كبير منهم بها.

ويبدو أن معاوية أراد بكلامه هذا:

أولاً: إيذاء علي «عليه السلام» بالتنويه بمن أخذ حقه، وغلبه على أمره، وهاجم بيته، وضرب زوجته، وأسقط جنينها.. و.. و..

ثانياً: إنه يريد أن يتجاهل الإجماع، إجماع المهاجرين والأنصار على البيعة لأمير المؤمنين «عليه السلام»..

ثالثاً: إنه يريد التوطئة لاتهام علي «عليه السلام» بدم عثمان، أو بحماية قتلته، أو السكوت عنهم..

رابعاً: إنه يريد أن لا يلتفت الناس إلى خذلانه هو لعثمان، ليجعل من قتله ذريعة للوصول إلى أغراضه..

الإغراء.. والتخيل:

وغاية ما استطاع معاوية أن يقوله هنا حول عثمان: هو أن علياً «عليه السلام» أغرى به وخذل عنه، متجاهلاً أن علياً «عليه السلام» حاول أن يدفع عن عثمان في البداية، ولكن عثمان كان يَعدُّ ويخلف. كما أنه حين حوَّصر بعث «عليه السلام» ولديه ليدفعا عنه، فردهما

عثمان إليه، فاعتزل أمره.

وقد صرح الشاب الشامي، وهو حفيد الأخنس بن شريق باعتزال علي «عليه السلام»، فقال:

فأما علي فاستغاث ببيته فلا أمر فيها ولم يكن ناهيا
وسياتي تصريحات أخرى بهذا المعنى لأشخاص آخرين في
العديد من المناسبات، والأشعار.

كما أن علياً «عليه السلام» قد صرح في كتابه لمعاوية: بأنه قد
اعتزل أمر عثمان.

وقد تقدم: الحديث حول ذلك في بعض الفصول.

وتقدم أيضاً: أن عثمان استغاث بمعاوية.

فلم ينجده، بل أمر الجند الذين بعثهم باتجاه المدينة بالتلوم في
الطريق، وحظر عليهم الوصول إلى المدينة..

أما المهاجرون والأنصار، فلم يكونوا بحاجة إلى تحريك أحد
لهم، فقد كانوا من أشد الناس على عثمان، وهم الذين أرسلوا إلى
الأقطار، فاستقدموا الناس إلى المدينة بهدف الإعتراض على عثمان،
والطلب إليه أن ينصفهم، فلم يستجب لهم، بل كان يسعى للبطش بهم..
فكان هو الذي أعانهم بذلك على نفسه..

ولكن معاوية، حين كان يغري أهل الشام بقتال علي «عليه
السلام» كان يصور لهم: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل

عثمان.. وليس فقط أغرى به هذا، وثبط عزيمة ذاك عن نصرته.. فراجع على سبيل المثال طريقة معاوية في تحريك شرحبيل بن السمط ضد علي «عليه السلام»..

أهل الشام يقاتلون علياً ×:

ويلاحظ أيضاً: أن معاوية يحاول التملص من مسؤولية إعلان الحرب على علي «عليه السلام»، فيدعي أن أهل الشام هم الذين قرروا الحرب، إلا إذا سلمهم علي «عليه السلام» قتلة عثمان.. مع أن أهل الشام ومعهم معاوية نفسه ليسوا أولياء دم عثمان.. كما أن هذا النوع من الإدعاء يستبطن ادعاء: أن أهل الشام هم الذين يقررون الحرب والسلام، وليس معاوية. وهم الذين يقتصون من القاتل.. أي أنهم يدعون لأنفسهم الحاكمية على الأمة، والولاية على الناس.

ولا ندري لماذا لم يدعوا لأنفسهم أيضاً: أن لهم هم حق نصب وعزل الخلفاء، وإليهم ينتهي أمر بعثة الأنبياء، ونصب الأوصياء، و...؟!..

أبيات كعب بن جعيل:

أما أبيات كعب بن جعيل فهي:

1 - تنضح بالحقد والكراهية ويتجلى فيها السعي الحثيث لتفريق الناس وتمزيقهم على أساس فئوي، واستجابة لعصبيات مناطقية، أو

عشائرية بغیضة، یقتها الإسلام، ویرفضها العقل السليم، فهو يتحدث عن تسويق كراهة الناس لبعضهم بعضاً لمجرد كون هذا من العراق، وذلك من الشام..

2 - بالإضافة إلى أنه یلمح إلى أنه لا یأبی، بل هو یرضی برمي الآخرين بما ليس فيهم، ولو على سبيل المقابلة بالمثل. الأمر الذي یفتح أبواب الافتراء والتجني، ویفسح المجال للتخلي عن المعايير والضوابط الدينية والأخلاقية..

3 - إنه یعتبر دعوة أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم للتخلي عن إذكاء روح الفتنة، والدخول في نظام الأمة، وفقاً لأحكام الشرع والدين - یعتبرها - دعوة عراقية، وليست دعوة إسلامية، ولا إنسانية.. وهذا الأمر خطير جداً، فإن إلباس الدين لباس العصبية المناطقية والعشائرية، یفقد روحه المعنوية، وینزع عنه قداسته، ویسقط حرمة، ویسهل على الناس امتهانه، وتجاهل أحكامه، والتخلي عن الالتزام به، وعن الدعوة إليه..

وهذا من أهم الأسواء التي جاء بها خصوم أمير المؤمنين «عليه السلام»، حين ربطوا الدين بالشخص والعشيرة، بدل أن یكون شرعاً إلهياً مقدساً یرعی إنسانية الإنسان من أي عرق، ومن أي لون، أو فئة، أو بلد كان.

4 - فكان من نتائج ذلك: أن صار الناس ینتهكون أحكام الدين بحجة أنها طريقة علي «عليه السلام» ونهجه، أو أنها جزء من دعوته،

ومن سلوكه..

ولأجل ذلك يؤكد كعب بن جعيل في شعره المتقدم: على أن دعوة أمير المؤمنين «عليه السلام» لهم إلى امتثال حكم الله فيما يرتبط بالبيعة، دعوة لهم إلى أن يدينوا له كشخص أو كقناة ترتبط بمنطقة.. وليست دعوة إلى الإلتزام بحكم الله سبحانه.. وإلى لم الشعث، والمساهمة في سلامة وسلام المجتمع الإيماني والإسلامي. وفي تكوين الأمة، وحفظ نظامها..

5 - ومعنى هذا: أن النظرة قد أصبحت على درجة كبيرة من الإنحراف عن خطها، وأنها قد فقدت الرؤية الشمولية، لتصبح نظرة ضيقة محدودة، ومتوقعة في داخل صومعة الجانب الحيواني من الشخصية الإنسانية، التي سجت نفسها في حدود صورة الشخص، الأهوائية، والحيوانية، ووضعته في قفص العصبية والمشاعر المعزولة عن الحياة..

وبذلك تكون قد فقدت حيوتها، باستبعادها أهم عنصر في التكوين الإنساني العام، لأنها لم تعر الشخصية الإنسانية بما لها من خصائص مكونة لها أي اهتمام أو رعاية.. بل اعتبرتها غير موجودة من الأساس، فكان أن أصيبت بالضمور المتواصل إلى أن فقدت معالمها وتلاشت لصالح التمحض في الجانب الحيواني الأعمى..

6 - ثم يتابع كعب بن جعيل فيشير إلى أن كل فريق أصبح يسر بما عنده، ويرى غث ما في يديه سميناً.. وكأنه يتبجح بهذا الأمر.

ويعتبره مبرراً لرفض ما يعرضه عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام».

وإن من أخطر الأمور: أن يصل الأمر ببعض الناس إلى أن يروا الحق باطلاً، والباطل حقاً، وأن يروا الغث سميناً، وأن يصبحوا مصداقاً لقوله تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (1).

7 - إنه قد افتري على علي «عليه السلام» حين اتهمه بأنه:

ألف: قد ضم إليه الذين أحدثوا في المدينة - على حد تعبيره - بقتلهم عثمان..

ب: إنه «عليه السلام» أثر أهل الذنوب على الأبرياء.

ج: إنه رفع القصاص عن مستحقيه.

د: إنه إذا سئل عن هذا الأمر توسل بالشبهات، وعمى الجواب على السائلين..

هـ: إنه «عليه السلام» حين سئل عن قتل عثمان أجاب: ما ساءني ولا سرنني. وأنه لم يأمر ولم ينه..

مع أن هذا غير معقول - بزعم هذا الشاعر - إذ لا بد أن يكون قتل عثمان قد ساءه أو سره.. أو أمر به، أو نهى عنه.. وهذا معناه: أنه

(1) الآية 103 و 104 من سورة الكهف.

«عليه السلام» لم يكن - والعياذ بالله - صادقاً ولا صريحاً في إجاباته..

ونقول:

لقد خاب كعب بن جعيل فيما حاول التشبث به، فإنه إنما تشبث بما هو أوهى من الطحلب، أو بما هو أوهن من بيت العنكبوت (1).

ولتوضيح ذلك لاحظ ما يلي:

أولاً: ليتهم يستطيعون تحديد قاتل عثمان بالإسم.. فقد قتل طلحة والزبير نحو ألف شخص في البصرة، قبل وصول علي «عليه السلام» إليها، كانوا يدعون أن أكثرهم من قتلة عثمان.. وقد قُتل في حربهم علياً «عليه السلام» عشرات الألوف، وكان طلحة هو قائد المهاجمين لعثمان، وكان الزبير من المحرضين عليه، وكانت عائشة قد حكمت بكفره، وأمرت بقتله، وعمرو بن العاص يقول: إنه كان من أهم المتسببين بقتله، والمحرضين عليه، وقد قال حين بلغه قتله كلمة سارت بها الركبان: أنا أبو عبد الله، إذا نكأت قرحة أدميتها (2).

(1) إن بيت العنكبوت أوهن البيوت، ولكنه قد لا يكون أوهن الأشياء حتى لو لم تكن بيوتاً، فيصح قولنا: الشيء الفلاني أوهن من بيت العنكبوت. ولو نوقش في ذلك، فلا ضير في هذا التعبير على سبيل المبالغة التي هي من الأساليب العربية المقبولة.

(2) راجع: بحار الأنوار ج 31 ص 290 و 291 عن الثقي، والواقدي، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 144 وج 6 ص 291 وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج 3 ص 558 والوافي بالوفيات ج 17 ص 101

وكان المصريون أيضاً قد شاركوا في قتل عثمان، وهؤلاء كلهم وأولئك لم يكونوا في جيش علي «عليه السلام»، ولا ضمهم علي إليه، ولا آثرهم علي من سواهم.

ثانياً: لقد أجاب «عليه السلام» عن هذا الكلام كرات ومرات، وقد طالبهم بأن يأتي أولياء عثمان وليدعوا عنده على أشخاص بأعيانهم أنهم قتلوا عثمان. فإذا ثبت أنهم هم القتلة، فإنه سوف يجري حكم الله فيهم.. بلا ريب.

ثالثاً: لو أنه «عليه السلام» أراد تسليم قتلة عثمان لأحد من الناس، فلمن يريدون تسليمهم؟! هل يريدون تسليمهم لأهل الشام أو لمعاوية؟!!

ولماذا يسلمهم إلى هؤلاء، لا إلى أبناء عثمان نفسه؟! ولماذا لمعاوية

والنصائح الكافية ص 58 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج 3 ص 918 و 919
ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، والكامل في التاريخ ج 3 ص 163
وأنساب الأشراف ج 5 ص 74 و (ط مؤسسة الأعلمي) ص 283 والقول
الصراح في البخاري وصحيحه الجامع للأصبهاني ص 223 والغدير ج 2
ص 135 و 153 ج 9 ص 138 و 139 وأعيان الشيعة ج 1 ص 442 والحجة
على الذهاب إلى تكفير أبي طالب ص 232 وتقريب المعارف ص 283
وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 11 ص 214 و ج 26 ص 543 وتاريخ
مدينة دمشق ج 39 ص 426 و ج 55 ص 28 ونهج السعادة ج 2 ص 68
وتاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن إبراهيم حسن ص 235.

لا إلى أي كان من سائر الناس؟! ولماذا لأهل الشام، وليس لأهل العراق،
أو اليمن؟!!

وما الذي جعل لأهل الشام الحق في تسلمهم، ولم يكن هذا الحق
لأهل الحجاز، أو العراق، أو اليمن، أو مصر، أو.. أو..؟!
ولماذا لا يعطون الحق لعلي نفسه بأن يقتص من القتلة، مع أنه
الإمام والحاكم الذي له الحكم والتنفيذ؟!!

وهناك أجوبة كثيرة أخرى سلفت في هذا الكتاب فلا نعيد.

رابعاً: بالنسبة لقول علي «عليه السلام»: إنه لم يأمر بقتل عثمان
ولم ينه عنه، نقول:

أي غرابة في ذلك!! فإن أغلب الناس كان هذا حالهم، فإنهم لم
يأمرُوا بقتل عثمان، ولم ينهاه عنه.

وقد قال «عليه السلام» في إحدى رسائله لمعاوية: إنه اعتزل
أمر عثمان.

وقال حفيد الأحنس بن شريف في أبياته المتقدمة:

وأما علي فاستغاث ببيته فلا أمر فيها ولم يك
ناهياً

وسياتي موارد أخرى يصرحون فيها باعتزال علي «عليه
السلام» أمر عثمان، فإن ذلك كان شائعاً، بل كان من المسلمات.

ومعنى هذا: أن كعب بن جعيل قد حاول تزوير الحقائق، وخداع

الناس فيما ينسبه إلى علي «عليه السلام».

وهكذا يقال بالنسبة للمسرة والمساءة، فإن الناس كانت لهم مؤاخذات على عثمان وعماله، ولم يستجب لمحاولات أمير المؤمنين «عليه السلام» إصلاح الأمر، بل كان يعطيه ويعطيهم العهود على المنبر، ثم ينقض عهوده، ويذهب باتجاه إعداد العدة للبطش بهم..

وبعد أن استعصى الأمر، وطلب هو من أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يدعه وشأنه، وأن يذهب لمعالجة زراعته، وتدبير حوائطه.. ثم رفض أيضاً مساعدة أبنائه، وأرجعهم إليه.. يئس علي «عليه السلام» منه.. كما أنه ويئس أيضاً من استجابة الناس له في التراجع عن مطالبهم، وظهر لكل أحد أن عثمان هو الذي يعرض نفسه للبلاء، ويساعدهم على نفسه.. لم يعد هناك مجال للأسف على شيء، ولا للإستياء من شيء، ولماذا يستاء علي «عليه السلام» من أمر رضىه عثمان لنفسه، وألقى نفسه فيه.. ولا يستجيب لأي عمل إصلاحي من أهل الصلاح والإصلاح!؟

ولماذا يسره قتله أيضاً، وهو يعلم أن قتله بهذه الطريقة سوف يجر الكثير من العناء والبلاء، فإن طلاب اللبانات - ومنهم معاوية وطلحة والزبير، وعائشة وابن العاص، ومروان، وسواهم ممن ساعد على قتل عثمان - سيتخذون قتله ذريعة للفساد والإفساد والتجني على الأبرياء والعبث بمصير الأمة، وهذا هو ما يحزن علياً «عليه السلام»..

وبذلك يظهر: معنى قوله «عليه السلام» عن قتل عثمان: «ما ساءني، وما سرني».

المعتزلي يفضل أبيات ابن جعيل:

وقد تقدم كلام لابن الحديد المعتزلي في تفضيل شعر كعب ابن جعيل على شعر النجاشي..

ونحن نوافق المعتزلي على قوله: إن شعر ابن جعيل أخبث مقصداً..

ولكننا نتحفظ على كلمة «أخبث»، فإنها قد تشير إلى أن أبيات النجاشي أيضاً شيئاً من الخبث.. وهذا غير صحيح، لأن أبيات النجاشي فيها كل صدق وصرامة وإخلاص..

أما أبيات كعب بن جعيل، ففيها تزوير وتضليل، وفساد وإفساد، وعصبية، وتجن واقتراء، وتعمد للباطل، وتكريس لمفاهيم الجاهلية، فأبيات خيرة وحسن فيها كما يزعم ابن أبي الحديد المعتزلي؟!!

ويكفي شعر النجاشي حسناً: أنه أقام الحجة على الأعداء بفضائل علي «عليه السلام»، وأعلن أنه «عليه السلام» فيه أربع خصال لا نظير لها:

فهو أول الناس بعد الرسول.

وهو صنوه دون العالمين.

وهو صهره.

وهو الذي لا نظير له في مواقف التضحية والجهاد.

الفصل العاشر:

يعزله علي × ..
ويبايعه أهل الشام..

كتاب عزل معاوية:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «ويروى أن الكتاب الذي كتبه «عليه السلام» مع جرير كانت صورته:

إني قد عزلتك، ففوض الأمر إلى جرير والسلام.

وقال لجرير: صن نفسك عن خداعه، فإن سلم إليك الأمر، وتوجه إليّ فأقم أنت بالشام، وإن تغل بشيء، فارجع.

فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تغل بمشاورة أهل الشام، وغير ذلك، فرجع جرير.

وكتب معاوية في أثره في ظهر كتاب علي «عليه السلام»: من ولاك حتى تعزلني؟! والسلام»(1).

ونقول:

(1) بحار الأنوار ج32 ص394.

هذا الكتاب:

يبدو لنا: أن هذا الكتاب قد أرسله «عليه السلام» بعد أن ظهر أن معاوية يماطل ويتأمر، ويتهياً للمواجهة والقتال.. ولعله «عليه السلام» أرسله إليه حين كان جرير لا يزال بالشام.

وذلك بعد أو مع رسالته الأخرى التي يقول فيها لجرير: «فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، [واحنقه بالجواب]. ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم مُحظية الخ..».

مع احتمال أن يكون قد أرسل معه من أول الأمر عدة كتب تتلاءم مع جميع الاحتمالات والحالات، فلكل حالة موقف يناسبها. وقد بين «عليه السلام» ذلك لجرير فيما أوصاه به. فلم يعد ذلك الرسول بحاجة إلى الرجوع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في الكوفة، لأن كل الأدوات معه كما هو ظاهر.

وصايا علي × لجرير:

وقد تضمن هذا النص وصيتين لجرير، تدلان على ما يلي:

ألف: إنه «عليه السلام» كان عارفاً بمعاوية، وأحواله، إلى حد أنه يستطيع أن يتوقع تصرفاته، وأن يخطط لإبطال مكائده، ويبادر إلى إجراءات وقائية منها.

ب: إن هذا يعطي نموذجاً عن الحاكم المسلم، ولزوم أن يكون عارفاً بالناس، وبأخلاقهم، وحالاتهم.

ج: إن علي الحاكم أن يكون قادراً على استشراق المستقبل، وعلى توقع ما سيجري.

د: إنه يعطي ضرورة التعاطي العملي مع تلك التوقعات، ووضع الخطط لمواجهةها، ومباشرة تنفيذها.

ه: إنه «عليه السلام» لم يدع رسوله عاجزاً عن التصرف، محتاجاً إلى التماس التوجيه منه، في الحالات التي تحتاج إلى قرارات حاسمة وفورية.

جرير عصى علياً X:

1 - صرح هذا النص: بأن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قال جرير بن عبد الله البجلي، «فإن سلم إليك الأمر، وتوجه إليّ فأقم أنت بالشام، وإن تعلل بشيء، فارجع».

وقد تعلل معاوية بأشياء، وماطل جريراً، وصار يجمع الرجال، ويسعى لاستمالة الرؤساء، ويشيع أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل عثمان، طيلة مئة وعشرين يوماً، وكان جرير يرى بأمر عينيه، ويسمع بأذنيه كل ما يجري، ولم يحرك ساكناً، ولم يرجع إلى علي «عليه السلام» إلا بعد أن استوفى معاوية استعداداته، وحشد الناس حوله، وأمره هو بالخروج بنحو لا يخلو في ظاهره من المهانة والإهانة، فرجع حينئذ!!

وهذا يؤكد ما ذكرناه عدة مرات: من أن جريراً كان من حزب

معاوية ومن محبيه، لا من حزب علي «عليه السلام» ومواليه.
 2 - قد أظهر ما قلناه عدم صحة ما ذكره هذا النص، من أنه «لما
 عرض جرير الكتاب على معاوية، تعلل بمشاورة أهل الشام، وغير
 ذلك، فرجع جرير الخ..».

من ولاك حتى تعزني؟!:

والأغرب والأعجب هنا: جواب معاوية لعلي «عليه السلام»
 بقوله: من ولاك حتى تعزني؟! ففي هذا الجواب وقاحة ظاهرة، فإن
 ولاية علي «عليه السلام» منصوص عليها في القرآن الكريم، وثابتة
 بنص النبي «صلى الله عليه وآله» عليه مرات وكرات، وبيعة يوم
 الغدير..

وهي ثابتة أيضاً ببيعة المهاجرين والأنصار له، وإجماعهم عليه
 إلا من الطلقاء والمنافقين، وبقايا الأحزاب الذين ليس لهم شأن في هذا
 الأمر.

على أن هذا السؤال يجب أن يوجه إلى معاوية، فيقال له: من
 الذي ولاك حتى تحتاج إلى عزل؟! فإن الذي ولاك لا شرعية
 لخلافته، ولا أثر لتصرفاته، لأنه معتد على غيره، وغاصب، بل هو
 قد ارتكب جرائم وعظائم في سبيل الحصول على الخلافة. وما جرى
 على الزهراء «عليها السلام» خير شاهد على ما نقول.

بيعة أهل الشام لمعاوية:

قال المنقري: وفي حديث عثمان بن عبيد الله الجرجاني قال: بويع معاوية على الخلاف، فبايعه الناس على كتاب الله وسنة نبيه، فأقبل مالك بن هبيرة الكندي - وهو يومئذ رجل من أهل الشام - فقام خطيباً وكان غائباً من البيعة، فقال: «يا أمير المؤمنين، أخدمت هذا الملك، وأفسدت الناس، وجعلت للسفهاء مقالاً. وقد علمت العرب أنا حي فعال، ولسنا بحي مقال، وإنا نأتي بعظيم فعالنا على قليل مقالنا. فابسط يدك أبايعك على ما أحببنا وكرهنا».

فكان أول العرب بايع عليها مالك بن هبيرة.

وقال الزبرقان بن عبد الله السكوني:

معاوي أخدمت الخلافة بالتي	شرطت فقد بوا لك الملك مالك
ببيعة فصل ليس فيها غميمة	ألا كل ملك ضمه الشرط هالك
وكان كبيت العنكبوت مذبذبا	فأصبح محجوبا عليه الأرائك
وأصبح لا يرجوه راج لعله	ولا تنتحى فيه الرجال الصعالك
وما خير ملك يا معاوي مخدج	تجرع فيه الغيظ والوجه حالك
إذا شاء رده السكون وحمير	وهمدان والحي الخفاف

السكاسك(1)

(1) صفين للمنقري ص 80 و 81 والغدير ج 10 ص 315.

الرجل المقتنع:

روى نصر: عن صالح بن صدقة، عن ابن إسحاق، عن خالد الخزاعي وغيره عن عمن لا يتهم، أن عثمان لما قتل وأتى معاوية كتاب علي بعزله عن الشام خرج حتى صعد المنبر، ثم نادى في الناس أن يحضروا، فحضروا المسجد، فخطب الناس معاوية، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه «صلى الله عليه وآله» ثم قال:

«يا أهل الشام، قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وخليفة عثمان وقتل مظلوماً، وقد تعلمون أنني وليه، والله يقول في كتابه: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا) (1)، وأنا أحب أن تعلموني ما في أنفسكم من قتل عثمان».

قال: فقام كعب بن مرة السلمي وفي المسجد يومئذ أربعمئة رجل أو نحو ذلك من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «والله لقد قمت مقامي هذا وإنني لأعلم أن فيكم من هو أقدم صحبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مني، ولكني قد شهدت من رسول الله مشهداً لعل كثيراً منكم لم يشهده».

وإنا كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» نصف النهار في يوم شديد الحر، فقال: «لتكونن فتنة حاضرة».

فمر رجل مقتنع، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هذا

(1) الآية 33 من سورة الإسراء.

المقنع يومئذ على الهدى.

قال: ففقت فأخذت بمنكبيه وحسرت عن رأسه، فإذا عثمان، فأقبلت بوجهه إلى رسول الله، فقلت: هذا يا رسول الله؟! قال: «نعم».

فأصفق أهل الشام على معاوية، وبايعوه على الطلب بدم عثمان أميراً لا يطمع في الخلافة، ثم الأمر شورى (1).

بايعوه على ألا يطمع في الخلافة:

ولست أدري كيف رضي معاوية بأن يشترطوا عليه أن لا يطمع في الخلافة، والخلافة هي كل همه، ولأجلها أدخل نفسه في حربه وسلمه؟!!

إلا إن كان يريد التوصل إلى ذلك بصورة تدريجية، وهكذا كان، إذ ما أسرع ما نكث عهده، وأخلف وعده، فتسمى بأمرير المؤمنين، وأعلن نفسه خليفة للمسلمين!!

(1) صفيين للمنقري ص 80 و 81 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 93 و 94 وراجع ص 78 وراجع: بحار الأنوار ج 32 ص 369 و 370 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 8 ص 137 وتاريخ مدينة دمشق ج 59 ص 130 والفتوح لابن أعم (ط دار الأضواء) ج 2 ص 509.

التسليم على معاوية بإمرة المؤمنين:

يبدو: أن أطماع معاوية بالتفرد في حكم الشام، وغيرها قد سبقت قتل عثمان، ولكن معاوية، كان يبحث عن وسيلة للجهر بهذه الأطماع، وتكريسها إجراءً عملياً نافذاً في الواقع العملي.. ولعله رأى في قتل عثمان بصيص أمل له للوصول إلى ذلك، فإن قتله - بنظره - سيؤدي إلى الفوضى، وتمزق الدولة الإسلامية .. وسيتمكن هو في خضم الأحداث من فرض ما يصبو إليه على أنه أمر واقع. تماماً كما كان يتوقعه بالنسبة لمصر، وللعراق، وغيره من البلاد. حيث ستوزع بين أهل الأطماع، وسيكون الأكثر حظاً هم الذين يتولونها من عمال عثمان أنفسهم.

وربما كان يفكر بأن الأمر بعد عثمان يدور بين احتمالين:

أولهما: أن يتولى الخلافة بعد عثمان، من لا يتفق مع معاوية، ولا يرضاه، ففي هذه الصورة يستطيع معاوية أن يجعل من قتل عثمان ذريعة للطعن في خلافته، إذا أراد أن يقصيه عن الشام، حيث سيكون بمقدوره أن يضع أمامه العراقيين والمشاكل، التي لا نهاية لها، ولا طاقة له بها..

الثاني: أن يتولى الخلافة أحد الذين يلتقون مع معاوية في النهج، وفي الطموحات، وفي السلوك، وفي العداء لآل أبي طالب.. فإن الإتفاق معه على صيغة ترضي معاوية وبني أمية سيكون ممكناً، ولن يواجه معاوية معه الكثير من المشاكل. لأن معاوية سيكون هو

الأقوى، وسيحتاج ذلك الخليفة إلى موافقته ورضاه..

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الدور الذي اضطلع به طلحة والزبير وعائشة في قتل عثمان، وأن أهل مصر وأهل العراق قد تربوا على أيدي المنحرفين عن علي «عليه السلام»، ولم يكن لعلي «عليه السلام» في عهد الذين تولوا الخلافة قبله نشاط ظاهر في تلك البلاد، بل كان أكثر الناس فيها لا يعرفون عنه إلا أنه ابن عم النبي «صلى الله عليه وآله» وزوج ابنته.. فإن المفروض: هو أن يكون توليه للخلافة أبعد شيء عن ذهن بني أمية ومعاوية، وكل من هم على شاكلتهم، ولا سيما مع اعتزاله. وعدم مشاركته فيما يجري من أحداث..

ولكن الأمر الذي لا يمكن تصوره لهم: هو هذا الإجماع الساحق على البيعة له «عليه السلام». والأهم من ذلك: امتناعه «عليه السلام» من قبول ذلك منهم..

ثم زاد على ذلك: أنه بقي أياماً عديدة مصراً على هذا الامتناع، وهم يصرون عليه بالقبول..

ولأجل ذلك نلاحظ: أنه بالرغم من أن الحجاج بن خزيمة قد خاطب معاوية بإمرة المؤمنين. وقد افتخر الحجاج على أهل الشام بذلك (1).

وبالرغم من أن معاوية قد حقق ما تمناه من قتل عثمان. فإنه قد

(1) صفين للمنقري ص 80 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 93.

وقع في الحيرة والهم والغم، كأشد ما يكون، لأنه لم يكن يظن: أنه سيواجه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وقد ضاق [صدراً] بما أتاه، وندم على خذلانه عثمان. وقال معاوية حين أتاه قتل عثمان:

أتاني أمر فيه للنفس غمة وفيه بكاء للعيون طويل
 وفيه فناء شامل وخزاية وفيه اجتداع للأنوف أصيل
 مصاب أمير المؤمنين وهدية تكاد لها صم الجبال تزول
 فله عينا من رأى مثل هالك أصيب بلا ذنب وذاك جليل
 تداعت عليه بالمدينة عصابة فريقان منها قاتل وخذول
 دعاهم فصموا عنه عند جوابه وذاكم على ما في النفوس دليل
 ندمت على ما كان من تبعي الهوى وقصري فيه حسرة وعويل
 سأنعى أبا عمرو بكل مثقف ويبيض لها في الدار عين صليل
 تركتك للقوم الذين هم هم شجاك فماذا بعد ذاك أقول
 فلست مقيما ما حييت ببلدة أجر بها ذيلي وأنت قتيل
 فلا نوم حتى تشجر الخيل بالقنا ويشفى من القوم الغواة غليل
 ونطحهم طحن الرحي بثقالها وذاك بما أسدوا إليك قليل
 فأما التي فيها مودة بيننا فليس إليها ما حييت سبيل
 سألقحها حربا عوانا ملحة وإني بها من عامنا
 لكفيل(1)

(1) صفين للمنقري ص 79 و 80 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 92 و 93 وراجع: الفتوح لابن أعمش ج 2 ص 266 و (ط دار الأضواء) ج 2

الشرط الذي أفسد الملك:

إن مالك بن هبيرة قد اتهم معاوية: بأنه حين بايع الناس له قد أدخل في البيعة شرطاً أدخل النقص في الخلافة والملك، وأوجب فساد الناس..

ثم بايعه بيعة على شرط آخر، رأى أنه يزيل هذا النقص، ويمنع من ذلك الفساد..

وقد يقال: لم يتضح لنا المراد من الشرط الذي أوجب النقص والعيب في الخلافة، وأوجب فساد الناس؟!!

وما هو الشرط البديل الذي أوجب الكمال في الملك، والصلاح في الناس؟!!

والجواب:

إننا إذا رجعنا للنص من جديد، وقلبناه ظهراً لبطن، فلن نجد سوى شرط واحد أسقط، وشرط واحد بديل له، فالذي أسقط هو شرط العمل بكتاب الله وسنة نبيه، وهو شرط وضع على معاوية.. والذي أضيف بدلاً عنه هو شرط الطاعة فيما أحب الناس وكرهوا.. وهو شرط موضوع على الناس..

وقد رضي معاوية بإسقاط ذاك، وإطلاق يده، ووضع هذا..

ورضاه وسكوته هذا تصديق منه لما زعمه مالك بن هبيرة من أن الشرط الأول يعيب الملك، ويفسد الناس، والشرط التالي كمال وصلاح لهما..

وهذا من أعظم المحن والكوارث.. أن يصبح العمل بسنة الله ورسوله نقصاً وفساداً.. والعمل بالهوى والجبرية والظلم والقهر، وحمل الناس على قتل أوصياء الأنبياء، وسفك دماء المسلمين كمالاً وصلاًحاً..

إن غاية ما يتمناه معاوية: هو أن تطلق يده في الحكم، ولا يقيد شرع ولا دين، ولا أي شيء آخر. وأن يسلب من الناس كل الناس حق الاعتراض عليه، بل حق السؤال ولو استفهاماً عن مبرر وعن شرعية أي شيء يقدم عليه، مهما كان عظيماً وجسيماً، وهائلاً..
ولا يُلذَّ له إلا أن يرى الناس عبيداً لهواه، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً؟!!

بل إن الشعر الذي قاله مالك بن هبيرة يظهر: أنه يريد أن يكون معاوية معبوداً لهم، وربهم الأعلى.. تماماً كما ادعاه فرعون لنفسه من قبل.

خليفة عمر وعثمان:

أما خطبة معاوية في أهل الشام حين بلغه بيعة الناس لأمير المؤمنين فقد تضمنت أموراً عديدة، تقوم كلها على أسس باطلة، نذكر

منها:

ألف: إنه أراد أن يؤكد موقعه فيهم بتذكيرهم بأن الذي ولاه عليهم هو عمر بن الخطاب، الذي تحدثنا عن مدى نفوذه في العرب، بسبب سياساته التي كرست لهم الإمتيازات الكبرى على حساب سائر الأمم في النواحي: السياسية والاجتماعية، والمالية، وفي كل شيء، حتى في الشريعة والأحكام..

وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق، فأصبح قول عمر وفعله في العرب كالشرع المتبع.. بل كانوا يقدمون قوله وفعله حتى على قول وفعل الرسول، وعلى النص القرآني الكريم..

وشتان بين ما فعله عمر بتولية معاوية، وإطلاق يده، وبين موقف علي «عليه السلام» منه، حيث يرى أن معاوية من المضلين قال: **(وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)**(1).

ب: ثم ادعى: أن عثمان قتل مظلوماً.. مع أنه قتل بمرأى ومسمع، وبرضى ومشاركة، أو سكوت عامة المهاجرين والأنصار..

ج: ثم ادعى أنه ولي دم عثمان، وأن الله سبحانه قد جعل لولي الدم الحق في الإقتصاص، مع أن ولي دم عثمان هم أبناؤه.. وليس معاوية..

د: وبعد أن وطأ الأمور لنفسه بهذه الطريقة، وحسمها لصالحه

(1) الآية 51 من سورة الكهف.

تكرم على أهل الشام بأن منحهم حق التعبير عن مشاعرهم تجاه قتل عثمان فقط، دون سائر القضايا.. لأنه كان يعلم أنهم سوف لا يتجاوزون الغرض الذي يرمي إليه..

التشويش في خبر كعب بن مرة:

وقد تقدم: أن كعب بن مرة قام في المسجد، وفيه أربع مئة من صحابة الرسول «صلى الله عليه وآله»، فقال: الخ..

ولا شك في أن هذا لا يستقيم، فإنه إن كان قد قال ما قال أمام معاوية في الشام، فلا شك في أنه لم يكن عند معاوية هذا العدد من الصحابة.. لا أربع مئة، ولا أربعون، ولا أربعة عشر. ولو كان عند معاوية نصف أو ربع أو خمس أو حتى نصف عشر الأربع مئة لتبجح وتباهى بهم إلى ما شاء الله، وكان قد ذكرهم في أكثر رسائله التي أرسلها إلى علي «عليه السلام»، وإلى البلاد والعباد.. وكان مناصروه قد ملأوا الدنيا ضجيجاً وعجيجاً، ولألفوا في أسمائهم الكتب، أو عقدوا لها الفصول، وكانوا قد أقاموا الندوات الخطابية، والمؤتمرات، وأسهبوا في ذكر فضائلهم، ووصف أحوالهم..

إلا أن يقال: إن في الرواية سقطاً، وإن الأصل هو أن كعب بن مرة قد روى لهم: أنه دخل المسجد على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي المسجد أربع مئة رجل الخ.. ولعل هذه الفقرة كانت في الحاشية، فأدخلت في الأصل في غير موضعها الذي هي له.

ولكن ليت شعري هل كان المسجد في ذلك الوقت يتسع لأربع
مئة رجل؟!!

هذا المقتنع على الهدى:

ثم إننا لم نعرف السبب في أن عثمان كان مقتنعاً دون سائر الناس
في يوم شديد الحر. فهل كان في مهمة سرية لا يريد أن يعرفه فيها
أحد؟! أم كان لأجل التخفيف من أثر ذلك الحر الشديد عليه؟!
فإن كان الأول، فلماذا بادر كعب بن مرة إلى فضح أمره بالكشف
عن وجهه؟! ألا يعلم عثمان أن تقنعه هذا يغري الناس بملاحقته،
وكشف سره، والتعرف عليه؟!!

وإن كان الثاني، فإن من المعلوم: أن القناع يزيد من الإحساس
بوهج الحر، مع أن عثمان كان في داخل المسجد، ولم يكن في
الشمس، ليجتاح إلى ستر رأسه عنها توقياً من بعض آثارها..

الفصل الحادي

جرير والأشتر..

الأشتر وجريير البجلي:

وروى نصر عن صالح بن صدقة، بإسناده قال:

لما رجع جريير إلى علي كثر قول الناس في التهمة لجريير في أمر معاوية، فاجتمع جريير والأشتر عند علي، فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى من خناقه، وأقام [عنده]، حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلا فتحه، أو يخاف غمه إلا سده.

فقال جريير:

«والله لو أتيتهم لقتلوك - وخوفه بعمرو، وذو الكلاع، وحوشب ذي ظليم - وقد زعموا أنك من قتلة عثمان».

فقال الأشتر:

«لو أتيتهم والله يا جريير لم يعينني جوابها، ولم يثقل علي حملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر».

قال: فانتهم إذاً.

قال: الآن وقد أفسدتهم، ووقع بينهم الشر؟! (1).

أضاف ابن أعثم هنا قوله:

ثم أقبل جرير على علي «عليه السلام»، فقال: والله يا أمير المؤمنين! إن لو قدروا على هذا، أو على محمد بن أبي بكر، أو عمار بن ياسر، أو حكيم بن جبلة، أو مكشوح المرادي لقتلواهم.

ولقد خرجت ذات ليلة من رحلي لحاجة لي، فنظرت إلى غلام من أهل الشام رافعاً صوته وهو يقول أبياتاً من الشعر مطلعها.

**حكيم وعمار الشجا ومحمد
الدواهيا**

والأبيات حسب نص المنقري:

وقد كان فيا للزبير عجاجة
فأما علي فاستغاث ببيته
وقل في جميع الناس ما شئت بعده
خاطي

وإن قلت عم القوم فيه بفتنة
فحسبك من ذاك الذي كان كافيا

(1) صفيين للمنقري ص 59 و 60 وبحار الأنوار ج 32 ص 380 و 381 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 115 و 116 والفتوح لابن أعثم ج 2 ص 404 و 405 و 406 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 522 وراجع: مروج الذهب ج 2 ص 372 و 373 و تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج 3 ص 561 والكامل في التاريخ ج 3 ص 277.

فقولاً لأصحاب النبي محمد
 وأيقتل عثمان بن عفان وسطكم
 وخصاً الرجال الأقربين المواليا
 علي غير شيء ليس إلا تماديا
 فلا نوم حتى نستبيح حريمكم
 ونخضب من أهل الشنان
 العواليا

قال: فقال علي «عليه السلام» ما أخطأ الغلام شيئاً، والله ولي
 عثمان.

فقال الأشر: دعنا يا جرير من أشعار الصبيان، والله إن لو كنت
 مكانك لما ثقل علي جوابهم، ولحملت معاوية وأصحابه علي خطة
 أعجله فيها عن الفكر.

فقال جرير: فلم لا تأتيهم الآن؟!!

فقال: وكيف آتيهم وقد أفسدتهم(1).

وعن ابن مزاحم:

أن جريراً حين خرج يتحسس الأخبار، وسمع الغلام يتغنى
 بالشعر المذكور. قال جرير: يا ابن أخي، من أنت؟!!

قال: أنا غلام من قريش. وأصلي من ثقيف. أنا ابن المغيرة بن
 الأخنس [بن شريق]، قتل أبي مع عثمان يوم الدار.

فعجب جرير من قوله وكتب بشعره إلى علي، فقال علي: والله ما

(1) الفتوح لابن أعم ج 2 ص 404 - 406 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 522
 وصفين للمنقري ص 52 و 55 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 86.

أخطأ الغلام شيئاً⁽¹⁾.

(وجرى بين الأشتر وجرير كلام كثير).

وعن نصر عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعله، عن عامر الشعبي قال: اجتمع جرير والأشتر عند علي، فقال الأشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً، وأخبرتكم بعداوته وغشه؟! وأقبل الأشتر يشتمه ويقول: يا أبا بجيلة، إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان. والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً. إنما أتيتهم لآخذهم يداً بمسيرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم. وأنت والله منهم، ولا أرى سعيك إلا لهم، ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسناك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه، حتى تستبين هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين.

قال جرير: وددت والله أنك كنت مكاني بعثت، إذا والله لم ترجع. قال: فلما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسيا، ولحق به أناس من قَسْر من قومه، ولم يشهد صفيين من قَسْر غير تسعة عشر، ولكن أحمس شهدها منهم سبعمائة رجل.

وخرج علي إلى دار جرير فشعث منها وحرقت مجلسه. وخرج أبو زرعة بن عمر بن جرير، فقال: أصلحك الله، إن فيها

(1) صفيين للمنقري ص55 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص86 و 87 والفتوح لابن أعم ج2 ص404 - 406 و (ط دار الأضواء) ج2 ص522.

أرضاً لغير جرير.

فخرج علي منها إلى دار ثوير بن عامر، فحرقها وهدم منها،
وكان ثوير رجلاً شريفاً، وكان قد لحق بجرير.

وقال الأشرر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمرو، وحوشب
ذي ظليم، وذي الكلاع.

لعمرك يا جرير لَقولُ عمرو
وذي كلع وحوشب ذي ظليم
إذا اجتمعوا علي فخل عنهم
فلست بخائف ما خوفوني
وهمهم الذي حاموا عليه
فإن أسلم أعمهم بحرب
وإن أهلك فقد قدمت أمرا
وقد زاروا إلي وأوعدوني
الكلام (2)

وصاحبه معاوية الشامي
أخف علي من زف النعام (1)
وعن باز مخالبه دوامي
وكيف أخاف أحلام النيام
من الدنيا وهمي ما أمامي
يشيب لهولها رأس الغلام
أفوز بفلجه يوم الخصام
ومن ذا مات من خوف

وقال السكوني:

تطاول ليلى يا لحب السكاسك
لقول أتانا عن جرير ومالك

(1) أي قول هؤلاء: أخف من زف النعام. والزف، بالكسر: صغار ريش النعام.

(2) صفين للمنقري ص 61 والفتوح لابن أعمم ج 2 ص 406 و (ط دار

الأضواء) ج 2 ص 522 و 523 وراجع: مروج الذهب ج 2 ص 373.

أجر عليه ذيل عمرو عداوة
فأعظم بها حرى عليك مصيبة
فإن تبقياً تبقي العراق بغبطة
وإلا فليت الأرض يوماً بأهلها
فإن جريراً ناصح لإمامه
وما هكذا فعل الرجال الحوائك
وهل يهلك الأقبام غير التماحك
وفي الناس مأوى للرجال الصعالك
تميل إذا ما أصبحا في الهوائك
حريص على غسل الوجوه
الحوائك

ولكن أمر الله في الناس بالغ
الشوارك (1)
يحل منايا بالنفوس

والمقصود بالضمير في قوله: وقد كان فيها للزبير عجاجة.. هو
قضية قتل عثمان.

وبعد ما تقدم نقول:

المطلوب هو إبادة الصحابة:

إن معاوية ومن معه من أهل الشام، وسائر الذين رفعوا شعار
الأخذ بثارات عثمان.. لم يكن قصدهم قتل قتلة عثمان على الحقيقة.
بل كان المطلوب: هو قتل أناس آخرين، هم خيار أصحاب رسول الله
«صلى الله عليه وآله» بما فيهم علي «عليه السلام» وعمار «رحمه
الله».

وقد صرح جرير بن عبد الله: بأن أهل الشام لو قدروا على عمار

(1) صفين للمنقري ص 59 - 62.

بن ياسر، والأشتر، وحكيم بن جبلة، والمكشوح المرادي، ومحمد بن أبي بكر لقتلوهم.. هذا فضلاً عن عمرو بن الحمق، وعدي بن حاتم(1).

وهذا ما صرح به أيضاً ذلك الشاب القرشي، وهو ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق في شعره، كما صرح به جرير البجلي:

**حكيم وعمار الشجا ومحمد وأشتر والمكشوح جروا
الدواهيا**

بل هم يريدون قتل جميع أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا من كان أموياً، أو في خط الأمويين، فقد قال حفيد الأخنس في شعره المتقدم:

**فقولا لأصحاب النبي محمد وخصا الرجال الأقربين المواليا
أيقتل عثمان بن عفان وسطكم على غير شيء ليس إلا تماديا
فلا نوم حتى نستبيح حريمكم ونخضب من أهل الشنان
العواليا**

وقد تقدم: أن عائشة صرحت لأخيها أنها كانت تحب أن يقتل. وذلك بعد عقر جملها، وتولي أخيها أمرها بأمر من أمير المؤمنين «عليه السلام».

(1) الفتوح لابن أعم (ط دار الأضواء) ج 2 ص 522 وراجع 445 راجع: صفين ص 65 و 64 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 3 ص 111.

كما أن علياً «عليه السلام» - بعد انتهاء حرب الجمل - قد قال لعائشة: أردت قتلي..

ونحن على يقين، من أن السبب في هذه الرغبة لم يكن هو الثأر لعثمان، بل كان الأمر أبعد من ذلك..

فأولاً: هناك ثارات بدر وأحد، والخندق وحنين، وسواها..

ثانياً: إن هؤلاء الصحابة الأخيار قد نصرُوا الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وكانوا مع وصيه وأخيه، وكان لهم الأثر الكبير في ظهور هذا الدين، وإرغام معاطس الشائنين والمشركين. فهم يريدون الإنتقام منهم لأجل هذا.

ثالثاً: هناك التنافر الطبيعي القائم بين الخير وأهله، وبين الشر وأهله وأعوانه.. فإن أهل الشر والباطل يبغضون الفريق الآخر، ولا يهنأ لهم عيش معهم.. ولا يقر لهم قرار إلا إذا تخلصوا منهم، وقد قال تعالى عن أهل الكتاب: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) (1).

ولأجل ذلك كانت الحروب والعداوات ضد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وضد الأنبياء، والأوصياء، والأبرار الأخيار، من عهد آدم إلى يومنا هذا..

ولكن مشكلة معاوية وحزبه، وجميع أعداء أمير المؤمنين «عليه

(1) الآية 59 من سورة المائدة.

السلام»: أنهم كانوا عاجزين عن التصريح بما يريدون، لأن تصريحهم هذا من شأنه أن يقلب الأمور رأساً على عقب، وأن ينقلب أكثر الناس عليهم.. وأن لا يساعدهم على تحقيق أهدافهم الشريرة، إما تديناً، أو استجابة للإجراجات والضغوطات الإجتماعية..

والشاهد على ذلك: أن معاوية لم يستطع أن يتخلص من عبء قتل عمار بن ياسر، الذي لا يمكن لأحد أن ينكر فضله، وموقعه، إلا بإنكار قتله، ولو بقوله:

«حضت في بولك أنحن قتلناه؟! إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا، أو قال بين سيوفنا» (1).
أو قال: «إنما قتله من أخرجه» (2).

(1) راجع: المصنف للصنعاني ج 11 ص 240 ومسنند أحمد ج 4 ص 199 والمستدرک للحاكم ج 2 ص 156 وج 3 ص 387 والسنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 189 ومجمع الزوائد ج 7 ص 242 والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 268 وبحار الأنوار ج 33 ص 7 و خلاصة عباة الأنوار ج 3 ص 36 و 40 .

(2) صفين للمنقري ص 343 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 601 وبحار الأنوار ج 33 ص 32 و خلاصة عباة الأنوار ج 3 ص 43 والمعياري والموازنة ص 96 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 8 ص 26 وج 20 ص 334 والإحكام لابن حزم ج 7 ص 1022 والبداية والنهاية ج 7 ص 298 والسيرة الحلبية (طدار المعرفة) ج 2 ص 264.

وقد قال ذلك ليخدع أهل الشام..

فلو صرح قبل صفين: بأنه يريد قتل محمد بن أبي بكر، وعمار، وحجر بن عدي، والأشتر، وحكيم بن جبلة، وخيار صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، هل كان يتمكن من جمع من جمعهم لحرب صفين؟!!

ما أخطأ الغلام شيئاً!!:

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أنه لما قرأ أو سمع علي «عليه السلام» الشعر الذي قاله ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق، قال: «ما أخطأ الغلام شيئاً».

ونكاد نجزم: بأن علياً «عليه السلام» لم يقل هذا.. فإن علياً «عليه السلام» لا يوافق على اتهام عمار، والأشتر، وغيرهما بدم عثمان! كما أنه لا يوافق على تخطئة جميع الناس - على حد قول ذلك الشامي - في شأن عثمان!

مع أن أكثر الناس لم يحضروا ما جرى، ولا كان لهم فيه أمر ولا نهي.. إلا إن كان يقصد بجميع الناس الذين كانوا في المدينة منهم.. بل لا يمكن تخطئة جميع أهل المدينة، فإن قسماً كبيراً منهم اعتزل أمره.. ولم يكن له فيه لا أمر ولا نهي..

وهل يوافق «عليه السلام» على قول ذلك الشاب لصحابة الرسول:

فلا نوم حتى نستبيح حريمكم ونخضب من أهل الشنان العواليا

إلا أن يكون المقصود: أن الغلام ما أخطأ شيئاً في روايته لما جرى، حيث ذكر أن طلحة والزبير وكذلك عمار ومن معه قد حرصوا على عثمان.. وأن علياً «عليه السلام» قد اعتزل، ولم يكن أمراً ولا ناهياً فيه..

وإن كنا قد ذكرنا: أن علياً «عليه السلام» لا يرضى باتهام عمار والأشتر بقتل عثمان، وإن كانا من الذين انتقدوه، وخطأوه، وطالبوه بالإقلاع عن خطأه.

أما سائر ما ذكره في شعره من تهديد ووعيد، فليس هو محط نظره «عليه السلام» في التخطئة والتصويب.. لأن هذا لم يرد في سياق الإخبار عن أمر قد حصل.

الأشتر: جرير لا يستحق الحياة:

وقد صرح الأشتر «رحمه الله» في حضور أمير المؤمنين «عليه السلام» بأمور حساسة وخطيرة بالنسبة لجرير بن عبد الله البجلي، ولم نر علياً اعترض عليه أو زجره، أو طالبه بالشاهد والدليل، بل نراه مستمعاً، وشاهداً وناظراً نظر الموافق، والراضي.. فلو كان هناك أدنى شك أو شبهة في كلام الأشتر لما سكت عنه «عليه السلام»..

وهذا يدل:

أولاً: على أن الأشتر كان يعرف غش جرير وعداوته لعلي «عليه السلام»، وقد أخبر علياً «عليه السلام» بذلك قبل إرساله إلى الشام.. ولم تكن تخفى على علي «عليه السلام»، وأن أغضى عن ذلك.

فلو لم تكن دلائل عداوته لعلي «عليه السلام» قد ظهرت للجميع لما وجد الأشتر مبرراً لاتهامه بها. ويبدو أن سبب ذلك: هو أنه لما قتل عثمان كان جرير والياً على همذان، فعزله علي «عليه السلام» عنها، فأثر في قلبه(1).

ثانياً: إنه حكم على جرير: بأنه لم يكن أهلاً لأن يمشي على ظهر الأرض حياً. وكأنه «رحمه الله» يستحل قتل جرير، وإن لم يصرح بذلك.. وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على يقينه بأمره، وعلى أنه عارف به عن حس ومشاهدة.

وهو يرى: أن جريراً وأمثاله يستحقون الحبس في مكان لا يخرجون منه، حتى تستبين الأمور، ويهلك الله الظالمين..

ثالثاً: إنه «رحمه الله» اتهم جريراً بأنه لم يذهب إلى الشام خدمة لدينه، ونصيحة منه لإمامه، بل ليتخذ عند معاوية وحزبه يداً يشكرونه عليها.. ولا يكون مجرد حمله للرسالة إليهم يداً إلا إذا فرض انضمام

(1) تذكرة الخواص ج 1 ص 397 وراجع: أنساب الأشراف ج 2 ص 275 ونهج السعادة ج 1 ص 433 وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 184.

شيء آخر إليه، مما فيه منفعة وخدمة لمعاوية وحزبه. ويصب في مصلحتهم.

ولعل من جملة الفوائد التي حصلوا عليها: أنه أعطى الفرصة لمعاوية، وأفسح له في المجال لتدبير أمره، فهو قد «أرخی من خناقه وأقام عنده، حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلا فتحه، أو يخاف غمه إلا سده»(1).

رابعاً: إنه حين رجع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» صار يهدد أصحابه «عليه السلام» بأهل الشام، فقد قال لعلي «عليه السلام» عن أهل الشام: «إنهم سيكون على عثمان، ويقولون: إن علياً قتله، وأوى قتلته، ومنع منهم. وإنهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم»(2).

وهذه خدمة جليلة يسديها لمعاوية وحزبه، لأنها تمثل حرباً نفسية ناجحة، لأن الإنسان العادي إذا رأى العدو يتهدد قياداته، ويتداول أولئك القادة هذه التهديدات فيما بينهم، فإنه سينهزم نفسياً، وسيشعر بقوة العدو، من حيث أن قوته البالغة قد فرضت نفسها حتى على قياداته وعلى أعلى

(1) صفين ص 59 و 60 والفتوح لابن أعثم ج 2 ص 404 و (ط دار الأضواء)

ج 2 ص 522 ومروج الذهب ج 2 ص 373 و (ط أخرى) ج 2 ص 413

وتذكرة الخواص ج 1 ص 400 وبحار الأنوار ج 32 ص 381.

(2) مروج الذهب ج 2 ص 372 وراجع: تذكرة الخواص ج 1 ص 400.

المستويات فيهم..

خامساً: إن الأشتر يقسم على أن البجلي من الأعداء، وأنه يرى أن سعيه يصب في مصلحتهم..

جرير يثبت صحة كلام الأشتر:

وما أسرع ما أثبت جرير بصورة قاطعة صحة ما قاله الأشتر، حيث إنه لم يبق مع علي «عليه السلام» ليجاهد معه، وليثبت عملياً براءته مما نسب إليه.. بل اعتبر أنه قد افتضح أمره، وظهر المستور، ووقع في المحذور والمحذور، فلحق بقرقيسيا، ولحق به أناس من قومه من قسر (وهم رهطه بنو بجيلة)، ولم يشهد صفين من قسر سوى تسعة عشر رجلاً.

وقد عللّ خروجه إلى قرقيسيا بقوله: لا نقيم ببلدة يعاب فيها عثمان(1). وهذا شاهد على صحة قول الأشتر فيه.

وقال المسعودي: إنه لما قال له الأشتر ما قال: وأنه كان يود لو جعله هو وأشباهه في محبس: «فخرج جرير عند ذلك إلى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات، وكتب إلى معاوية يعلمه بما نزل به، وأنه أحب مجاورته والمقام في داره.

(1) الغارات للثقفى ج2 ص553 وشرح نهج البلاغة للمعتزلى ج4 ص93.

فكتب إليه معاوية يأمره بالمسير إليه»⁽¹⁾.

علي × يشعث دار جرير:

وقد ذكر النص المتقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لما خرج جرير إلى معاوية شعث من دار جرير، وحرق مجلسه.

كما أنه «عليه السلام» خرج من دار جرير إلى دار ثوير بن عامر فحرقها، وهدم منها.. وكان ثوير قد لحق بجرير..

والذي نود الإشارة إليه هنا هو ما يلي:

1 - إن ما فعله «عليه السلام» بدار جرير بن عبد الله البجلي، ودار ثوير بن عامر، وبعد ذلك بدار مصقلة بن هبيرة.. قد جاء على سبيل العقوبة لهم، وهي عقوبة ذات رمزية معينة، ومؤثرة في المجتمع العربي آنذاك..

2 - ورمزية هذه العقوبة تنشأ من ملاحظة: أن الرياسة والزعامة كانت تتبلور في محورية ذلك الزعيم أو الرئيس لعشيرته، أو لأهل بلده، وقومه.. مما يعني: أنهم يلوذون به، ويقصدونه في داره، ويعتبرونه مرجعاً لهم في حاجاتهم، وفي حل مشكلاتهم..

3 - فتكون داره بالنسبة إليهم محور حركتهم، وموضع آمالهم،

(1) مروج الذهب ج 2 ص 373 وراجع: تذكرة الخواص ج 1 ص 400 والكامل في التاريخ ج 3 ص 277 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 282.

ومنتهى أحلامهم.. ويكون محفله ومجلسه موضع الكرامة والزعامة.. فإليها وإليه يقصدون، وبها وبه يرتبطون.. تحوم حولها قلوبهم، وتهوي إليها أفئدتهم..

4 - وطبيعي: أن يكون للخليفة والإمام - وهو الحاكم الأعظم - دوراً في تكريس الزعامة لهذا، وفي نزاعها عن ذلك، من حيث أن إقباله على هذا، وتسهيل أموره، ونفوذ كلمته عنده، يساعده كثيراً على تلبية حاجات الناس، وحل المعضلات التي يواجهونها، ويحجم من قدرة ذلك الذي أعرض عنه، ويحد من نشاطه، ويبطئ من حركته، ويقعد به عن تلبية الكثير مما يحتاج فيه إلى هيبة السلطان، أو إلى نفوذه، أو إلى مساعدته وعونه..

أما إذا رأى الناس: أن الحاكم الأعظم، وهو - الخليفة أو الإمام - غاضب على هذا إلى حد أنه يبادر إلى هدم بيته الذي هو عنوان عزه، فإنهم بطبيعة الحال سوف ينصرفون عنه، وربما كانوا مستعدين لمساعدة الخليفة أو الإمام عليه..

وهذا ما حصل بالفعل من الإمام علي «عليه السلام» بالنسبة لبييت جرير بن عبد الله، وثوير بن عامر، ومصقلة بن هبيرة.. و..

5 - هذا كله، عدا عن أن بقاء دار من لجأ إلى الأعداء على حالها، قد يوحي لكثيرين من ضعفاء العقول: بأن الانتقال من الحق إلى الباطل أمر عادي، لا يكلف شيئاً.. وليس فيه أية مؤونة..

فيكون ذلك من موجبات جرأتهم على الخلاف، واستسهال التنقل

من هنا إلى هناك، وبالعكس، بحسب ما يروونه من منافع، وما يتوافق مع الرغبات والأهواء والمصالح..

وربما يؤدي ذلك: إلى إضعاف يقين الناس بصحة ما هم عليه. ويقلل من الرغبة في التضحية في سبيل الحق والدين والمبادئ.. تماماً كما فعل الذين من قبلهم، حيث إن الكفرة من أهل الكتاب كانوا في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله» يقولون لأوليائهم (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (1)

فكانوا يفعلون ذلك بهدف زعزعة يقين الناس بدينهم، والتأثير على روحياتهم، وعلى التزامهم، واندفاعهم لنصرة الحق والدين إلى حد التضحية بالمال والجاه والنفس..

شعث بعض دار جرير وثوير:

وقد رأينا: أن النص المتقدم يقول: إن علياً «عليه السلام» قد أحرق مجلس جرير، وشعث من داره.. وهكذا فعل ببيت ثوير بن عامر..

أي أنه لم يهدمها هدماً كاملاً، بل شعث منها.

ولعل ذلك يشير:

(1) الآية 72 من سورة آل عمران.

أولاً: إلى أنه قد راعى ما قاله له ابن جرير من حيث أن بعض تلك الأرض لم تكن لجرير.. فراعى «عليه السلام» حق الغير فيها.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد راعى أيضاً مقدار الفساد والضرر الذي أحدثه جرير بانتقاله إلى معاوية، وكذلك الحال بالنسبة لثوير، فإن مجرد انتقالهما - وهما بعد لم يباشرا حرباً، ولا ارتكبا عدواناً على الأموال والأنفس، إنما أحدث ضرراً معنوياً، من حيث أنه قد أوجب بعض الوهن أو الريب، أو زرع يقين بعض الناس من ضعفاء البصيرة والبسطاء بحقانية موقع أمير المؤمنين «عليه السلام»..

فكان جزاؤهما هو التعرض لرمز رياستهما وزعامتهما في قبائلهما، أو في المحيط الذي يعيشون فيه، فشعث بيت العز والكرامة لهما، وأحرق مجلسه..

وهذا يعطي: أنه لا مجال لنفي التناسب فيما بين الفساد الذي يحدثه المذنب بما ارتكبه من أعمال، وبين العقوبة في إحيائها وآثارها. ولو بهذا المستوى من الإيحاء.

أصاب الأشتر، وأخطأ السكوني:

وإذا قرأنا شعر الأشتر الذي قاله حول تهديد جرير له بأهل الشام، فإننا نرى أنه قد أصاب كبد الحقيقة، حين بنى كلامه على ما يفيد القول المأثور عن أن نتيجة العمل الجهادي هو الفوز بإحدى الحسينيين: إما النصر أو الشهادة..

وهذا بالذات هو ما ينتهي إليه الأشتري في شعره، فإنه قال: إنه سوف يواجه أعداءه إذا اجتمعوا عليه لمواجهة جهادية، لأن همهم الدنيا، وهمه الآخرة، فإن خرج سالماً منهم، فإنه سيواجههم بحرب هائلة، وإن لم يسلم منهم، فإن الفلج سيكون له يوم القيامة..

أما السكوني، فقد أظهر شعره: أنه كان مخدوعاً بجريير، حيث كان يظن أنه ناصح لإمامه، حريص على إغضاب أعدائه..

ولعله قال هذا الكلام قبل أن يلتحق جريير بقرقيسيا، ثم يذهب إلى معاوية..

والأدهى من ذلك: أن السكوني كان يرى أن بقاء العراق رخيلاً مغتبطاً مسروراً مرهوناً ببقاء جريير البجلي والأشتر على حالة الوفاق والوئام..

وقد خاب ظنه في هذا أيضاً، فها هو جريير يخون إمامه، ويفارق العراق وأهله، ويهرب إلى الأعداء، وبقي العراق والعراقيون في عز ومنعة، وباء جريير فقط بالخزي والعار، وفقد عزه، وعاش تابعاً لأهل الضلال، مردولاً من أهل الإيمان..

الباب الثالث

احتجاجات علي x وشتائم معاوية..

الفصل الأول: رسالة الخولاني في النصوص..
الفصل الثاني: رسالة الخولاني في الميزان..
الفصل الثالث: وقفات مع نص نهج البلاغة لرسالة
الخولاني..
الفصل الرابع: رسائل معاوية ترهات وأباطيل..
الفصل الخامس: معاوية ومواعظ علي x..

الفصل الأول:

رسالة الخولاني في النصوص

مراسلات بين علي × ومعاوية:

روى نصر عن صالح بن صدقة، عن إسماعيل بن زياد، عن الشعبي: أن علياً قدم من البصرة مستهل رجب الكوفة، وأقام بها سبعة عشر شهراً يجري الكتب فيما بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص(1).

ونقول:

ثلاث ملاحظات حول المراسلات:

1 - هناك رسائل كثيرة بين أيدينا تذكر المصادر أن علياً «عليه السلام» أرسلها إلى معاوية.. ومعظمها لم يذكر تاريخاً، ولم يتضمن من القرائن ما يفيد في تحديد الفترة الزمنية التي كتبت فيها تلك الرسائل، أو ما يفيد في تحديد المناسبة أو المرحلة، التي اقتضت كتابتها، أو القضية التي أريد معالجتها.

(1) صفين للمنقري ص80.

وفقدان هذه المؤشرات يجعلنا غير قادرين على فهم كثير من الأمور التي تفيدنا في فهم السبل الحكيمة والقويمة لمعالجة القضايا المشابهة التي تواجهنا.

2 - إن كثيراً من تلك الرسائل لا تجد لها ما يقابلها من قبل معاوية.

فلعل الرواة قد أهملوا رسائل معاوية، لأنهم لم يجدوا فيها ما يستحق الذكر، أو وجدوا أنها تسيء إلى معاوية نفسه لما فيها من أكاذيب وتجنّيات، وإساءات ظالمة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ولأصحابه وشيعته.. لا يرون لها مبرراً.

3 - وحتى بالنسبة للرسائل التي وصلت إلينا، سواء من قبل معاوية، أو تلك التي أرسلها علي «عليه السلام» إليه.. فإننا نلاحظ: أن هناك اختلافاً في نصوصها، ولكنها اختلافات تبقى - في الأكثر - غير ذات أثر سلبي، لأنها لم تخرج عن دائرة الاختلاف في الإجمال والتفصيل.. أو عن النقل للنص بحرفيته، أو اختزاله واختصاره، أو تخيير بعض الفقرات فيه، مما رأوا فيه خصوصية رجّحت لهم اختياره، والإقتصار عليه.

ولكن هذا الأمر لا يخلو من بعض السلبيات أيضاً، من حيث إنه يربك الباحث، أو يفوت عليه أموراً هامة، يوجب فواتها تعذر رسم ملامح الصورة الحقيقية بصورة سليمة ودقيقة، ويمنع من تألقها ووضوحها وإشراقها.. إن لم نقل: إنه يهدد درجة الثقة بكثير من

ملاحمها، وخصوصياتها، ويجعل من المتعذر - أحياناً - الإستفادة منها.

من أجل ذلك نقول:

إننا سوف نورد هنا نماذج من هذه الرسائل التي تعاني من هذه المشكلات والإبهامات، ثم نذكر بعض ما نرى ذكره صواباً. ونذكر في هذا الفصل الرسالة التي حملها أبو مسلم الخولاني من معاوية لعلي «عليه السلام»، فنقول:

كتاب معاوية مع أبي مسلم الخولاني:

روى نصر، عن عمر بن سعد عن أبي روق:

أن ابن عمر بن مسلمة الأرحبي أعطاه كتاباً في إمارة الحجاج بكتاب من معاوية إلى علي.

قال: وإن أبا مسلم الخولاني قدم إلى معاوية في أناس من قراء أهل الشام، [قبل مسير أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى صفين]، فقالوا [له]: يا معاوية علام تقاتل علياً، وليس لك مثل صحبتته، ولا هجرته، ولا قرابته، ولا سابقته؟!!

قال لهم: ما أقاتل علياً وأنا أدعى أن لي في الإسلام مثل صحبتته، ولا هجرته، ولا قرابته، ولا سابقته، ولكن خبروني عنكم، أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً؟!!

قالوا: بلى.

قال: فليدفع إلينا قتلته فنقتلهم به، ولا قتال بيننا وبينه.

قالوا: فاكتب [إليه] كتاباً يأتيه [به] بعضنا.

فكتب إلى علي هذا الكتاب مع أبي مسلم الخولاني، فقدم به على علي، ثم قام أبو مسلم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد، فإنك قد قمت بأمر وتوليته، والله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إن عثمان قتل مسلماً محرماً مظلوماً، فادفع إلينا قتلته، وأنت أميرنا، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة، وألسنتنا لك شاهدة، وكنت ذا عذر وحجة».

فقال له علي: أغد علي غداً، فخذ جواب كتابك.

فانصرف ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه، فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملؤوا المسجد، وأخذوا ينادون: كلنا قتل ابن عفان [وأكثرنا من النداء بذلك].

وأذن لأبي مسلم فدخل على علي أمير المؤمنين، فدفع إليه جواب كتاب معاوية، فقال له أبو مسلم: قد رأيت قوما ما لك معهم أمر.

قال: وما ذاك؟!!

قال: بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجوا واجتمعوا، ولبسوا السلاح، وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان.

فقال علي: «والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينييه ما رأيت به ينبغي لي أن أدفعهم إليك، ولا

إلى غيرك».

فخرج بالكتاب وهو يقول: الآن طاب الضراب.

وكان كتاب معاوية إلى علي «عليه السلام»:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد..

فإن الله اصطفى محمداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه،

والرسول إلى خلقه، واجتنبى له من المسلمين أعواناً أيدته الله بهم،

فكانوا في منار لهم⁽¹⁾ عنده على قدر فضائلهم في الإسلام. فكان

أفضلهم في إسلامه، وأنصحهم الله ورسوله الخليفة من بعده [أبو بكر

الصديق]، وخليفة خليفته [عمر بن الخطاب]، والثالث الخليفة

المظلوم عثمان، فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت.

[وحسب نص ابن أعثم: فأما الصديق والفاروق فما زلت لهما

مبغضاً عدواً، حتى مضيا لسبيلهما محمودين].

عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وفي قولك الهجر، وفي تنفسك

(1) لعل الصحيح: في منازلهم. ويدل على ذلك ما في أنساب الأشراف (ط سنة

1416 هـ. ق) ج 2 ص 187 ما ورد في جواب أمير المؤمنين «عليه

السلام» بعد حوالي صفتين.

الصعداء، وفي إبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل
المخشوش حتى تبايع وأنت كاره.

ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمك عثمان، وكان
أحقهم ألا تفعل به ذلك في قرابته وصهره، فقطعت رحمه، وقبحت
محاسنه، وألبت الناس عليه، وبطننت وظهرت، حتى ضُربت إليه آباط
الإبل، وقيدت إليه الخيل العراب، وحمل عليه السلاح في حرم رسول
الله، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة، لا تردع الظن
والتهمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل.

فأقسم صادقاً أن لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهنه
الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحا ذلك عندهم ما
كانوا يعرفونك به من المجانبية لعثمان والبغي عليه.

[وعند ابن أعم: ولكنك أحببت قتله، والدليل على ذلك تعظيمك
لأقدار قتلته، فهم عضدك وأنصارك، ويدك وبطانتك].

وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين: إيواؤك قتلة عثمان،
فهم عضدك وأنصارك، ويدك وبطانتك.

وقد ذكر لي: أنك تَنصَل من دمه، فإن كنت صادقاً، فأمكننا من
قتلته نقتلهم به، ونحن أسرع [الناس] إليك. وإلا، فإنه فليس لك ولا
لأصحابك إلا السيف.

والذي لا إله إلا هو، لنطلبين قتلة عثمان في الجبال والرمال،

والبر والبحر، حتى يقتلهم الله، أو لتلحقن أرواحنا بالله. والسلام (1).

لكن النص الذي ذكره ابن أعثم لهذا الكتاب هو كما يلي:

أما بعد! فإن الحسد عشرة أجزاء، تسعة منها فيك، وواحد في سائر الناس، وذلك أنه لم تكن أمور هذه الأمة لأحد بعد النبي «صلى الله عليه وآله» إلا وله قد حسدت، وعليه قد بغيت، عرفنا ذلك منك في نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك على الخلفاء، تقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل الشارد حتى تباع وأنت كاره.

ثم إني لا أنسى فعلك بعثمان بن عفان (2) في البر والبحر، والجبال والرمال، حتى تقتلهم أو لتلحقن أرواحنا بالله. والسلام (3).

فكتب إليه علي «عليه السلام»، رسالة وجدنا لها ثلاثة نصوص تختلف فيما بينها في الزيادة والنقيصة، وتختلف أيضاً في مواضع بعض الفقرات، وفي بعض الكلمات التي لا تضر بالمعنى..

ونحن نذكر هذه النصوص الثلاثة على نحو لا يفوتنا منها ما

(1) صفين للمنقري ص 86 و 87 وأنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ. ق)

ج 2 ص 187 و 188.

(2) يظهر أنه قد سقطت من هذا الموضع بعض العبارات.. فراجع الكتاب المتقدم

عن كتاب صفين للمنقري ليتضح لك ذلك.

(3) كتاب الفتوح لابن أعثم ج 2 ص 474 و (ط دار الأضواء) ج 2 ص 558

وبقية المصادر في الهامش السابق، ومكاتب الأئمة (مكاتب الإمام علي

«عليه السلام») ج 1 ص 288 عنهم.

ربما ينفع في بيان بعض الحقائق، فنذكر أولاً النص الذي ذكره المنقري، ثم نذكر بعض النص الذي ذكره ابن أعثم، لأن الشرط الأول منه إلى قوله: «فسيلقى رباً غفوراً لا يتعاضمه ذنب أن يغفره..» متوافق في مضمونه مع ما ذكره المنقري، فنقول:

قال نصر:

فكتب إليه «عليه السلام»:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد..

فإن أخوا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمداً «صلى الله عليه وآله»، وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحي.

والحمد لله الذي صدقه الوعد، وتم له النصر، ومكن له في البلاد، وأظهره على أهل العدا والشنآن، من قومه الذين وثبوا به، وشنفوا له، وأظهروا له التكذيب، وبارزوه بالعداوة، وظاهروا على إخراجهم وعلى إخراج أصحابه [وأهله]، وألبوا عليه العرب، وجامعوه على حربه، وجهدوا في أمره كل الجهد، وقلبوا له الأمور حتى ظهر أمر الله وهم كارهون.

وكان أشد الناس عليه ألبه: أسرته، والأدنى فالأدنى من قومه، إلا من عصمه الله يا ابن هند.

فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً، ولقد قدّمت فأفحشت، إذ طفقت

تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيه محمد «صلى الله عليه وآله» وفينا، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر، أو كداعي مسدده (1) إلى النضال.

وذكرت: أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم - زعمت - في الإسلام، وأنصحهم الله ورسوله الخليفة، وخليفة الخليفة. ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد. رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء.

وذكرت: أن عثمان كان في الفضل ثالثاً.

[فذكرت لهؤلاء فضلاً، إن هو تم اعتزلك، وإن نقص لم يلحقك ثلمه. وما أنت والصديق صديقنا؟! إذ صدق بحقنا، وكذب بباطل غيرنا.

وما أنت والفاروق؟! إنما فرق بيننا وبين أعدائنا.

وأما عثمان] فإن يكن عثمان محسناً فسيجزيه الله بإحسانه، وإن يك مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً لا يتعاضمه ذنب أن يغفره.

ولعمرو الله، إني لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر.

(1) المسدّد: المعلم.

إن محمداً «صلى الله عليه وآله» لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنا - أهل البيت - أول من آمن به، وصدق بما جاء به، فلبثنا أحوالاً مجرّمة⁽¹⁾، وما يعبد الله في ربّع ساكن من العرب غيرنا.

فأراد قومنا قتل نبيّنا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، فمنعونا الميرة، وأمسكوا عنا العذب، وأحلسونا الخوف، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يؤاكلونا، ولا يشاربوننا، ولا يناكحونا، ولا يبايعونا، ولا نأمن فيهم حتى ندفع النبي «صلى الله عليه وآله» فيقتلوه ويمثلوا به.. فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم.

فعزم الله لنا على منعه، والذب عن حوزته، والرمي من وراء حرّمته، والقيام بأسياقنا دونه في ساعات الخوف بالليل والنهار، فمؤمنا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامى به عن الأصل.

فأما من أسلم من قريش بعد، فإنهم مما نحن فيه أخلياء، فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه، فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن.

فكان ذلك ما شاء الله أن يكون، ثم أمر الله رسوله بالهجرة، وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين، فكان إذا احمر البأس ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا، فوقى بهم أصحابه حر الأسنة والسيوف،

(1) أي سنين كاملة.

فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وجعفر وزيد يوم مؤتة.
وأراد الله من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة
مع النبي «صلى الله عليه وآله» غير مرة، إلا أن آجالهم عجلت،
ومنيته أخرت.
والله مولى الإحسان إليهم، والمنان عليهم، بما قد أسلفوا من
الصالحات.

فما سمعت بأحد، ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعة
رسوله، ولا أطوع لرسوله في طاعة ربه، ولا أصبر على اللأواء
والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي «صلى الله عليه
وآله» من هؤلاء النفر الذين سميت لك.

وفي المهاجرين خير كثير نعرفه، جزاهم الله بأحسن أعمالهم.

وذكرت حسدي الخلفاء، وإبطائي عنهم، وبغيي عليهم.

فأما البغي، فمعاذ الله أن يكون.. وأما الإبطاء عنهم والكراهة
لأمرهم، فلست أعتذر منه إلى الناس، لأن الله جل ذكره لما قبض
نبيه «صلى الله عليه وآله» قالت قريش: منا أمير، وقالت
الأنصار: منا أمير..

فقالت قريش: منا محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنحن
أحق بذلك الأمر.

فعرفت ذلك الأنصار، فسلمت لهم الولاية والسلطان.

فإذا استحقوها بمحمد «صلى الله عليه وآله» دون الأنصار، فإن أولى الناس بمحمد «صلى الله عليه وآله» أحق بها منهم. وإلا فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً، فلا أدري أصحابي سلموا من أن يكونوا حقي أخذوا، أو الأنصار ظلموا. [بل] عرفت أن حقي هو المأخوذ، وقد تركته لهم تجاوز الله عنهم.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمه، وتألبيي عليه فإن عثمان عمل ما [قد] بلغك، فصنع الناس [به] ما قد رأيت. وقد علمت إنني كنت في عزلة عنه، إلا أن تتجنى، فتجن ما بدا لك.

وأما ما ذكرت من أمر قتله عثمان، فإنني نظرت في هذا الأمر، وضربت أنفه وعينيه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك.

ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك، ولا يكلفونك أن تطلبهم في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل.

وقد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر، فقال: أنت أحق بعد محمد «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك. [ولئن شئت لأملأن المدينة خيلاً ورجلاً على ابن أبي قحافة] أبسط يدك أبايعك.

فلم أفعل.

وأنت تعلم أن أباك قد كان قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذي أبيت، لقرب عهد الناس بالكفر، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام. فأبوك كان أعرف بحقي منك.

فإن تعرف من حقي ما كان يعرف أبوك تصب رشدك، وإن لم تفعل فسيغني الله عنك، والسلام [وفي الفتوح: وإن أبيت فيها أنا قاصد إليك. والسلام] (1).

الشرط الذي ذكره ابن أعثم:

وأما ابن أعثم، فقد جاءت - عنده - هذه الرسالة في شرط منها متوافقة مع ما ذكره المنقري.. ولكن التفاوت الشديد والزيادات الكثيرة بدأت تظهر عند ابن أعثم بعد قوله: لا يتعاضمه ذنب أن يغفره. لأجل ذلك: كان لا بد من ذكر هذا الشرط، وفق رواية ابن أعثم، وهي كما يلي:

ولكني لأحب أن تخبرني يا بن هند ما للطلاق وأولاد الطلقاء والأحزاب وأولاد الأحزاب وترتيب أمر الخلافة بين المهاجرين الأولين إلا تربح، أيها الانسان! على ظلعك، وتتأخر حيث أخرك القدر؟!!

ولكن بنعمة الله تعالى إننا قد فزنا على جميع المهاجرين كفوز نبينا محمد «صلى الله عليه وآله» على سائر النبيين، ألا ترى أن

(1) صفين للمنقري ص 84 - 91 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 15 ص 76 - 78 والعقد الفريد ج 3 ص 331 والمناقب للخوارزمي ص 252 وبحار الأنوار ج 33 ص 110 - 113 وراجع: نهج البلاغة، الكتاب رقم 9 وأنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ. ق) ج 2 ص 188 - 191.

قوماً استشهدوا في سبيل الله ولكل فضل؟! حتى إذا استشهد عمه حمزة قيل: سيد الشهداء، وخصه «صلى الله عليه وآله» بسبعين تكبيرة، ووضع بيده في قبره.

وإن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى إذا قطعت يد أخي جعفر قيل: الطيار في الجنة.

أو لا ترى أن مسلمنا قد بان في إسلامه كما بان جاهلنا في جاهليته؟! حتى قال عمي العباس بن عبد المطلب لأبي طالب:

أبا طالب لا تقبل النصف منهم وإن أنصفوا حتى نعق ونظما

أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت صوارم في أيماننا تقطر الدما
تركناهم لا يستحلون بعدها لذي حرمة في سائر الناس
محرمًا

ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكره أكثر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تملحها آذانهم من أشياء لو شئت لقلت.

فدع عنك يا بن هند من قد بانّت الرمية، فإننا صنائع ربنا والناس كلهم لنا صنائع، ولم يمنعنا شرفنا أن خلطناهم بأنفسنا، ولستم هنالك، واني يكون ذلك؟!!

ومنا المشكاة والزيتونة، ومنكم الشجرة الملعونة..

ومنا هاشم بن عبد مناف، ومنكم أمية كلب الاحلاف..

ومنا شيبية الحمد عبد المطلب، ومنكم الكذاب المكذب.
ومنا أسد الله، ومنكم طريد رسول الله..
ومنا الطيار في الجنة، ومنكم عدو الاسلام والسنة.
ومنا سيدة نساء العالمين بلا كذب، ومنكم حمالة الحطب..
وحسبي برسول الله «صلى الله عليه وآله» صهراً، وابنته فاطمة
شرفاً وعزاً وفخراً.
وكننت تسألني أذفع إليك قتلة عثمان، وليس لك أن تسأل ذلك، ولا
إلي أن أدفعهم إليك، وإنما ذلك إلى ورثة عثمان وأولاده، وهم أولى
بطلب دم أبيهم منك.
فإن زعمت أنك أقوى على الطلب بدم عثمان، فادخل فيما دخل
فيه المهاجرون والأنصار، وحاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب
الله عز وجل وسنة نبيه محمد «صلى الله عليه وآله».
وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف، فلقد أضحكنتي
بعد استعبار يا بن آكلة الأكباد! متى لقيت بني عبد المطلب؟!
فسيطلبك من يستبطن ويقرب ما يستبعد وتره، عليك سيوف قد عرفت
نصالها في أخيك، وخالك، وجدك، وعم أمك، وأسلافك، فإن تكن
الدائرة عليك تصطلمك عزائم الدين، وحكم الكتاب، وإن تحل منا
بعاجل ظفر، فلا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون.. والسلام على عباد الله

الصالحين (1).

قال: فلما ورد هذا الكتاب على معاوية وقرأه أقلقه ذلك، ولم يدر بماذا يجيب علياً؟! فكتب إليه يقول:

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

وكتب إليه علي «عليه السلام»: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (2) «(3).

النص الذي ذكره الرضي &:

أما النص الذي ذكره الشريف الرضي «رحمه الله» في نهج البلاغة فهو كما يلي:

أما بعد.. فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً «صلى الله عليه وآله» لدينه، وتأبيده إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً، إذ طفتت تخبرنا ببلاء الله عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر، أو داعي مسدده إلى النضال.

وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً

(1) الفتوح لابن أعم 2 ص 477 - 480.

(2) الآية 56 من سورة القصص.

(3) الفتوح لابن أعم 2 ص 480.

إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم تلحقك ثلثته.

وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟! وما للطلاق
وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم،
وتعريف طبقاتهم؟!

هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم
لها.

ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك؟! وتعرف قصور ذرعك؟!
وتتأخر حيث أخرج القدر، فما عليك غلبة المغلوب، ولا لك ظفر
الظافر، وإنك لذهاب في التيه، رواغ عن القصد.

ألا ترى غير مخبر لك، ولكن بنعمة الله أحدث أن قوماً استشهدوا
في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل:
سيد الشهداء، وخصه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبعين تكبيرة
عند صلاته عليه؟!

أولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل؟! حتى
إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: الطيار في الجنة وذو الجناحين.
ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاك فضائل
جمّة، تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها أذان السامعين.

فدع عنك من مالت به الرمية، فإننا صنائع ربنا، والناس بعد
صنائع لنا. لم يمنعنا قديم عزنا، ولا عادي طولنا على قومك أن
خاطناكم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا، فعل الأكفاء ولستم هناك.

وأنى يكون ذلك كذلك، ومنا النبي ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيد شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب، في كثير مما لنا وعليكم.

فإسلامنا قد سمع، وجاهلينا لا تدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) (1). وقوله تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (2). فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة.

ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله «صلى الله عليه وآله» فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم.

وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك.

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقلت إنني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمرو الله لقد أردت أن تدم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت. وما على المسلم

(1) الآية 75 من سورة الأنفال.

(2) الآية 68 من سورة آل عمران.

من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه. وهذه حجتى إلى غيرك قصدها، ولكنى أطلقت لك منها بقدر ما سنج من ذكرها.

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله. أمن بذل له نصرته فاستتبعه واستكفه؟! أمن استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟!!

كلا والله، لقد علم (الله الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) (1).

وما كنت لأعتذر من أنى كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايته له، فرب ملوم لا ذنب له.

وقد يستفيد الظنة المنتصح، وما أردت (إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) (2).

وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار، متى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيوف مخوفين.

لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل.

(1) الآية 18 من سورة الأحزاب.

(2) الآية 88 من سورة هود.

فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم، متسربلين سراويل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك، وخالك وجدك، وأهلك. (وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بَبَعْدٍ) (1) «(2).

نص آخر:

ولكن ابن شهر آشوب، وغيره ذكروا أنه «عليه السلام» أجاب على كتاب معاوية بما يلي:
«وبعد.. إني رأيت قد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعتي، ثم حاكم القوم إلي، أحملك وإياهم على كتاب الله وسنة نبيه محمد «صلى الله عليه وآله».

(1) الآية 83 من سورة هود.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 3 ص 30 - 35 الكتاب رقم 28 وراجع: الإحتجاج ج 1 ص 417 - 425 ونهج السعادة ج 4 ص 19 وراجع: الفصول المختارة ج 2 ص 233 والعقد الفريد ج 4 ص 335 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي سنة 1416هـ) ج 2 ص 289 والفتوح لابن أعمش ج 2 ص 474 - 475 و (ط الأضواء) ج 2 ص 559 وبحار الأنوار ج 33 ص 57.

وأما تلك التي تريدها، فإنها خدعة الصبي عن اللبن.
ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لعلمت أنني من أبرأ الناس
من دم عثمان.

وقد علمت أنك من أبناء الطلقاء، الذين لا تحل لهم الخلافة»⁽¹⁾.
وبعدما تقدم نقول:

هناك أمور يحسن التوقف عندها، سوف نوردها في الفصل
التالي إن شاء الله تعالى..

(1) مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 165 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 350
وبحار الأنوار ج 32 ص 570 وراجع: نهج البلاغة، الكتاب رقم 6
وراجع: صفين للمنقري ص 29 وعن أنساب الأشراف ج 3 ص 992
والعقد الفريد ج 3 ص 330 والإمامة والسياسة ج 1 ص 114 و (تحقيق
الزيني) ج 1 ص 85 و (تحقيق الشيرازي) ج 1 ص 114 وتاريخ مدينة دمشق
ج 59 ص 128 وشجرة طوبى ج 1 ص 45 ونهج السعادة ج 4 ص 201 و
الفتوح لابن أعمش (ط دار الأضواء) ج 2 ص 506 والمناقب للخوارزمي
ص 203 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج 1 ص 367 و 368.

الفهرس

- 1 - الفهرس الإجمالي
- 2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الباب الثاني: مراسلات تحسم الموقف

- الفصل الأول: الأشر في الجزيرة ومكاتبات علي × مع معاوية..... 9
الفصل الثاني: الريب في حديث الطرماح..... 51
الفصل الثالث: البجلي في الشام..... 81
الفصل الرابع: الطائي ومعاوية.. وتحريض ابن عقبة..... 113
الفصل الخامس: دين ابن العاص في المزاد..... 131
الفصل السادس: هل الدين يباع؟!..... 151
الفصل السابع: شرحبيل المخدوع.. المخدول..... 189
الفصل الثامن: محاولات جمع الأصحاب..... 223
الفصل التاسع: جرير متآمر وخائن..... 249
الفصل العاشر: يعزله علي × .. ويبايعه أهل الشام..... 295
الفصل الحادي عشر: جرير والأشر..... 311

الباب الثالث: إحتجاجات علي × وشتائم معاوية..

- الفصل الأول: رسالة الخولاني في النصوص..... 333
الفهارس:..... 355

2 - الفهرس التفصلي

الباب الثاني: مراسلات تحسم الموقف

الفصل الأول: الأشر في الجزيرة ومكاتبات علي × مع معاوية..

- 11 الشني يدعو لحسم الأمر مع معاوية:
- 13 أرض الجزيرة:
- 17 كتاب علي × إلى معاوية:
- 19 بيعة أهل الجزيرة لمعاوية:
- 21 هرب العثمانية من العراق إلى الجزيرة:
- 23 كتاب علي × إلى معاوية:
- 24 علي × يكتب إلى معاوية:
- 29 الطومار الفارغ:
- 35 رسالة تلميح لا تصريح:
- 37 معاوية يتهدد علياً ×:

- رسالة معاوية: 40
- التهديد في رسالة أمير المؤمنين ×: 41
- ابن أبي سفيان، وأخو الرسول: 43
- حصيلة ذات مغزى: 48
- علي × لم يقتل أبا معاوية: 48
- الفصل الثاني: الريب في حديث الطرمّاح..**
- بطولات الطرمّاح حقيقة أم خيال؟! 53
- إيضاحات: 58
- أما تنزل حتى نشاورك: 59
- علي × لم يقتل أبا سفيان: 60
- الشمر لم يكن مع معاوية: 60
- القادة المجهولون والمعروفون: 61
- يزيد ولي عهد: 62
- السلام على معاوية بإمرة المؤمنين: 62
- حلم معاوية عن الطرمّاح: 63
- رواية البستي وإشكالاتها: 63
- لمحات في جواب علي ×: 73
- الفرق بين الروائتين: 74

- 75 إشكالات في رواية البستي:
- 78 من هو الطرّمّاح؟!:
- الفصل الثالث: البجلي في الشام..**
- 83 البجلي رسول علي ×:
- 89 تبرع جرير بالذهاب إلى الشام:
- 91 جرير منحرف عن علي ×:
- 95 من أسرار سياسات علي ×:
- 97 أقوال علي × لجرير حين بعثه إلى معاوية:
- 99 معاوية مرفوض من علي × ومن العامة:
- 100 مضمون كتاب علي ×:
- 100بيعة علي × في المدينة لزمت معاوية بالشام:
- 103 هذا الكتاب كان جواباً:
- 104 لتعلمن أني كنت في عزلة عنه:
- 105 نقض البيعة كردّها هل هو قياس؟!:
- 105 حاكم القوم إلي:
- 106 خدعة الصبي عن اللبن:
- 107 الطلقاء لا تحل لهم الخلافة:
- 107 جرير من أهل الإيمان والهجرة:

- 108 خطبة جرير: خطبة جرير: 108
- 108 أثن له بدينه: أثن له بدينه: 108
- 109 مآثر معاوية: مآثر معاوية: 109
- الفصل الرابع: الطائي ومعاوية.. وتحريض ابن عقبة..**
- 115 الطائي ومعاوية: الطائي ومعاوية: 115
- 123 لعل في الرواية تزويراً: لعل في الرواية تزويراً: 123
- 123 الذين كرهوا القتال: الذين كرهوا القتال: 123
- 124 متى عرف علي × بمسير الناكثين إلى البصرة؟! : متى عرف علي × بمسير الناكثين إلى البصرة؟! : 124
- 124 علي × يذهب إلى الكوفة قبل الحرب: علي × يذهب إلى الكوفة قبل الحرب: 124
- 125 اختلاف الروايتين: اختلاف الروايتين: 125
- 125 كيف لا يقتل عثمان، وقد أجمعوا عليه؟! : كيف لا يقتل عثمان، وقد أجمعوا عليه؟! : 125
- 126 ابن عقبة يحرض معاوية على علي × : ابن عقبة يحرض معاوية على علي × : 126
- الفصل الخامس: دين ابن العاص في المزاد..**
- 133 عمرو بن العاص يبيع دينه: عمرو بن العاص يبيع دينه: 133
- 147 الأبتري والأخرز: الأبتري والأخرز: 147
- 148 نصوص لا تعنينا كثيراً: نصوص لا تعنينا كثيراً: 148
- الفصل السادس: هل الدين يباع؟! :**
- 153 من هم الرافضة؟! : من هم الرافضة؟! : 153
- 157 الرافضة في رسالة معاوية: الرافضة في رسالة معاوية: 157

- 158 شيخ قريش، وصاحب أمرها:
- 158 مات النبي ' وهو راض عن ابن العاص:
- 159 اللعين الأبتري:
- 161 لعن الرسول ' لعمر بن العاص:
- 164 نصيحة عبد الله بن عمرو لأبيه:
- 166 ابن العاص وابن سعد:
- 168 نظرة في بيع عمرو بن العاص دينه:
- 170 الدنيا والآخرة عند علي x:
- 174 أليس هذا إسفافاً؟!:
- 176 مصالحة ملك الروم:
- 180 لماذا يقر ابن العاص بفضائل علي x؟!:
- 181 الشاهد على بيع عمرو دينه!!:
- 182 لا أشبع الله بطونكما:
- 183 بيع الدين في المزاد!!:
- الفصل السابع: شرحبيل المخدوع.. المخدول..**
- 191 معاوية يخدع شرحبيل بن السمط:
- 192 نصيحة ابن غنم وعياض الثمالي:
- 194 شرحبيل عند معاوية:

- 196: محاولات فشلت:
- 198: شرحيل يستنهض البلاد لحرب علي ×:
- 202: أول الفضائل:
- 203: يعرفونه ويحاربونه:
- 204: هل كان شرحيل مخدوعاً؟!:
- 207: عصبية عشائرية ومناطية:
- 209: التضحية بالغير في سبيل الأنا:
- 210: كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر:
- 211: سعيد بن قيس يكاتب شرحيل:
- 214: الوسائل المشروعة:
- 215: مضامين رسالة سعيد:
- 217: جواب شرحيل:
- الفصل الثامن: محاولات جمع الأصحاب**
- 223: بداية توضيحية:
- 224: عبيد الله بن عمر في الشام:
- 226: إحياء عمر بن الخطاب:
- 227: عبيد الله قاتل الهرمزان:
- 228: شهادة ابن عمر وابن العاص لعلي ×:
- 229: ويل لمن كفره إبليس:

- 229 معاوية يجمع الأحزاب:
- 232 لمحات .. وإشارات:
- 236 كتاب معاوية لابن عمر:
- 238 كتاب معاوية لسعد بن أبي وقاص:
- 241 كتاب معاوية لابن مسلمة:
- 244 معاوية يطعم ابن عمر بالخلافة:
- 246 رسالة واحدة أم رسالتان!!:
- 246 مواقف ابن عمر وسعد وابن مسلمة:
- الفصل التاسع: جرير متآمر وخائن..**
- 251 جرير يتآمر مع معاوية:
- 252 إعتراض ابن عقبة على معاوية:
- 253 احمل معاوية على الفصل:
- 256 اعتراض الوليد مرة أخرى:
- 258 البجلي متآمر خائن:
- 267 معاوية لا يقيم وزناً لقتلى الجمل:
- 268 هل كان علي × متردداً في قراره؟!:
- 270 علي × لا يخدع:
- 271 علي × يوقت لرسوله وقتاً:

- 272 ما كنت متخذ المضلين عضداً:
- 275 مئة وعشرون ليلة في الشام:
- 276 ابن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان:
- 277 إرجاع جرير وجواب معاوية:
- 282 أربعة أشهر في الشام:
- 283 لولا دم عثمان لكان علي كالخلفاء قبله:
- 285 الإغراء.. والتخذيل:
- 286 أهل الشام يقاتلون علياً ×:
- 287 أبيات كعب بن جعيل:
- 293 المعتزلي يفضل أبيات ابن جعيل:
- الفصل العاشر: يعزله علي ×.. ويبايعه أهل الشام..**
- 297 كتاب عزل معاوية:
- 298 هذا الكتاب:
- 298 وصايا علي × لجرير:
- 299 جرير عصى علياً ×:
- 300 من ولاك حتى تعزلني؟!:
- 300 بيعة أهل الشام لمعاوية:
- 301 الرجل المقنع:

- 303 بايعوه على ألا يطمع في الخلافة:
- 303 التسليم على معاوية بإمرة المؤمنين:
- 306 الشرط الذي أفسد الملك:
- 308 خليفة عمر و عثمان:
- 309 التشويش في خبر كعب بن مرة:
- 310 هذا المقنع على الهدى:
- الفصل الحادي عشر: جرير والأشتر..**
- 313 الأشتر وجرير البجلي:
- 318 المطلوب هو إبادة الصحابة:
- 321 ما أخطأ الغلام شيئاً!!:
- 322 الأشتر: جرير لا يستحق الحياة:
- 325 جرير يثبت صحة كلام الأشتر:
- 326 علي × يشعث دار جرير:
- 328 شعث بعض دار جرير وثوير:
- 329 أصاب الأشتر، وأخطأ السكوني:

الباب الثالث: إحتجاجات علي × وشتائم معاوية..

الفصل الأول: رسالة الخولاني في النصوص..

- 335 مراسلات بين علي × ومعاوية:
- 335 ثلاث ملاحظات حول المراسلات:
- 337 كتاب معاوية مع أبي مسلم الخولاني:
- 347 الشطر الذي ذكره ابن أعثم:
- 350 النص الذي ذكره الرضي &:
- 353 نص آخر:

الفهارس:

- 357 1 - الفهرس الإجمالي
- 359 2 - الفهرس التفصيلي